الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة

كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي

الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم
دراسة صوتية دلالية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللّسان العربي

إعداد الطالب :
– عبد الكريم حاقة

إشراف الأستاذ الدكتور :
– محمد خان

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أ.د. بلقاسم دفة	أستاذ	بسكرة	رئيسا
2	أ.د. محمد خان	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
3	د. رابح بومعزة	أستاذ محاضر ــ ا ــ	بسكرة	عضوا مناقشا
4	أ.د. بوبكر حسيني	أستاذ	ورقلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1429/1430هـ ــ 2008/2009م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر ــ بسكرة
كلية الآداب واللغــات
قسم الأدب العربي

الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي

إعداد الطالب :
- عبد الكريم حاقة

إشراف الأستاذ الدكتور:
- محمد خان

لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أ.د. بلقاسم دفة	أستاذ	بسكرة	رئيسا
2	أ.د. محمد خان	أستاذ	بسكرة	مشرفا ومقررا
3	د. رابح بومعزة	أستاذ محاضرــ ا ــ	بسكرة	عضوا مناقشا
4	أ.د. بوبكر حسيني	أستاذ	ورقلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1429/1430هــ ــ 2008/2009م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

[البقرة : 32]

الإهداء :

أهدي هذا العمل المتواضع :

۞ إلى والديّ الكريمين ، اللهم ارحمهما كما ربّياني صغيرا .

۞ إلى زوجتي التي رافقتني في رحلة هذا البحث وتحمّلت معي عناءها وكانت نعم العون في هذا الطريق .

۞ إلى ثمرات الفؤاد :

الأمين ، بشرى ، ميمونة ، أنفال .

اللهم أنبتهم نباتا حسنا .

۞ إلى كل من يحمل قلما في خدمة القرآن الكريم .

شكر وعرفان :

الشكر أولا لله عز وجل ، فالحمد لله على توفيقه ، والصلاة والسلام على محمد نبيّه ورسوله .

ثم الشكر لفضيلة الأستاذ الكبير : أستاذنـــا الدكتور ***محمد خان*** عميد كلية *الآداب واللغـــات بجامعة محمد خيضر ببسكرة الذي تفضل مشكــــورا بقبول الإشراف على هذا البحث ، واحتضن بذرته حتى استوى على سوقه .*

ثم الشكر لأساتذتنا الأفاضل الذين تولّوا تدريسنا في قسم الماجستير تخصّص علوم اللســان بكلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر ببسكرة .

كما أشكر كل من ساعد في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ، فجزى الله الجميع كلّ خير .

المقدمة

المـــــــقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابا محكما ، غير ذي عوج ، وفصّله تفصيلا ، أحمده حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأستعينه وأستغفره وأستهديه ، وأعوذ به من شرور نفسي وسيئات عملي ، وأصلّي وأسلّم على سيدنا ونبينا محمد الذي بلّغ كتاب ربه ورتّله ترتيلا .

أما بعد :

فلا يزال القرآن الكريم الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا تملّه العلماء ، ولا يزال يجود بلآلئه ودرره لمن يحاول الغوص في أعماقه . وهو الكتاب الذي أحكم بناؤه ونسجه ، وفصلت آياته ، فليس فيه تركيب ولا لفظ ولا صوت إلا وقد وضع الموضع اللائق به ، بحيث لو غير أو بدل لأختل المعنى واضطرب البناء .

والقرآن الكريم مختلف عن جميع أنواع الكلام ، فلا هو شعر منظوم ، ولا نثر مسجوع ، ولكنه آيات تنتهي بفواصل تعطي للقراءة جمالا وتحمل في طياتها معنى .

والفاصلة القرآنية : مصطلح خاص بالقرآن الكريم ، وهي تختلف عن قافية الشعر وقرينة السجع ، وقد اهتم العلماء منذ القديم بدراسة الفاصلة القرآنية في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز مثل كتاب «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ، و«الإتقان» للسيوطي ، كما اهتم المحدثون بموضوع الفاصلة ، ومنهم من خصص لها بحثا مستقلا كما فعل الدكتور محمد الحسناوي ، غير أن هذه الدراسات قد اقتصرت على الجانب البلاغي فقط ، ولم تتناول الجانب الصوتي للفواصل .

وقد شد انتباهي موضوع الفاصلة القرآنية حين كنت أحضّر مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي ، حيث كان موضوعها عن الوقف في القرآن الكريم وعلاقته بالنحو والمعنى ، إذ خصصت قسما للحديث عن الوقف على رؤوس الآي وهي الفواصل ، وعندما يسر الله الدراسة في ما بعد التدرج في تخصص علوم اللسان العربي في جامعة محمد خيضر ببسكرة ، أحببت أن أدرس الفاصلة القرآنية

دراسة صوتية أقتصر فيها على وصف الظواهر الصوتية للفواصل القرآنية ، ولكنني حينما عرضت الموضوع على أستاذنا الفاضل الدكتور ***محمد خان*** ــ حفظه الله ــ ارتأى فضيلته أن تكون الدراسة صوتية دلالية ، فوجهني بذلك وجهة جديدة ، وقد كانت ــ والحق يقال ــ وجهة مباركة ، حيث أعطت للدراسة حيوية وجدّية ما كانت لتكون لو اقتصرت على الجانب الصوتي فحسب . وعلى هذا فقد أصبح العنوان : **(الفاصلة في الجزء الأخير من القرآن الكريم ، دراسة صوتية دلالية)** ، وقد اخترت التطبيق على الجزء الأخير من القرآن لكثرة الأصوات التي تنتهي بها الفواصل وتنوعها .

والبناء اللغوي للقرآن الكريم بناء محكم متكامل ، ولكلّ من التركيب والألفاظ والأصوات دور في هذا البناء ، وللقرآن تأثير خاص على المتلقي المتمعن المتدبر . إذن ؛ فما الدور الذي تقوم به الفواصل في هذا التأثير ؟ وهل يقتصر دور الفواصل على الجانب الصوتي ، أم أنها تؤثر بدلالاتها كما تؤثر بأصواتها ؟ وإذا كانت الأصوات تحمل دلالات وتشارك في معنى الكلمات التي تتركب منها ، فما الدلالات التي تحملها الأصوات والمقاطع الصوتية التي تنتهي بها الفواصل ؟ وما هي العلاقة القائمة بين أصوات الفواصل ومقاطعها وبين مواضيع الآيات وموضوع السورة ككل ؟

وقد حاولت الإجابة عن هذه الإشكالات في هذا البحث ، الذي انتهجت فيه منهجا وصفيا تحليليا ، قمت فيه بتتبع الفواصل القرآنية في كل سورة من سور الجزء المذكور ، محاولا استخراج الدلالات المختلفة للأصوات والمقاطع الصوتية التي انتهت بها الفواصل مع ربطها بالموضوع العام للسورة والمواضيع الجزئية للآيات وكذا ربطها بأسباب النزول والمناسبات إن وجدت ، لأنها جميعا تضعنا في الجو العام للآيات .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول :

فالفصل الأول تناولت فيه أثر القرآن الكريم في العرب وكيف استطاع أن يزحزح الشعر عن مكانته ، ويحتل هو مكان الصدارة والتوجيه في الحياة العربية ليجعل من

أمة العرب الأميّة ، أمة ذات حضارة عظيمة لم يشهد التاريخ البشري مثيلا لهـا ، وهذا بشهادة الخصوم أنفسهم.

وأما **الفصل الثاني** فقد تناولت فيه المباحث النظرية فكان الكلام فيه عن :

1 ــ الفاصلة القرآنية ، وتعريفها ، وضوابطها ، والفرق بينها وبين قافيـة الـشعر وقرينة السجع ، وكذا أقسام الفواصل ... الخ .

2 ــ الصوت وتعريفه والفرق بينه وبين الحرف ، والجهاز الصوتي لدى الإنسـان ومخارج الأصوات وصفاتها عند القدماء والمحدثين ، وما يوجد من خـلاف بـين الدرس العربي القديم والدرس الصوتي الحديث ، وكذا الحركات وطريقـة إنتاجهـا ومقاديرها الزمنية ، والمقاطع الصوتية ، والنبر ، والتنغيم ... الخ .

3 ــ الدلالة وتعريفها ومفهوم الدال والمدلول ، وأنواع الدلالة من صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية ، ومظاهر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم ... الخ .

وأمـا **الفصل الثـالث** فقد خصص للتطبيق على الجزء الأخير من القرآن الكريم ، إذ تتبعت سوره ، سورة سورة ، محاولا إبراز ما تحمله فواصل الآيات من دلالات في الأصوات والمقاطع التي تنتهي بها .

ثم جاءت الخاتمة حاملة ما توصل إليه البحث من نتائج .

ولابد لكل بحث من مصادر ومراجع يبني منها مادته ويقيم عليها هيكله ؛ وقـد اعتمدت في هذا البحث على كثير من المصادر والمراجع وهذه بعضها :

ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي .

ــ الفاصلة في القرآن للحسناوي .

ــ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي .

ــ سر صناعة الإعراب لابن جني .

ــ علم الأصوات لكمال بشر .

ــ دراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر .

ــ النشر في القراءات العشر لابن الجزري .

ــ مصطلحات الدلالة العربية لجاسم محمد عبد العبود .

ــ صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني .

ــ تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي .

وغير هذه من المراجع الكثيرة في البلاغة والأدب والدلالة والنحو وغير ذلك .

وكأي بحث أكاديمي ، فإن هذا البحث لم يخل من صعوبات وعوائق ، ومنها المراجع التي استغرق جمعها وقتا طويلا ، ولكن أكبر العوائق كان في كيفية التطبيق ؛ إذ إن المراجع التي تناولت الفاصلة القرآنية اقتصرت على الناحية البلاغية ولم تتعرض للناحية الصوتية . وهذا ما أعاق البحث طويلا ؛ وقد وجدت أن ابن جني تناول الدلالة الصوتية في كتابه الخصائص فأفدت من إشاراته غير أنها لم تكن كافية ، لذلك توجهت إلى ما قرره علماؤنا القدامى وكذا علم الصوتيات الحديث من مخارج الأصوات وصفاتها ، فحاولت من خلالها أن أبرز ما تحملها أصوات الفواصل ومقاطعها الصوتية من دلالات مستعينا بأسباب النزول ومناسبة الآيات وكذا المواضيع التي تتناولها ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذه الطريقة وأن يكون هذا العمل ناجحا .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد خان ــ حفظه الله ورعاه ــ على قبوله وتفضله بالإشراف على هذا البحث فإليه بعد الله ــ عز وجل ــ يرجع الفضل في توجيه هذا البحث من أول خطوة إلى أن اجتمع شمله واستوى على سوقه والحمد لله ، فلم يقصر ــ رعاه الله ــ في التوجيه والنصح والتصحيح والتقويم ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، فبارك الله في أستاذنا الفاضل وأمدّ في عمره ونفع به وأجزل له الأجر والثواب ؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الوادي في : 15 جمادى الثانية 1430 هـ

الموافق لـ 2009/06/09 م

الفصل الأول :

القرآن الكريم وأثره في العرب

1 - مكانة الشعر عند العرب .

2 - القرآن الكريم وأثره في العرب .

3 - مناحي تأثير القرآن الكريم .

تمهيد:

إذا تأملنـــا حيـــاة العـــرب قبـــل الإسلام ، وجدنا للشعر سلطانا عظيما في نفوسهم وقلوبهم، ولكنهم بمجيء الإسلام ونزول القرآن تغيروا ؛ فقد استطاع القرآن الكريم أن يزحزح الشعر عن مكانته وأن ينزله عن عرشه ؛ ليصبح لـــه ــ أي القـــرآن ــ دور القائد الموجه لحياة العرب، وما ذلـــك إلا لمـــا له من تأثير بليغ فـــي النفـــوس وفـــي القلوب، وهو تأثير باق على الزمان ، لأن القرآن « لا يخلق عن كثرة الرد »[1].

1 – مكانة الشعر عند العرب:

عاش العرب في جزيرتهم في معزل عن التأثر بغيرهم من الأمم، فساعدهم ذلـــك على أن يحافظوا على هويتهم وعاداتهم وتقاليدهم وصفاء لغـــتهم. ولبـــساطة عيـــشهم وتنقلهم طلبا للماء والكلإ ، لم يعرفوا الحضارة وعمرانها، إلا في بعض الحواضر، ولم يعرفوا العلوم العقلية، وكان الشعر علمهم وديوانهم؛ نقل ابن سلّام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[2].

وقد كان للشعر مكانة خاصة في المجتمع العربي قبل الإســـلام، وكـــان العـــرب يحتفـــون به أيما احتفاء ؛ فقد نزل من النفس العربية منزلا رفيعا، وتبوّء مكانا عاليـــا، و« العـــرب أقـــوى الأمم شاعرية وأقدرهم على النظم في الشعر الغنـــائي ... يـــدلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة»[3].

ولقد كان الشعر في العرب سريعا ، فما أن تقال القصيدة حتى تسير بها الركبان، وتبلغ الآفاق ، حتى قيل في المثل « أسير من شعر» قال الميداني في شرح هذا المثل: «لأنه يرد الأندية ويلج الأخبية، سائرا في البلاد مسافرا بغير زاد»[4].

لقد فطر العرب على تذوق الشعر والتأثر به، فكان للكلام أثر كبير فـــي حيـــاتهم؛ وصف (بلاشير) المجتمع العربي في العصر الجاهلي فقال: « إنه لعالم تحظى الكلمـــة

---

[1] – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل . فضائل القرآن ، دار الأندلس ، (د ط) ، لبنان ، (دت) ، ص : 10.

[2] – ابن سلّام ، محمد الجمحي . طبقات فحول الشعراء ، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني ــ جدة ، (د ط) ، السعودية ، (دت) ، ج : 1 ، ص : 24.

[3] – زيدان ، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية ، مر: يوسف الشيخ محمـــد البقـــاعي، دار الفكـــر، ط:1، لبنـــان، 1416هـــ /1996م،م:1،ص:60، 61.

[4] – الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة، ط:2، لبنان، (دت)، ج:1، ص:495.

فيه بأهمية كبرى، فرُبّ خطبة أو كلام مرتجل يقعان في محلهما ، قد يغيران من مجرى الحوادث»[1]، كما أن الشعر كان متغلغلا في حياتهم ، داخلا في كل مجالاتها، فهو الديوان الذي يسجلون فيه خيالاتهم وتصوراتهم وانفعالاتهم وما تضطرب به نفوسهم، ففيه حبهم وبغضهم، وضحكهم وبكاؤهم، وسعادتهم وشقاؤهم ، وجدهم وهزلهم، وأحسابهم وأنسابهم، وأيامهم ووقائعهم، وعاداتهم وأخلاقهم، وذكرياتهم وآمالهم، حتى خيولهم ودوابهم وما يستعملونه من الأواني والحاجيات، فالشعر عند العرب «سجل العواطف والمآثر والمفاخر، يصور حقيقة أهله ونفسية قائليه، بكل مالهم من بطولات وأمجاد، وبأس وشدة، وعصبية وغضب، وكرم ووفاء، يصور خصال الخير، كما يبين دواعي الشر»[2]، قال ابن سلّام : « وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»[3] وقال ابن خلدون:« واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب، لذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم»[4]. ولتعلق العرب بالشعر فقد صار فيهم كأنه الماء الذي يشربون، أو الهواء الذي يستنشقون، فلا قيمة لحياة العربي إلا بالشعر، « حتى يخيل إليك أنهم كانوا لا ينطقون إلا بالشعر، وكان كل واحد منهم شاعرا أو يقول الشعر ولو قليلا... وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال»[5].

ويرجع جرجي زيدان أسباب شاعرية العرب إلى ثلاثة أمور:

1 – فطرة العربي نفسه وحساسيته وشعوره وأنفته.

---

[1] – بلاشير، ريجيس. تاريخ الأدب العربي، تر: إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر ــ تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر، (دط)، تونس،1986، ص:342.

[2] – الجبوري، يحيى. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، منشورات جامعة قار يونس ــ بنغازي، ط:6،ليبيا، 1993،ص:83، 84.

[3] – ابن سلّام. طبقات فحول الشعراء، ج:1، ص:24.

[4] – ابن خلدون ، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون، دار الفكر،(دط)، لبنان، 1427–1428 هـ /2008م، ص:622.

[5] – زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية، م:1، ص:70 ،71.

2 – طبيعة اللغة العربية وغناها بالأساليب مثل الاستعارة والكناية ودقة التعبير وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية.

3 – طبيعـــة الأرض التـــي عـــاش بها العرب ، وصفاء جوها، وتفرغ أهلها للتأمـــل في الطبيعة.[1]

ولقد كثر الشعر في العرب حتى لا تكاد أمة من الأمـــم تعـــرف بكثـــرة شـــعرها وشعرائها مثلهم ؛ وكان الذي ضاع وفاته التدوين أكثر مما بقي ودوّن، على كثرة هـــذا الباقي المدون ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلـــه ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»[2] وهو دليل على مدى اهتمام العرب بهـــذا الفن من فنون القول، ولا جرم أنه كان للعرب فنون أخرى غيـــر الـــشعر؛ كالخطابـــة والحكم وسجع الكهان، ولكن الشعر كان« أبرز وأوضح المظاهر الأدبية، لأنـــه كـــان بلورة وتمثيلا للروح العربية وتعبيـــرا عنهـــا، والصفحـــة الواضحـــة التي أفـــصحت عن الحياة بكل مظاهرها وبخاصة تلك التي كانت موضع عنايتهم ، ثم هو إلـــى ذلـــك العمدة التاريخية لتسجيل الأحداث وتصوير المواطن»[3] كما كان « للـــشعر النـــصيب الأوفى في توحيد مشاعر العرب وتشابه طباعهم وعاداتهم ومـــثلهم، وصـــقل لغـــتهم وتوحيد لهجاتهم كذلـــك»[4] . وقـــد كـــان العرب في جاهليتهم يعتمدون على الـــشعر في تسجيل مآثرهم وأيامهم ، لتتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل؛ قال الجـــاحظ:«...فكـــل أمة تعتمـــد على استبقـــاء مآثرها، وتحصين مناقبها ، على ضرب مـــن الـــضروب، وشكل من الأشكال ، وكانـــت العـــرب فـــي جاهليتهـــا تحتال في تخليدها بأن تعتمـــد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها»[5]. وقال أبـــو هلال العسكري: « كذلك لا نعرف أنساب العـــرب وتواريخهـــا وأيامها ووقائعهـــا إلا

---

[1] – ينظر: زيدان، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية ، م:1 ، ص:61 .

[2] – ابن سلّام، الجمحي. طبقات فحول الشعراء، ج:1، ص:29.

[3] – الجبوري ، يحيى . الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص:84.

[4] – المرجع نفسه ، ص:84.

[5] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربـــي، ط:3، لبنان، 1383هـــ /1969م، ج:1، ص:71، 72.

من جملة أشعارها»[1]، ولأهمية الشعر ومكانة القصيد فقد عرف الجاهليون للشاعر قدره ومنزلته فإنه « كان يمثل لسان حال القبيلة، الحامي حقيقتها، والمعبر عن أغراضها، والمدافع عنها في المواقف العظيمة»[2]. فظهور الشاعر في القبيلة ونبوغه مدعاة للفخر والاعتزاز و « عدم ظهور شاعر مشهور في قبيلة ما أمر مخز ومصدر إذلال»[3]، لذا كان الشعراء حماة لقبائلهم ؛ ذكر ابن (رشيق) في كتابه (العمدة) في باب احتماء العرب بشعرائها قال: « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيهم شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم ، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج »[4]؛ ومما يدل أيضا على عناية العرب بالشعر واحتفائهم بأهله، أنهم كانوا يقيمون في أسواقهم مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز، أسواقا موازية يلتقي فيها الشعراء ويتناشدون الأشعار[5]، وتضرب فيها قباب للحكام، كقبة النابغة مثلا[6] ، وكانوا كما تذكر كتب الأدب يصدرون أحكاما نقدية على ما يعجبهم من القصائد ويعلق بعضها على جدران الكعبة[7]؛ قال ابن عبد ربه:« ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب ، وجليل خطبه في قلوبهم أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه، المحكم تأليفه، وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا : ما هذا إلا شعر،

---

[1] – العسكري، أبو هلال. الصناعتين، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط:1، لبنان، 1427هـ /2006م، ص:127.

[2] – هني ، عبد القادر.دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية ،(دط)، الجزائر، 1995، ص: 12.

[3] – بلاشير، ريجيس. تاريخ الأدب العربي ، ص: 344.

[4] – ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:4، لبنان، 1972، ج:1، ص:65.

[5] – ينظر : الحموي، أبو عبد الله ياقوت . معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت ،(دط)، لبنان، 1399هـ /1979م، م:4 ، مادة عكاظ، ص:142.

[6] – الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني، نشر: صلاح يوسف خليل ودار الفكر للجميع ،(دط)، لبنان، 1390هـ /1970م، م:5، ج:9، ص:163.

[7] – ابن عبد ربه، الأندلسي. العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي ،(دط)، لبنان، 1385هـ /1965م، م:5، ص:269.

وقالوا في النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ :﴿ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور:30] [1].

2 – القرآن الكريم وأثره في العرب:

نزل القرآن الكريم في قوم يعجبون للكلام الجميل، ويهتزون للتعبير البليغ، فكان هذا الكتاب معجزة كلامية بيانية، خضع لعظمتها وجلالها أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة، وعجزوا عن الإتيان بمثله ، فقد« أعجز الفصحاء والبلغاء، وأخرس الأدباء والشعراء، وتحدّى الإنس والجن على أن يأتوا بسورة مثله، فلم يحر أحد منهم جوابا ، ولاذوا بالصمت والفرار»[2] ، وانبهر العرب بهذا الكلام العجيب ، فنعتوه بمختلف الأوصاف فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا عن الرسول: شاعر ، وساحر، وكاهن ، وما هذه النعوت إلا دليل الانبهار والإعجاب فقد كانت هذه الأمور تمثل لديهم الخوارق التي يعجز العاديون من الناس عن الإتيان بمثلها« لقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم هم أهل الفصاحة والبيان ، وأرباب البلاغة والتبيان... فلما جاءهم القرآن أعلى بيانا وأعظم فصاحة، تحداهم فأعجزهم عن بلوغه، حتى إذا سمعه الأعرابي الأمي أسره بيانه وإعجازه، وخفقت له جوارحه، وهزته آياته، وعلم أنه كلام فوق كلام البشر»[3].لقد أحدث نزول القرآن انقلابا كبيرا في حياة العرب، فألهاهم وشغلهم عن أعظم ما عندهم وأنفس ما لديهم عن الشعر[4] الذي كان يحتل المركز الأول في نفوسهم فإنه«ما إن ظهر محكم التنزيل حتى اكتسح الحماس للشعر والنثر ، وأنزلت المعلقات السبع من باب الكعبة، واتجهت كل الأسماع إلى هذا الإعجاز الجديد في اللغة العربية»[5]. وقد كان العرب أهل ذوق بالفطرة، وانجذابهم للقرآن الكريم

---

[1] – ابن عبد ربه ، الأندلسي . العقد الفريد ، م:5 ، ص : 273.

[2] – الصواف ، محمد محمود. عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار الصور من كتاب رب العلمين، الدار السعودية للنشر، ط:1، السعودية، 1388هـ /1968م، ص:8.

[3] – النحوي ، عدنان علي رضا. دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية، دار الشهاب ــ باتنة، ط:5، الجزائر، 1406هـ /1986م، ص:170.

[4] – ينظر : ابن سلّام ، محمد الجمحي . طبقات فحول الشعراء ، ج:1، ص:25 .

[5] – دراز، محمد عبد الله .مدخل إلى القرآن الكريم، تر: محمد عبد العظيم علي، دار القلم ،(دط)، الكويت، 1404هـ /1984م،ص:115.

دليــل على قوة تأثيره في نفوسهم يستوي في هذا مؤمنهم وكـــافرهم ، يقــول ســيد قطب:« سحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى، سواء منهم في ذلك مــن شــرح الله صدره للإسلام، ومن جعل على بصره منهم غشاوة»[1]، ولم يكن من السهل أن يتخلــى العرب عن الشعرــ مع شدة شغفهم به ــ ويتوجهوا إلى القرآن ، لولا مــا فــي هــذا الكتاب من قوة آسرة عجز العرب عن الفكاك منها، إذن ، فقد وقعت الــصدمة ووقــع الانبهار، وبدأ العرب يفكرون في أمر هذا الكلام الذي يستحوذ على القلــوب بعــد أن يستأثر بالأسماع ؛ ما هذا الذي يتلوه محمد ؟ أهو شعر أم سجع كهان ؟ ولكنهم يعرفون الشعر ، ويعرفون سجع الكهان، وهذا شيء مختلف عن هذا وذاك، إنه نوع من الكلام مغاير تماما، لقد أحسوا أنه كلام فوق طاقة البشــر، وإذا عدنــا إلــى أيــام الــوحي الأولى ، فسوف تصادفنا حالات كثيرة تشهد على مدى هذا التــأثير البليـــغ الـــذي أحدثه القرآن في نفوس العرب « وإذا تجاوزنا عن النفــر القليل الذين كانت شخصيــة محمــد ــ صلــى الله عليه وسلم ــ وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان في أول الأمر... فإننا نجد القرآن كان العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة ، يوم لم يكن لمحمد حول ولا طول ، ولم يكن للإسلام قوة ولا منعة»[2].

لقد كان تأثير القرآن عجيبا ، وقد حاول المشركون منع هذا التــأثير ولكــن دون جدوى ، فقد خرج الأمر عن طوقهم ، حتى لقد امتد تأثير القرآن إلى الشعراء أنفسهم ، وقد تقدمت قصة الطفيل بن عمرو الدوسي ، وهذا لبيد بن ربيعة وهــو مــن شــعراء المعلقات ومكانته في الشعر معلومة ، وحين أسلم امتنع عن قول الشعر وعكف علــى قراءة القرآن ، ولما وفد على عمر بن الخطاب في خلافته استنشده عمر من شعره فقرأ عليه سورة البقرة ، وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني الله سورة البقــرة وآل عمران[3]. وقيل : إنه لم يقل بعد إسلامه من الشعر إلا بيتا واحدا وهو:

---

[1] – قطب، سيد . التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط:3، لبنان، 1403هــ /1983م، ص:11.

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . الشعر والشعراء ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، ط:2 ، مــصر، 1423هــ /2003م ، ج:1 ، ص:267.

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا[1]

وهكذا نرى كيف أحدث القرآن انقلابا هائلا في نفوس العرب حتى تحولت عن الشعر، واتجهت صوب القرآن الكريم، فصنع منها أمة عظيمة، وأنشأ لها حضارة كبيرة، حضارة لم يشهد التاريخ لها مثيلا . فالقرآن الكريم هو الذي أحيا العرب بعد موات واستنقذهم من ضلال الجاهلية إلى نور العلام والإيمان.

3 – مناحي تأثير القرآن الكريم :

تبين مما سبق كيف أثر القرآن الكريم في العرب حتى جعلهم ينصرفون عن الشعر ويقبلون عليه ؛ ولنا أن نتساءل : أين يكمن سر التأثير القرآني ؟ لقد بحث العلماء عن أسرار التأثير القرآني ضمن بحوثهم عن الإعجاز القرآني ، وتكلموا عن أكثر من وجه لهذا الإعجاز وهذا التأثير. و مناحي التأثير في القرآن كثيرة وكثيرة جدا ، ولا يمكن الإحاطة بها، وكلما مر الزمن وتطورت العلوم ، اكتشف الدارسون أوجها جديدة من وجوه الإعجاز، وجوانب جديدة من جوانب التأثير. وما دمنا قد تحدثنا عن تأثير القرآن في العرب وهم أمة تعتد بالكلام أيّما اعتداد ؛ وما دامت هذه الدراسة التي نحن بصددها دراسة لغوية لسانية ، لذلك فنحن سوف نركز على المناحي الكلامية اللغوية لهذا التأثير ، مبتعدين بهذا عن الجوانب الأخرى.

والقرآن الكريم يمتاز بجمال أسلوبه ونظمه ، وبلاغته العالية ، ومفرداته الجميلة الأخاذة ، وجرسه الصوتي الآسر ، ولهذا فسوف نحصر دراستنا لجوانب التأثير ومناحيه في نقاط وهي :

- الألفاظ المتخيرة.
- الأسلوب البديع.
- البلاغة العالية.
- الجرس الصوتي.

3 – 1 – الألفاظ المتخيرة:

---

[1] –ينظر: ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم . الشعر والشعراء ، ج:1 ، ص :267 ، وأيضا : ابن منظور ، محمد بن مكرم . مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، تح : طه الحاجري ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (دط) ، مصر ، 1386هـ /1966م ، ج:6 ، ص: 326.

من النواحي اللغوية التي تمثل جانبا من جوانب التأثير القرآني : مفردات القــرآن وألفاظه ، ذلك لأن هذه المفردات هي مفردات اللغة العربية ، والنـــاس وقــت نــزول القرآن كانوا يتكلمونها ويتكلمون أمثالها ، ومع هذا فاختيار القرآن لها أكــسبها ميــزة خاصة ، جعلت من وضعها داخل التركيب القرآني مختلفا عن وضعها في الاســتعمال اللغوي خارجه ، وبذلك صارت هذه الألفاظ القرآنية من وجــوه الإعجــاز ودواعــي التأثير. إن «القرآن الكريم ينتقي ألفاظه ، ويختار كلماته، لما بين الألفاظ من فــروق دقيقة في دلالتها ، فيستخدم كل كلمة بدقة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد»[1].

وقد امتازت اللغة العربية بوفرة الكلمات في المعنى الواحــد حتــى رووا للــشيء الواحد الجم الغفير من الأسماء ، ولكن القرآن اختار من هذه اللغة فكان اختياره سموا باللغة نفسها حتى « صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فــوق اللغة»[2].لقد كان القرآن دقيقا في اختيار ألفاظه وكلماته ينتقيها انتقاء بديعا محكما، فهذّب بذلك اللغة ، وارتفع بها إلى أسمى المراتب « ولقد صفّى القرآن الكريم هــذه اللغــة ، فأشاع في الاستعمال أصفى ألفاظها جرسا ، وأدقها تعبيرا ، وأحلاها نغما ، وأورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة فائقة ، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ»[3] ؛ ولا يخفى على أحد أن اللغة العربية متاحة لجميع الفصحــاء والبلغــاء ، وكلمات العربية في متناول أيديهم ، ولكن لا يقدر أحد منهم على أن يأتي في كلامه بمثل ألفاظ القرآن ، واللغة هي اللغة والألفاظ هي الألفاظ ، ولكن القرآن اختار أجمل الألفــاظ وأحلاهــا فضمنها متنه ، فشرفت به هذه الكلمــات لفظا ومعنى ، كيف لا وهو الكتاب المحكــم الذي قال فيه منزلــه تبــارك وتعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود :1] ، قال سيد قطب:« أحكمت آياته ، فجاءت قوية البناء، دقيقة الدلالة ، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة ، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب ، وكل إيماءة

---

[1] –لاشين ، عبد الفتاح . صفاء الكلمة ، دار المريخ ، (دط) ، السعودية ، 1403هـ /1983م ، ص: 62.

[2] – الرافعي، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، ط:2 ، لبنان ، 1394هـــ/ 1974م ، ج:2 ، ص:226.

[3] – لاشين ، عبد الفتاح . المرجع نفسه ، ص: 61.

وكل إشارة ذات هدف معلوم»[1]، لقد جاء الاختيار القرآني للألفاظ على نمـط فريـد ، فكان لألفاظه جانب كبير في سموّه فوق سائر أنماط التعبير الأخرى، فالقرآن الكـريم يتأنق في اختيار الألفاظ، ويستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة[2] ، « إننا نـرى الدقة الواضحة في التعبيـر القرآنـي، والتحديـد الكامـل لمعنى اللفظ ، والإتيان به في خاص معناه ، ولو كان أحد اللفظين في مكان الآخر ، لأوقع الـسامع فـي حيـرة وارتباك ، وأدخل عليه اللبس والخلط »[3] ، والقرآن الكريم منزه عن اللبس والخلط ، لا يتحيّر فيه قارئه ولا سامعه ، وليس فيه قلق في مكان مـا، ولاعيب في مفردة مـا، بل كله متماسك ومتناسق، ويتحدث الدكتور صبحي الصـالح عن الموسيقى الداخليـة التي يتميز بها النص القرآني بحيث تتناغم آياته وكلماته وسـوره في نغم واحد، ويقرر أن « هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث في القرآن الكريم حتى من اللفظة الواحدة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل ــ بجرسها ونغمها ــ بتصويـر لوحة كاملة فيهـا اللـون زاهيا أو شاحبا، وفيها الظل شفيفا أو كثيفا »[4]، وتمتاز المفردة القرآنية ــ كمـا ذكـر بكري شيخ أمين ــ بميزات ثلاث رئيسة وهي :

- جمال وقعها في السمع.
- اتساقها الكامل في المعنى.
- اتساع دلالاتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.[5]

ومرد ذلك إلى الجو الخاص الذي توضع فيه المفردة القرآنية ، وربما لا يعـرف القارئ المعنى الدقيق الخاص للكلمة ، ولكن وجودها في سياقها يشعر بمعناهـا ، لأن القرآن حين يضع لفظة في موضع فذلك هو الموضع الصحيح الذي لا يمكن إبعادهـا عنه تقديما ولا تأخيرا ولا حذفا ، ولا يمكن أن توضع لفظة أخرى بدلا عنها « فالكلمة

---

[1] – قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، دار إحيـاء التراث العربي ، ط : 5 ، لبنان ، 1286هـــ/1967م ، م:4 ، ج: 12 ، ص: 23.

[2] – ينظر: المطعني ، عبد العظيم . خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبـة ، ط:1 ، مـصر ، 1413هــ /1992م ، ج:1 ، ص:245.

[3] – لاشين ، عبد الفتاح . صفاء الكلمة ، ص : 120.

[4] – الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط:6 ، لبنان ، 1972 ، ص:334.

[5] – أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط:4 ، لبنان ، 1400هــ /1980م ، ص:181.

التي نزل بها القرآن في جملتها القرآنية وفي تعبيرها الرباني مستقرة في مواضـــعها ، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها ، أو يستغنى عنها بمرادفها »[1] . إن هذا البناء المحكم يمنع من التصرف في نسيج القرآن وبنائه من أي كان، وهذا مـــن حفـــظ الله للقـــرآن الكريم ، إذ لو حاول أحد أن يمد يده إلى النص الحكيم بالتغيير أو التبـــديل، لافتـــضح أمره وبان عجزه ولتبدل الكلام وتغير النظم.

ومن مميزات الألفـــاظ القرآنية ما بينها من انسجام، وقد تحدث الرافعي عن هـــذا فقال :« أما ألفاظ الكتاب الكريم ، فهي كيفما أدرتها ، وكيفما تأملتها ، وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها ، ومن أي جهة وافقتها ، فإنك لا تصيب لها ما دون اللـــذة الحاضـــرة ، والحـــلاوة الباديـــة ، والانسجام العذب »[2] . اللفظة القرآنية لها موقعها في السياق ، والسياق القرآني يخدم بعضه بعضا ، فالكلمات السابقة واللاحقـــة كلهـــا تتساوق في نغم خاص ، يثير إعجابنا وإن لم ندرك كنهه ، وفي هذا يقـــول الرافعـــي أيضا :« ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها ، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمـــر الفـــصاحة فيهيـــئ بعضها لبعض ، ويساند بعضها بعضا ، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحـــروف ، مساوقة لها في النظم الموسيقي»[3] ، وقد تكون اللفظة مـــستثقلة فـــي نفـــسها ، ولكـــن التركيب القرآني يهيئ لهـــا الموضع المنـــاسب الذي لا تبدو فيه ثقيلة ولا مكروهـــة ، و« ربما تكون الحركة في الكلمة ثقيلة في نفسها لسبب ما ، فإذا استعملت في القـــرآن الكريم كان لها شأن عجيب حيث يمهد لها ما قبلها من الأحرف والحركات طريقا فـــي اللسان ويكتنفهـــا بضـــروب من النغـــم الموسيقي ، حتى تخرج عذبة رقيقة، وتـــأتي متمكنة في موضعها ولا يشعر القارئ بثقلها»[4]. والقرآن الكـــريم لا يكتفـــي بانتقـــاء الألفاظ فقط ، ولكنه يوجه المؤمنين ـــ من خـــلال تربيته الحكيمة ـــ إلى انتقاء الألفاظ وتخيرها ، ومن ذلك قوله تعالى مخاطبـــا أصحاب النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ :

---

[1] – لاشين ، عبد الفتاح . المرجع نفسه ، ص:17.

[2] – الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج:2 ، ص:241.

[3] – المرجع نفسه ، ص : 227 .

[4] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا... ﴾ الآية [البقرة: 104] ، فهذا توجيه للمؤمنين لانتقاء كلمات دون أخرى لأمر ما ، قد يكون قطعا للطريق على اليهود المتهكمين بمقام النبوة ، أو إرشادا إلى كلمة أخرى أكثر تأدبا مع حضرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم.

ومن القضايا الهامّة في مجال اللفظة القرآنية ، أنه لا يوجد ترادف في القرآن الكريم ، بل كل لفظة فيه موضوعة في معناها الخاص ، وقد بحث العلماء هذه المسألة ودل القرآن بنصه على ملاحظة الفروق بين لفظة وأخرى، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾ الآية [الحجرات:14] ، ففرق القرآن بين لفظة الإيمان التي تعني الإيمان القلبي الذي يصدقه العمل ، وبين لفظة الإسلام التي تعني التصديق الظاهري بالجوارح واللسان. وهكذا مع جميع الألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة ، إلا أن الاستعمال القرآني يضع كل لفظة في معناها الخاص الدقيق ، مثل: (الحمد والشكر) و(يشعرون ويعلمون) و(الخشية والخوف) ، إلى غير ذلك من الأمثلة. وهكذا نرى كيف يتم اختيار اللفظة القرآنية بعناية فائقة بحيث لا يمكن لأي لفظة أخرى أن تحل محلها ، وهذا من تمام إحكام بناء النص القرآني العظيم.

3 – 2 – الأسلوب البديع:

الأسلوب في اللغة هو الطريق والفن ؛ يقال هو على أسلوب من أساليب القوم ؛ أي على طريق من طرقهم[1]. والأسلوب في الكتابة هو طريقة الكاتب أو المؤلف فيما يكتبه أو يؤلفه في النظم أو النثر، ولكل كاتب أسلوب يميزه عن غيره من الكتاب ، و« أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي أنفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه»[2] ، وهو أسلوب مغاير تماما لكل ما عرف الناس من أساليب ، فهو فوق الأساليب ، إنه « كان وسيظل النموذج الذي لايبارى في الأدب العربي، فجمال أسلوبه

[1] – ينظر: الفيومي ، أحمد بن محمد . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المطبعة الأميرية ببولاق، ط:8 ، مصر ، 1979م ، ج:1، مادة: سلب ، ص:386.

[2] – الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، تح : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، (دط) ، مصر ، (دت) ج:2 ، ص:299.

محل إعجاب الجميع في كل العصور ، وإذا نظرنا نظرة مجردة إلى الصفات الأدبية التي ينطوي عليها نستطيع أن نقول إنه يعتبر المثل الأعلى لما يمكن أن يسمى أدبا بوجه عام »[1]، ويعد الأسلوب القرآني مظهرا من مظاهر الإعجاز ، وجانبا من جوانب التأثير ، فتأليفه وتركيبه بهر الفصحاء والبلغاء ، وشدّ إليه الأسماع ، وأصغى إليه الأفئدة « وفي القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر... ذلك هو وجه تركيبه أو هو أسلوبه ، فإنه مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم[2]»، إن القرآن بهذا الأسلوب العجيب الفريد أفحم الخصوم الألداء الذين كان همهم أن يجدوا فيه ثغرة أو مثلبا «ولولا هذا الأسلوب ما أفحم العرب ، لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم»[3]، هذا الأسلوب الفذ العجيب هو الذي شد إليه العرب ، وأعجزهم في أعظم ما يفخرون به ، ألا وهو صنعة البيان، وطرائق الكلام ، وفصاحة اللسان ، فلقد جاءهم بلغة يعرفونها، ما هي بلغة غريبة ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:195] ، و« لم يخرج عما عهده العرب في لغتهم ، فهو مؤلف من حروفها ومفرداتها وجملها وقواعدها ، ومع ذلك فهو معجز بأسلوبه الفذ»[4].

إن القرآن الكريم « إنما ينفرد بأسلوبه لأنه ليس وضعا إنسانيا ألبتة ، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد »[5]، ولكن القرآن منزل من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82] ، ولم يجد الخصوم في القرآن أي اختلاف ولو وجدوا لسارعوا إلى إظهاره لأنه كسب كبير لهم في هذه المعركة ؛ ولكنهم لم يجدوا فسكتوا خانعين صاغرين ، فقد بان لهم « أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه»[6].

---

[1] – دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص:115.

[2] – الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب . ج:2، ص:201.

[3] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، ط:25 ، لبنان 1985م ، ص:31.

[4] – أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، ص:179.

[5] – الرافعي ، مصطفى صادق . المرجع نفسه ، ص: 203.

[6] – الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب . إعجاز القرآن ، تح : أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1429هـ/2008م ، ص:30 .

ومما يميــز أسلوب القرآن أنه يجمع بين الجزالة والعذوبة « فلغة القرآن... تبعــد عن طراوة لغة الحضر ، وخشونة لغة البادية ، وتجمع ــ في تناسق حكيم ــ بين رقة الأولى وجزالة الثانية ، وتحقق السحر المنشود بفضل هذا التوافق الموســيقي البــديع بينهما ... إنهــا ترتيب في مقاطع الكلمات في نظام أكثر تماسكا من النثر وأقل نظمــا من الشعر »[1]، ويختلف الأسلوب القرآني عما عرفه العرب في الشعر والنثــر معــا ، يقول الدكتور طه حسين:« إن القرآن ليس نثرا كما أنه ليس بشعر إنما هو قرآن ، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم ، ليس شعرا وهذا واضح فهو لم يقيد بقيود الــشعر ، وليس نثرا لأنه مقيد بقيود خاصة لا توجد في غيره»[2] ، وكما أن الأســلوب القرآنــي يجمع بين الجزالة والعذوبة، ويختلف نظمه عن الشعر والنثر ، فإنه كذلك يمتاز بالتنوع من غير أن يرى الناس فيه عيبا أو خللا ، فهو « يلين أو يشتد ، يهدأ أو يهيج ، ينساب انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس ، أو يعصف عــصفا كأنــه صرصــر عاتيــة تبهــر الأنفاس»[3]، و كما يمتاز الأسلوب القرآني عن النثر والشعر وهما من الفنون الأدبيــة ، كذلك يمتاز عن غيره من الكتب السماوية الأخرى، يقول محمد عزة دروزة:« وقد جاء في نظمه وسوره وآياته وقصصه وعظاته وتلقيناته وأمثاله وخطابه وحججــه وجدالــه أسلوبا رائعا متميزا في ذلك بخصوصيات جعلته فذا بالنسبة لأسلوب الكتب الــسماوية السابقة»[4]، بل جاء متميزا حتى بالنسبة لحديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ رغم ما أوتي عليه السلام من الفصاحة والبلاغة« فجميع عبارات الرسول وجمله يتميز عنها النص القرآني تمييزا صارخا»[5].

ويلخص الدكتور دراز خصائص الأسلوب القرآني فيما يلي :

1- الإيجــاز العجيب : إذ يعبر بأقل عدد من الكلمات عن أفكار يصعب التعبير عنهــا في العادة إلا بجمل مطولة نسبيا.

---

[1] – دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص:116.

[2] – حسين، طه. حديث الشعر والنثر ، المجموعة الكاملة ، دار الكتاب اللبناني ، (دط) ، لبنــان ، 1983م، م:5 ، ص:577.

[3] –الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، ص: 340.

[4] – دروزة ، محمد عزة . القرآن المجيد ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص:13.

[5] – دراز ، محمد عبد الله . المرجع نفسه ، ص:118.

2- الوضوح الأخاذ : إذ يلتقي على فهم القرآن كل من العالم المتعمق والبسيط السطحي، كل بحسب استعداداته ودرجته في العلم والمعرفة .[1]

أما الإمام القرطبي ، فيذكر في مقدمة تفسيره بعضا من مميزات الأسلوب القرآني ومنها :

1 - النظم البديع المخالف لكل نظم ، والأسلوب المخالف لجميع الأساليب .

2 - الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال .

3 - التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي ، حتى ليقع الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف في موضعه.[2]

ويعدد الشيخ الزرقاني جملة من الخصائص التي تميز أسلوب القرآن الكريم ومنها:

1 - اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته،وسكتاته،اتساقا عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور.

2 - رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم .

3- إرضاؤه العامة والخاصة : بمعنى أن العامة إذا قرأته أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة إذا قرءوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما تفهم العامة.

4- إرضاؤه العقل والعاطفة ، ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والعاطفة معا ، ويجمع بين الحق والجمال معا .

5 - جودة سبكه وإحكام سرده: ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر ، مع طول نفسه ، وتنوع مقاصده ، وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد.

---

[1] - ينظر: دراز ، محمد عبد الله . مدخل إلى القرآن الكريم ، ص:116.

[2] - ينظر: القرطبي ، محمد بن احمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن ، دار الشروق ، (دط) ، لبنان،(دت)، ج:1 ، ص:64/63.

6 – براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام : ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة ، تتقطع في حلبتها أنفاس الموهـــوبين من الفصحاء والبلغاء[1].

هذا والقرآن الكريم إلى اليوم لا يزال غضا طريا كما أنـــزل ، ولا يـــزال تـــأثيره مستمـــرا وإعجـــازه متواصلا ، ولا يزال أسلوب القرآن يأخذ بالألبـــاب ، ويـــستحوذ على الأفئدة ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ولم يظفر الوجود بأسلوب بلغ الإعجاز إلا فـــي القرآن العظيم ، وهيهات أن يستطيع بشر أن ينشئ آية واحـــدة من إبداعه تشبه أسلوب القرآن[2] .

3- 3 – البلاغة العالية:

البلاغـــة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة ، لها في الـــنفس أثـــر خلاب ، بحيـــث يلائم الكـــلام الموطـــن الـــذي قيـــل فيـــه، والمخاطبين به . وهـــي فن من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال ، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب .[3]

قال الراغب الأصفهاني : « البلوغ والبلاغ : الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى ... والبلاغة تقال على وجهين : أحدها أن يكون بذاته بليغا بأن يجمع ثلاثـــة أوصـــاف : صوابا في موضوع لغته وطبقا للمعنى المقصود به وصدقا في نفـــسه ... والثـــاني أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له وهو أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه حقيق أن يقبله المقول له وقوله تعالى:﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء:63] يـــصح حمله على المعنيين »[4].

---

[1] – ينظر: الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج:2 ، ص: 304 وما بعدها.

[2] – ينظر: أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، ص:180.

[3] – ينظـــر: الجـــارم ، علـــي ومصطفـــى أمين . البلاغـــــة الواضـــحة ، دار المعـــارف ، ط:15 ، مـــصر ، 1381هـــ /1961م ، ص:8.

[4] – الأصفهاني ، الراغب . معجم مفردات القرآن ، تح : نديم مرعشلي ، دار الكتـــاب العربـــي ، (دط) ، (دب)، 1392هــ/1978م ، مادة : بلغ ، ص: 58، 59.

وقد حاز القرآن الكريم على الذروة من البلاغة والفصاحة « فقد أتي فيه بالعجب العجاب والقول الفصل اللباب والبلاغة التي تحير الألباب وتغلق دونها الأبواب»[1]. ومنذ الوهلة الأولى لنزوله أخذ القرآن بمجامع القلوب ، وأدرك العرب وهم كانوا أساطين الكلام ، قد حازوا قصب السبق في مضماره ، أنهم أمام كلام جديد لا عهد لهم بمثله « ومن ههنا كانت دهشتهم له وكان عجبهم منه ، إذ رأوه يجري مجرى الفن مما لا يعرفون له فنا ، ووجدوه في ذلك بلاغة البلغاء جميعا ، واستيقنوه فوق ما تسع الفطرة »[2] يقول ابن القيم : « وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة ، وأجناس البلاغة ، وأنواع الجزالة ، وفنون البيان ، وغوامض اللسان ، وحسن التركيب ، وعجيب السرد ، وغريب الأسلوب ، وعذوبة المساغ ، وحسن البلاغ ، وبهجة الرونق ، وطلاوة المنطق ، ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء ، وألغى بلاغة البلغاء »[3]، إن المتأمل في القرآن الكريم ، وهو عالم بلغة العرب وتصرفها في الكلام ، وتشقيقها للمعاني ، يعلم علم اليقين أنه إزاء كلام عظيم مهيب ، قد جمع البلاغة بحذافيرها ، ولهذه البلاغة العالية ، ذلت له الرقاب ، وسجدت لهيبته الفصحاء ، وخضعت لسلطانه الخطباء، فكل يقتبس من ضيائه جذوة ، أو ينهل من مورده العذب ما يقيم به أود كلامه . وكل النفوس ـ مؤمنها وجاحدها ـ لا تستطيع أن تمتنع من التأثر بالقرآن وبلاغته الآسرة ، وتلك مزية في القرآن لا توجد في غيره من فنون الكلام« ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة والنفوس خشية وتستلذه الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع»[4] ، لقد كانت بلاغة القرآن بلاغة معجزة ، تحدى العرب بها ، فما استطاعوا لها قياما ، ورضوا لأنفسهم بالعجز والاستكانة عن أن يحاولوا خطوة واحدة في هذا السبيل ، ولم يؤثر عن أحد من الناس يحترم نفسه أنه أقحمها في معارضة القرآن ؛ بلى قد حاول بعضهم فلما رأى سخف محاولته ، ألقى الأقلام ومزق الصحف ، وأرق بالذل

---

[1] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية، (دط)، لبنان ، (دت) ، ص:7.

[2] – الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج:2 ، ص:254.

[3] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . المرجع نفسه ، ص:7.

[4] – المرجع نفسه ، ص:5.

والصغار ، فالقرآن العظيم «هو الذي سجدت لهيبته الفصحاء ، وخـضعت لـسلطانه الخطباء ، ففقأ عين الحاسد ، وأرغم أنف الشانئ ، ولم يبق للعرب معلقة إلا حطهـا ، ولا شاردة إلا عقرها ، بأسلوبه العجيب ، ونظامه الغريب ، حيث احتل مـن البلاغـة والفصاحة صدر النادي ، ومحتبى الدست ، ومرفّ اللواء ، وذروة المنبر ، فأصـبح المورد المستعذب ، والمنهل المورود ، والروض المرتاد... »[1] ، « وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة ، وعلم البيان ، ونظـر فـي أشـعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها وأراجيزها وأسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومدلوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبـدائع البـديع ومحاسن الحكم والأمثال »[2]، فمن عرف هذا أدرك أن القرآن هو« أكبر مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعبير البلاغية»[3] وما حواه القرآن من وجوه البلاغة وأنواعها ، لا يوجد في شعر العرب كلهم ولا في خطبهم ، ولا في حكمهم وأمثالهم ، ولقد أحسوا منذ البدء أنهم أمام كلام عظيم محكم في نظمه وبلاغته وأنهم عاجزون عن معارضته« مع العلم بأنهم أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وأشعر الشعراء ، وأخطب من كل مـتكلم بلسانهم بعدهم »[4].

إن بلاغة القرآن متميزة ومتفردة ، ومما يميزها أن الفصاحة والبلاغـة اسـتمرت بجميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا انقطاع ، وذلك لا يقدر عليـه أحد ، وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم ، لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائهـا في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ، ثم يعرض له الفترات الإنسانية فينقطـع أطيب الكلام ورونقه[5] ، أما القرآن، فإنك لا تجد لبلاغته فترة أو ضعفا فقد حوى بـين دفتيه البلاغة في أعلى صورها وأسمى مراتبها دون انقطاع .

---

[1] – ياسين ، خليل . أضواء على متشابهات القرآن ، دار ومكتبة الهلال ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ج:1 ، ص:5.

[2] – ابن القيم . محمد بن أبي بكر الزرعي . الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ص : 5 .

[3] – عتيق ، عبد العزيز . في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص:14.

[4] – الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب . التمهيد ، تح: الأب رتشرو يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية ، (دط) ، لبنان ، 1957، ص:157.

[5] – ينظر: الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكـر ، ط:3 ، (دب) ، 1400هـ /1980م ، ج:2 ، ص:101، والسيوطي ، عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن ، تح: محمد=

ومما يميز بلاغة القرآن أيضا أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها من حيث البيان متفاوتة، فمن الكلام ما هو بليغ ورصين وجزل ، ومنه ماهو فصيح وواضح وسهل ومنها ما يتسم بالإطلاق والإرسال وغير ذلك من أوجه البلاغة في إطارها الشامل ، وشأن القرآن في هذه البلاغات أنه يجمع بين ضروبها وأقسامها جمعا يؤلف أوجها شتى من البلاغة والجزالة ثم الفصاحة المستبينة التي يتجلى فيها اليسر والوضوح ، ثم الإطلاق الذي يجاوز التقييد ، ثم الإيجاز الذي يضم فيوضا من المعاني عبر كلمات رصينة يشد بعضها بعضا ، وكل هذا قد اجتمع في القرآن الكريم ، ومثل هذا لا يجتمع في أي كلام غيره ، ولا يتيسر في أي بيان سواه[1]. قال الزركشي :« جمع القرآن بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا في كلام البشر ، لأن الجزالة من الألفاظ لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة ، والعذوبة منها ما يضادها من السلاسة والسهولة»[2] ، إن البشر بطبعهم مهما أوتوا من الفصاحة والبراعة ، فلا بد أن ينحازوا إلى إحدى الطبقتين ، ولذا فإن من نحا المنحى الأول فإنه يروم الفخم من الألفاظ التي تحدث الروعة في الأسماع ؛ ومن نحا المنحى الثاني ، فإنه يطلب من الكلام ما كان عذبا شهيا ، أما أن يوجد كلا المنحيين في كلام شاعر أو خطيب وفي مستوى واحد فهذا ما لا يستطيعه بشر.

هذه هي بلاغة القرآن في سموقها وجلالها ورفعتها ، وقد كانت من الأسباب التي جعلت العرب يتأثرون بالقرآن الكريم ، وقد شدتهم إليه شدا قويا حتى صار الأدباء والكتاب والشعراء يحذون حذوها وينسجون على منوالها ، وهذا الذي جعل الشعراء

=أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، 1408هـ /1988م ، ج:4 ، ص:9 ، وكلاهما نقل عن حازم القرطاجني في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وقد عدت إلى الكتاب المذكور فلم أعثر فيه على ما نقلاه ، وقد رجح محقق الكتاب محمد الحبيب ابن خوجة أن يكون المنقول عن حازم قد ضاع مع الجزء المفقود من الكتاب ، ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، دار الغرب الإسلامي ، ط:2 ، لبنان ، 1981م ، ص: 94 من المقدمة.

[1] – ينظر: عبد العزيز ، أمير . دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط:2 ، الجزائر ، 1408هـ/ 1988م، ص: 124.

[2] – الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج:2 ، ص:107.

والأدباء الذين أدركوا الإسلام ، وسمعوا الطبقة العالية من الكلام ــ كما قال ابن خلدون ــ أرفع طبقة في البلاغة من شعراء الجاهلية[1].

3 – 4 – الجرس الصوتي:

يتفرد القرآن الكريم بنظامه الصوتي ، كما يتفرد بأسلوبه وبلاغته واختيار ألفاظه، والسامع للقرآن الكريم يقر بهيبته وجلاله ، كما يقر بحلاوته وعذوبته ، ولقد قال الوليد بن المغيرة من قبل :« إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه»[2]، وهذه شهادة من كافر ، يقر فيها بحلاوة القرآن ، وأنه لا يكاد يلامس السمع حتى يخالط الأفئدة ، ويمازج دخيلة النفوس « ونريد بنظام القرآن الصوتي ، اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته ، واتصالاته وسكتاته ، اتساقا عجيبا ، وائتلافا رائعا ، يسترعي الأسماع ، ويستهوي النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور»[3]، إن كل من يستمع منصتا إلى القرآن الكريم يشعر « بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب ، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف عن توقيع الموسيقى وترنيم الشعر»[4] ، وقد كان هذا الجمال الصوتي والجرس الآسر ، أول ما صدم الأذن العربية أيام نزول القرآن ، فأحست فيه شيئا لم تألف مثله من قبل ، ولذلك قالوا عنه شعرا وقالوا عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ شاعرا ، وقد قالوا ما قالوا إما مكابرة وإما لأنهم لم يجدوا شيئا أقرب إلى هذا الذي سمعوه غير الشعر .

إن الجرس الصوتي الآسر في القرآن الكريم ، يبدأ من الكلمة الواحدة ، فحروف الكلمات مختارة ، وهذه الحروف تعطي بأصواتها جرسا خاصا ، وكل كلمة تتميز بجرسها الصوتي ، وإن اتفقت مع غيرها في تأدية المعنى ، وهذا لا يعني أن القرآن يختار الكلمات لأجل أصواتها مضحيا بالمعنى ، فالمعنى مقدم في القرآن الكريم ، ولكن القرآن يختار من الكلمات ما كان منها أوقع جرسا في الأذن ، وأعمق أثرا في النفس ،

---

[1] – ينظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، ص: 632.
[2] – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج:10 ، ص:6866.
[3] – الزرقاني ، محمد بن عبد العظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج:2 ، ص:304.
[4] – المرجع نفسه ، ص:305.

فإن من أسرار التأثير القرآني « ذلك الإيقاع الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص»[1]، فكل كلمة في القرآن اختيرت لتؤدي وظيفة لا يمكن لغيرها أن تؤديها ، فلو عمدنا إلى تغيير كلمة بوضع أختها مكانها مما يناسبها في المعنى ، لنبت هذه الأخيرة عن السمع ، ولما أمكن أن توضع في المكان نفسه إلا الكلمة التي أختارها القرآن لذلك الموضع ، فكل كلمة لها جرس خاص لا يوجد في غيرها ، وهذا الجرس له إيحاء بمعنى معين بحيث ندركه ونشعر بالفرق بينه وبين غيره ، وكمثال على ما نقول : صوت النار يطلق عليه العرب (جلبة) وتسميه قريش(حسيس) ويدرك السامع أن الجرس المنبثق من تكرار حرف السين ــ وهو من حروف الصفير ــ يشبه إلى حد كبير صفير النار ، ولهذا استعمل القرآن لفظة (حسيس) في قوله تعالى:﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء:102][2] ، ورغم نزول القرآن الكريم بلغة قريش إلا أنه اختار من غيرها من لغات القبائل أكثر الألفاظ تناسبا وتناسقا وانسجاما صوتيا حيث « لم يهمل الفصيح والبليغ من لغات بقية القبائل فاختار من ألفاظها أدقها تعبيرا عن المعنى ، وأخفها نطقا على اللسان ، وأوقعها في النفس جرسا ، فضمّنها متنه الكريم»[3] ، ولكن الجرس الصوتي في القرآن لا يقتصر على الكلمة المفردة ، بل يتعداها إلى نظم القرآن كله ، فالاتساق والانسجام والتناسب ، ينسحب على النص الكريم كله، فلا يوجد حرف فيه ولا كلمة ولا جملة ، نابية عن موضعها أو مضطربة فيه ، فبناء القرآن محكم في كل جانب من جوانبه ؛ يقول الدكتور صبحي الصالح :« وننتهي إلى إعجاز القرآن ، فإذا نحن نرد سحره إلى نسقه الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعا ، بموسيقاه الداخلية ، وفواصله المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل ، وتقفيته التي تغني عن القوافي »[4] ، ويقول سيد قطب :« وحيثما تلا الإنسان القرآن ، أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه يبرز بروزا واضحا في السور القصار والفواصل السريعة... ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور

---

[1] – قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، ص: 87.

[2] – قلعة جي ، محمد روّاس . لغة القرآن لغة العرب المختارة ، دار النفائس ، ط:1، لبنان ، 1408هـ/ 1988م، ص:70.

[3] – المرجع نفسه ، ص :49 .

[4] – الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، ص:345.

الطوال...ولكنه على كل حال ملحوظ دائما في بناء النظم القرآني»،[1] ويقول الرافعي متحدثا عن تأثير القرآن فيمن يسمعه « حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء... فإنه إنما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة، كأنها توقعه توقيعا ولا تتلوه تلاوة »[2]، ويقول أيضا :« كل الذين يدركون أسرار الموسيقى وفلسفتها ، لا يرون في الفن العربي بجملته شيئا يعدل هذا التناسب الذي هو طبيعي في كلمات القرآن وأصوات حروفها ، وما منهم من يستطيع أن يغتمز في ذلك حرفا واحدا ، ويعلو القرآن على الموسيقى أنه مع هذه الخاصة العجيبة ليس من الموسيقى»[3].

ونجد الجرس الصوتي في القرآن لا في البناء الكلي والفواصل والجمل والكلمات فحسب، بل نجده أيضا في هذه الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض سور القرآن مثل :﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق:1] و﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص:1] و﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم:1] ، فالعرب لم يكن لهم عهد باستعمال هذه الحروف مثل هذا الاستعمال ، حتى جاءهم القرآن بهذه الطريقة العجيبة ، فوقفوا منها موقف المتحير ، وهي تقرع أسماعهم منبهة إلى أن هذا القرآن هو من جنس هذه الحروف ومركب مما ألفوا من الأصوات ، ولكن هيهات أن يأتوا بمثله ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء :88] ومن مزايا هذه الحروف التي في أوائل السور أنها تشد الأسماع إلى القرآن حين يتلى ، يقول صبحي الصالح :« وما تنفك هذه الحروف من عوامل الاستغراب ، ولا يخلق الاستغراب إلا الاهتمام ، ولا يثير الاهتمام إلا التنبيه ، ولن ينبه الناس ويقرع أسماعهم صوت أحلى وقعا من هذه الحروف المقطعة الأزلية التي همستها السماء في أذن الأرض »[4].

---

[1] – قطب ، سيد . التصوير الفني في القرآن ، ص:103.

[2] – الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، ج:2 ، ص:213.

[3] – المرجع نفسه ، ص: 214.

[4] – الصالح ، صبحي . مباحث في علوم القرآن ، ص:246.

الفصل الثاني :

المفاهيم النظرية للفاصلة القرآنية والصوت والدلالة.

1 ـ الفاصلة القرآنية :

1 ـ 1 ـ تعريف الفاصلة لغة واصطلاحا :

أولا : تعريف الفاصلة لغة : مادة (**فَصَلَ**) تدور على معان منها : **الفَصْلُ** وهو البون أو الفرق بين الشيئين ، و**فَصَلَ** : قطع ، و**فَصَلَ** من البلد خرج منه ، و**فَصَلَهُ** عن غيره أي نحاه ، و**فَصَّلَ** الشيء جعله **فُصُولاً** متمايزة ، و**التَّفْصِيل:** التبيين والتمييز، و**الفَاصِلَة** هي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد ونحوه[1].

ثانيا : تعريف الفاصلة اصطلاحا:

للفاصلة تعريفات عدة حسب اصطلاح أهل كل علم:

ا ـ في علم العروض : الفاصلة عند العروضيين نوعان صغرى وكبرى : فالصغرى ثلاث متحركات قبل ساكن نحو: **ضَرَبَتْ** والكبرى أربع حركات بعدها ساكن نحو: **ضَرَبَتَا.**[2]

ب ـ في علم النحو: ضمير الفصل:« وهو حرف وضع على صورة الضمير، فيسمى ضميرا مجازا ... يؤتى به للتوكيد أو إزالة الإبهام ، وللفصل فيما يتوهم أنه صفة أو بدل وهو في الحقيقة خبر نحو : إن الله هو الغفار، فضمير الفصل « هو» يبين أن الغفار خبر وليس صفة إذ بغيره قد يتوهم أن يكون صفة »[3].

ج ـ في علم الحساب : الفاصلة هي العلامة في حساب الكسور العشرية تكتب بين الكسر والعدد [4].

---

[1] – ينظر: الأزهري ، أبو منصور محمد. تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط) ، مصر، 1966م، ج:12 ، ص: 192 وما بعدها وابن منظور، محمد بن مكرم . لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط)، مصر ، (دت) ، ج:14 ، ص: 35 وما بعدها وأنيس ، إبراهيم وآخرون . المعجم الوسيط ، دار المعارف ، ط:2 ، مصر ، 1392هـ/1972م ، ج:2 ، ص: 691 .

[2] – الهاشمي ، السيد أحمد . ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط:2 ، لبنان ، 1415هـ/1995م ، ص: 9 ، 10.

[3] – الحمد ، علي توفيق ويوسف جميل الزعبي. المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص:347.

[4] – أنيس ، إبراهيم وآخرون . المرجع نفسه ، ص:691.

د ــ في علامات الترقيم : الفاصلة (،) وتستعمل لفصل أجزاء الكلام عن بعض ، فيقف القارئ عندها وقفة خفيفة، أي يسكت سكتة لطيفة ، تشعر بأن جزءا من الكلام المتصل قد انتهى ، ولتمييز أجزاء الكلام عن بعضه[1].

هـ ــ في علوم القرآن: الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر الآية ، جاء في لسان العرب : وأواخر الآيات من كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر ــ جل كتاب الله عز وجل ــ واحدتها فاصلة[2].

والفاصلة مرادفة لرأس الآية ، وهي بمثابة القافية التي هي آخر كلمة في البيت ، ومقطع الفقرة المقرون بمثلها في السجع[3].

الفاصلة هي آخر كلمة في الآية ، يكاد يتفق عليها الدارسون ، ولم يخالفهم ، فيما اطلعت عليه ، إلا أبو عمرو الداني ، الذي نقل عنه الزركشي أنه قال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. وهذا قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية[4] ، وقد احتج الداني بقول سيبويه وردّ عليه الجعبري بأن مراد سيبويه الفواصل اللغوية لا الصناعية. وإلى كون الفاصلة هي رأس الآية ذهب الزركشي في قوله:« وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام»[5]، ويفهم من هذا أنه يربط الفواصل بالوقف ، والوقف مرتبط عادة برؤوس الآي ، ويعلّل لتسمية الفواصل بأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها[6].

---

[1] – يوسف ، حسني عبد الجليل. علم كتابة اللغة العربية والإملاء ، دار السلام، ط:1 ، مصر ، 142هـ/2006م ، ص:141.

[2] – ابن منظور ، محمد بن مكرم. لسان العرب ، ج: 14 ، ص: 39.

[3] – القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل ، دار السلام ، ط:1، مصر ، 1429هـ/2008م ، ص:84.

[4] – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط:1 ، مصر ، 1376هـ/1957م ، ج:1 ، ص:53 ، 54.

[5] –المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[6] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

1 ــ 2 ــ سبب التسمية :

سمّى العلماء أواخر الآيات فواصل تمييزا للقرآن عن غيره من أنــواع الكــلام ، وهذه التسمية تجد مستندها من القرآن الكريم نفسه ، فقد جاءت آيات كثيرة في الكتاب الكريم تحمل إشارة إلى هذه التسمية ومن ذلك:

- ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:98] .
- ﴿ آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف:133] .
- ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ ﴾ [فصلت:3] .

فهذه الآيات وغيرها من كتاب الله تحمل على معنيين[1] :

الأول: التفصيل بمعنى التبيين ، ومفصلات بمعنى مبينات.

الثاني: تفصيل الآيات بالفواصل ، بأن يكون بين كل آيتين فاصلة أي مهلة وعلى هــذا تكون الفاصلة هي نهاية الآية. وقد أخذ العلماء هذه التسمية لتكون علما علــى أواخــر الآيات تنزيها للقرآن عن مصطلحات الفنون الأخرى، نقل السيوطي عــن الجــاحظ ، قال:« سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل: سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت ، وآخرهــا فاصلة كالقافية »[2].

1 ــ 3 ــ الفرق بين الفاصلة والقافية وقرينة السجع :

لاشك أن الشعر والنثر فنان مختلفان، فالأول موزون مقفى ، والثاني منه مرســل ومسجوع ، ولا شك أيضا أن القرآن مختلف عنهما تماما ، فهو كتاب فريد من نوعه لا يشبهه أي كلام آخر ، ولذلك جاءت تسمياته مخالفة لتسميات غيره ، فإذا كان آخر بيت الشعر يسمى قافية وآخر المقطع من السجع يسمى قرينة ، فإن آخر الآية من القــرآن يسمى فاصلة.

وقد بحث العلماء علاقة القرآن بغيره من فنون القول ، وتنــاولوا وجــود الــشعر والسجع في القرآن، أما الشعر فلم يجرؤ أحد ، ممن يعتد بقوله ، على القول بوجــوده

---

[1] – ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد. تهذيب اللغة ، ج:12 ، ص:194.

[2] – السيوطي ، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن ، ج:1 ، ص:143.

في القرآن حتى وإن وجد فيه آيات على مثال الموزون[1] ، وهذا لم يكن الوزن فيه مقصودا ، وأما السجع فقد ثار حول وجوده في القرآن جدل كبير.

ولابد أن ننطلق في هذه المسألة من مسلمة ؛ وهي أن القرآن كلام الله تعالى ، وكما أن الله تعالى لا يشبه شيئا من خلقه، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11] ، فكذلك كلامه لا يشبه كلامهم. وقد نفى القرآن عن نفسه مشابهة غيره فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة:41 ، 42 ، 43] وهذا النص الكريم يقرر حقيقتين ، إحداهما تنفي عن القرآن أن يكون قول شاعر أو كاهن ، وهذه مؤداها نفي الشعر وقول الكهان الذي هو السجع عن القرآن الكريم ، والثانية تثبت أن القرآن متميز ومتفرد عن سائر الكلام فهو تنزيل من رب العالمين لم يتقوّله إنسان. وحتى وإن بدا شبه صوتي ظاهري بين القرآن والشعر جعل العرب بادئ الأمر يتوهمون أنه شعر ، ولكنهم سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة ، إذ تبين لهم فساد رأيهم، غير أن القرآن نفى بشكل قاطع في كثير من آياته أن يكون له صلة بالشعر ، قال تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس:69] ، وقال أيضا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور:30] ، وبهذا يكون نفي الشعر عنه محسوما ومجمعا عليه ، « ومما يتميز به القرآن من الشعر ، أي شعر ، أن الحد الأدنى للشعر هو الكلام الموزون عروضيا ، المقفى من حيث الشكل ، وأن الشعر من وضع البشر ، ثم هو خاضع لما يخضع له البشر من غلو في الانفعال والتصور. وليس في القرآن العزيز شيء من ذلك»[2] وإذا كان نفي الشعر عن القرآن محسوما فليس كذلك السجع ، إذ ثار حوله خلاف قديم ولا يزال مستمرا بين من يبحثون في بلاغة القرآن وإعجازه ، وانقسم العلماء

---

[1] – ينظر: المطعني، عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني ، ج:1 ، ص:299 وما بعدها وأنيس ، إبراهيم. موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:7 ، مصر ، 1997م ، ص:329 وما بعدها.

[2] – الحسناوي ، محمد. الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، ط:2 ، الأردن ، 1421هـ/2000م ، ص:130.

بين مثبت وناف ، وممن نفى السجع عن القرآن ؛ الباقلانـــي[1] ، وعموم الأشاعــرة[2] ، وابن خلدون الذي يقول:«... والقرآن وإن كان من النثر إلا أنه خارج عن الوصــفين ليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي بمقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها »[3]، ومن الذين قالوا بوجود السجع في القرآن ؛ ابــن الأثيــر صــاحب كتــاب المثل السائر، وأبو هلال العسكري ، وابن سنان الخفاجي ، وقــد قــدم كــلا الفريقين أدلته وحججه[4].

والذي يبدو لي أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحيا ، فالذين أثبتوا السجع وجدوا في بعض السور ما يشبه السجع مثل سورة (الرحمن) وسورة (القمر) وغيرها، والذين نفوا السجع عن القرآن أرادوا تنزيه كتاب الله أن ينسب إليه ما نسب إلى الطير وغيره أو أن يشابــه أساليب الناس في كلامهم ، يقول الدكتور المطعني : « والمسألة بعد ـــ في رأي الإنصاف ـــ بين نفاة السجع ومجوزيه لا تعدو أن تكون خلافا لفظيا مــا دام الاثنان متفقين على تنزيــه القــرآن عــن التكلــف والتــوعر والتقليــد»[5] ، ويقــول الحسناوي:« إن القول بسجع القرآن حيف ولا نقول السجع عيب ، وإن القول بالفاصلة لا شريك لها رد للأمور إلى نصــابها ، ونظرة إلى ظــاهرة قرآنية مطردة في القرآن كــله ، وفي ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان . كمــا فيــه انسجــام مع إشارات القرآن ﴿ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾[6] ، ﴿ آيَـــاتٍ مُفَــصَّلَاتٍ ﴾[7] »[8] ، وعلى هذا نقول: حتى وإن وجد في القرآن ما هو على شاكلة السجع ، فالذي تــستريح إليه النفس هو تسمية القرآن بتسمياته الخاصة ، لأن القرآن متميز عن غيره في كــل

---

[1] – ينظر: أنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر ، ص:324.

[2] – ينظر: المطعني ، عبد العظيم . خصائص التعبير القرآني ، ج:1 ، ص:220.

[3] – ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة ، ص:619.

[4] – ينظر: سلطان ، منير. البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف ، (دط) ، مصر ، 1986م ، ص:27 وما بعدها والحسناوي ، محمد .الفاصلة في القرآن ، ص:105 وما بعدها والمطعني ، عبد العظيم. المرجع نفــسه ، ص:219 وما بعدها .

[5] – المرجع الأخير نفسه ، ص:224 .

[6] – الأعراف:52.

[7] – الأعراف133.

[8] – الحسناوي ، محمد . المرجع نفسه ، ص:125.

شيء ، فلا يقال قافية القرآن ولا سجعة القرآن وإنما يقال فاصلة ، وبهذا تتمايز المصطلحات : فالقافية للشعر والسجعة أو القرينة للسجع ومصطلح الفاصلة خاص بالقرآن لا يشاركه غيره فيه ، مصطلح أصيل يستمد تسميته من القرآن نفسه ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ ﴾ [فصبت:3] .

1 ــ 4 ــ ضوابط الفواصل :

فواصل القرآن هي رؤوس الآي وآخر الكلمات فيها، ومعرفة الفاصلة هي معرفة نهاية الآية وبداية الآية الأخرى ، وعلى معرفة الفواصل يعوّل في عدّ آيات القرآن ولمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي[1].

الطريق التوقيفي: وهو طريق السماع ، وهو ما نقله الرواة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما جاء في حديث أم سلمة الذي رواه أبو داود وغيره أنه عليه السلام كان يقطع قراءته آية آية ، وقرأت: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ تقف عند كل آية. وظاهره أنه كان يقطع قراءته بالوقوف على رؤوس الآي في الفاتحة وغيرها ، ليعلم الناس الآيات .

الطريق القياسي : إن ما وقف عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفها ، أو لتعريف الوقف التام أو الاستراحة ، والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة تقدم تعريفها ... فحصل التردد وحينئذ احتيج إلى القياس. قال الزركشي في تعريف القياسي:« وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب ، ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته محلّ فصل ووصل»[2].

---

[1] – ينظر: ابن عقيلة ، محمد بن أحمد المكي . الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، جامعة الشارقة ، ط:1 ، الإمارات العربية المتحدة ، 1427هـ/2006م ، ج:3 ، ص:489 وروستوفدوني ، موسى جار الله . شرح ناظمة الزهر في عد الآيات وتعيين فواصل القرآن ، تح : عمر سالم أبي حسن المراطي النيجيري ، دار الصحابة بطنطا ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ص:5.

[2] – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن ، ج:1 ، ص:98.

وقد حدد العلماء طرقا أربعة لمعرفة الفواصل وهي[1]:

أولا: مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا وقصرا ، وذلك معروف بالاستقراء والتتبع فالعلماء لما تتبعوا الآيات والفواصل في السور الطويلة والقصيرة وجدوا أن الآيات الطوال لم تجئ إلا في السور الطوال ، والقصار لم تجئ إلا في أقصر السور ، فاعتبروا ذلك أصلا في معرفة الفواصل ، وهذا الحكم على التغليب ، إذ قد يجيء الأمر على خلاف الأصل تبعا للتوقيف ، فما ثبت بالتوقيف عد من الفواصل ولو كان على خلاف الأصل.

ثانيا: مشاكلة الفاصلة لما معها في السورة من الفواصل في الحرف الأخير إن لم يكن قبله حرف مد ، أما إذا كان ما قبل الأخير حرف مد فقياسها يكون بما قبل الآخر، ولا يشترط في حرف المد أن يكون واحدا بل قد يكون مرة واوا ومرة ياء وأخرى ألفا.

ثالثا: الاتفاق على عد نظرائها فإذا كان هناك اتفاق على عد فواصل في سور أخرى فهو دليل على أن هذه الكلمة في هذه الآية فاصلة ومثاله ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آل عمران:49] ، فقد عده البصري[2] وذلك حملا على ما في الأعراف،الآية:105 والشعراء، الآية:17 والسجدة، الآية:23 والزخرف، الآية:59.

رابعا: انقطاع الكلام عندها، بأن تكون آخر السورة ، أو تكون نهاية القصة ، أو تكون آخر الموضوع بحيث ينتقل سياق الكلام إلى موضوع جديد.

1 ــ 5 ــ الوقف على الفاصلة :

إن جمالية الفاصلة صوتيا لا تتحقق إلا بالوقوف عليها ، فالوقف على الفواصل يعطيها ذلك الجرس الصوتي الآسر ، الذي يأخذ بالألباب ، ولهذا كان أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن ، روى ابن الجزري عن ابن عمر قوله : « لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها

---

[1] – ينظر: القاضي ، عبد الفتاح. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر ، ص:85 وما بعدها.

[2] – المذهب البصري في عد الآيات ، وهو ما رواه عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ، وهو ينسب بعد إلى أيوب ابن المتوكل ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وعدد الآيات عندهم :6204 ، ينظر: روستوفدوني ، موسى جار الله . شرح ناظمة الزهر ، ص:10.

وزاجرهــا وما ينبغي أن يوقف عليه منها»[1]، وقال الزركشي: « إن مبنى الفواصــل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور ، وبالعكس »[2] ، وهذا يعنــي أنــه لولا الوقف لذهب جمال الفواصل ، لأن بعضها ينتهي بــالمرفوع ، وبعــضها ينتهــي بالمجرور أو المنصوب ، فإذا لو يوقف عليها بالسكون ذهب جمالها .

وقد تكلم العلماء عن الوقف على الفواصل وحكمه في مبحث الوقوف على رؤوس الآي ، ورؤوس الآي هي الفواصل ، وقد ذهبوا في ذلك أربعة مذاهب[3]:

المذهب الأول : ويــرى أصحابه أن الوقف على الفواصل سنة مهما كان تعلقها بمــا بعدها من جهة اللفظ أو المعنى ، ومعتمد هؤلاء على حديث أم سلمة المتقدم وفيه أنــه كان ــ عليه السلام ــ يقطع قراءته آية آية ، وهم يرون جواز الوقف على الفواصــل ولو أدى إلى فساد المعنى ، ورد الجعبري على هؤلاء ــ كما ذكر الزركشي ــ بــأن فعله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إنما كان لبيان رؤوس الآي[4].

المذهب الثاني : ويرى أصحابه جواز الوقف على الفواصل والابتداء بما بعدها إذا لم يكن في ذلك إخلال بالمعنى ، فإن كان فيه إخلال بالمعنى جاز الوقوف عليهــا عمــلا بالسنة ولكن لا يبتدئ القارئ بما بعدها بل يتحتم عيه أن يعود فيصلها بما بعدها حفاظا على المعنى الصحيح.

المذهب الثالث : ويرى أصحابه أن المراد من حديث أم سلمة هو السكت بــلا تــنفس على رأس كل آية ، وذلك لبيان رؤوس الآي .

المذهب الرابع : ويرى أصحابه أن حكم الوقوف على الفواصل كحكم الوقف على أي موضع آخر ، وأن ذلك مرتبط بالمعنى والإعراب ، فإن لم يكن بين الفاصلة وما بعدها

---

[1] – ابن الجزري ، محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر ، تح: علي محمد الضباع ، المكتبة التجارية الكبرى ــ القاهرة ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ج:1 ، ص:225.

[2] – الزركشي ، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن ، ج:1 ، ص:69.

[3] – ينظر: الحصري ، محمود خليل . معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء ، مكتبة السنة ، ط:1 ، مــصر ، 1423هــ/2002م ، ص:49 وما بعدها وصالح ، عبد الكريم إبراهيم عوض . الوقف والابتداء وصلتهما بــالمعنى في القرآن الكريم ، دار السلام ، ط:1 ، مصر ، 1427هــ/2006م ، ص:35 وما بعدها.

[4] – ينظر: الزركشي ، بدر الدين . المرجع نفسه ، ص:98.

تعلق لفظي أو معنوي جاز الوقف عليها وإلا فلا ، « ولهذا وضع أصحاب هذا المذهب علامات الوقف فوق الفواصل ، كما وضعوها فوق غيرها مما ليس برأس آية»[1].

ويبدو أن الرأي الصحيح هو جواز الوقوف على الفواصل لتحسين التلاوة وإعطائها جرسا صوتيا ، إلا أن المعنى يجب أن يراعى ، فلا يجوز التضحية بالمعنى من أجل الجمال الصوتي ، لأن القرآن الكريم رسالة تتطلب التبليغ وهذا لا يتم مع غموض المعنى .

1 ـ 6 ـ التناسب بين الفواصل :

إن الجمال الصوتي للفواصل لا يتحقق إلا إذا كان بينها تناسب ، والتناسب بين الفواصل هو توافقها في الوزن ، أو في الحرف الأخير ، أو فيهما معا :

فمثال التوافق في الوزن:﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى :1 ، 2] .

ومثال المتوافق في الحرف الأخير:﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح : 13 ، 14].

ومثال المتوافق في الوزن و الحرف الأخير:﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَاب مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية : 13 ، 14].

وفقد ذكر العلماء المناسبة بين الفواصل ، فقال الزركشي : « واعلم أن إيقاع المناسبة في الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما»[2] ، وقال عبد الفتاح لاشين : «... وتناسب الأطراف وتماثل الحروف ، مما يريح السامع ويجذب انتباهه»[3] ، وقال ابن الصائغ : « اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ترتكب لها أمور من مخالفة الأصول »[4]، فمراعاة المناسبة بين الفواصل يتطلب أحيانا الخروج عن الاستعمال اللغوي مثل تقديم

---

[1] – صالح ، عبد الكريم إبراهيم عوض . الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ، ص:37.

[2] – الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن ، ج:1 ، ص:60.

[3] – لاشين ، عبد الفتاح . الفاصلة القرآنية ، دار المريخ ، (دط) ، السعودية ، 1402هـ/1982م ، ص:22.

[4] – ينظر: ابن عقيلة ، المكي. الزيادة والإحسان ، ج:3 ، ص:506 والسيوطي ، عبد الرحمن . الإتقان في علوم القرآن ، ج:3 ، ص:296.

ما حقه التأخير ، أو تقديم المفضول على الفاضل ، أو زيادة حرف كـــألف الإطــــلاق وهاء السكت ، وغير ذلك . وقد ذكر ابن الصائغ نحوا من أربعين وجها من الخـــروج عن الأصل لأجل الفاصلة وتحقيق التناسب ، ولابد أن نشير هنا إلى أن ذلك لا يكــون على حساب المعنى ، بل إننا نجد الجمال الصوتي إلى جانب الجمال المعنــوي ، فـــلا يُضحّى أبدا بالمعنى من أجل الجمال الصوتي، لأن القرآن الكريم مع جمال نسقه وبنائه فإنه ليس كتابا أدبيا محضا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، بل هو رسالة تتطلب الإبلاغ وشريعة تتطلب العمل .

ومما ذكره ابن الصائغ من أوجه الخروج عن الأصل ما يأتي:

ـ زيادة حرف مثل ألف الإطلاق وهاء السكت ، فألف الإطلاق فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10] ، وقوله: ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [الأحـــزاب: 66]. وهاء السكت في قوله:﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِـــسَابِيَهْ﴾[الحاقّة: 19 ، 20] ، وقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القاعة:10].

ـ حذف حرف مثل حذف الياء في قوله:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر:4] وهـــي يـــاء أصلية حذفت لأجل الفاصلة ، وحذف ياء المتكلم في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: 78 ، 79 ، 80].

ـ تقديم ما أصله التأخير مثل :﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَـــةً مُوسَـــى ﴾ [طـــه: 67] ، فالأصل: فأوجس موسى في نفسه خيفة.

ـ تقديـــم المفضـــول وتأخيـــر الفاضـــل ، مثـــل : ﴿ قَـــالُوا آَمَنَّـــا بِـــرَبِّ هَـــارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه:70][1].

1 ـ 7 ـ أقسام الفواصل :

للفواصل تقسيمات عدة ، كل تقسيم باعتبار معين ، فهناك تقسيم باعتبار الحـــرف الأخير ، وتقسيم باعتبار الوزن ، وتقسيم باعتبار علاقة الفاصلة بما قبلها في الآية :

1 ـ 7 ـ 1 ـ تقسيم الفواصل باعتبار الحرف الأخير :

وتتقسم الفواصل بهذا الاعتبار إلى:

---

[1] – ينظر: السيوطي ، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن ، ج:3 ، ص: 296 وما بعدها وابن عقيلة ، المكـــي . الزيادة والإحسان ، ج:3 ، ص:506 وما بعدها.

الفواصل المتماثلة: وهي التي تماثلت حروفها الأخيرة كقوله تعالى :﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:1 ــ 4] . وقد تتفق الفاصلتان في حرف أو أكثر قبل الحرف الأخير وهو ما يسمى « الالتزام » :

ــ مثال التزام حرف: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:1 ــ 4] .

ــ مثال التزام حرفين: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ [الطور:1 ، 2] .

ــ مثال التزام ثلاثة حروف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201 ، 202] .

الفواصل المتقاربة : وهي التي تقاربت حروفها الأخيرة كتقارب الميم والنون في قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 2 ، 3] أو كتقارب الدال والباء في قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: 1 ، 2][1].

1 ــ 7 ــ 2 ــ تقسيم الفواصل باعتبار الوزن :

تنقسم الفواصل باعتبار وجود الوزن أو عدمه ، أو اجتماعه مع عنصر آخر أو انفراده إلى خمسة أقسام هي:

المطرّف : وهو ما اختلف في الوزن و اتفق في الحرف الأخير مثل:﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:13 ، 14].

المتوازي : وهو ما اتفق في الوزن والحرف الأخير معا مثل:﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية:13 ، 14].

المتوازن : وهو ما اتفق في الوزن دون الحرف الأخير مثل:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [الليل:1 ، 2].

---

[1] – ينظر: الزركشي ، بدر الدين. البرهان ، ج: 1، ص:72 وما بعدها والسيوطي ، عبد الرحمن. الإتقان ،ج:3 ، ص: 314 وابن عقيلة ، المكي. الزيادة والإحسان ، ج:3 ، ص:529 والحسناوي ، محمد . الفاصلة في القرآن ، ص:145 وما بعدها وزاد الفاصلة المنفردة وهي التي لا يتماثل حرفها الأخير ولا يتقارب مع ما قبلها ولا ما بعدها ومثالها الفاصلة الأخيرة من سورة الضحى.

المرصّع: وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن والحرف الأخير ويكون بينهما مقابلة مثل:﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار:13 ، 14].

المتماثل :وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون الحرف الأخير ويكون بينهما مقابلة مثل:﴿ وَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات:117 ، 118][1] .

1 ــ 7 ــ 3 ــ تقسيم الفواصل باعتبار العلاقة بما قبلها :

وقد سماه القدماء ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام ، وأقسامه هي :

التمكين: وهو أن يمهد للفاصلة بما يجعلها تأتي متمكنة غير نافرة ، يتعلق معناها بما قبلها تعلقا تاما ، بحيث لو طرحت اختل المعنى ، مثل:﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب:25] ، فقد جاء آخر الآية تمكينا للمعنى قبلها لئلا يظن السامع أن سبب هزيمة الأعداء هو الريح ، وهي إنما هبت بأمر الله.

التصدير: وهو أن تتقدم لفظة الفاصلة بعينها في الآية ، وهو ثلاثة أقسام :

ــ أن يوافق آخر الآية آخر كلمة في الصدر نحو:﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:166]

.ــ أن يوافق آخر الآية أول كلمة في الصدر نحو:﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:8].

ــ أن يوافق آخر الآية كلمة في الحشو نحو:﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام:10].

التوشيح: وهو أن يرد في الآية ما يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها نحو:﴿ وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [يس:37]. فإن صدر الآية يوحي بفاصلتها ، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم.

الإيغال : وهو أن ترد الآية بمعنى تام وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى ومنه :

---

[1] – ينظر: لاشين ، عبد الفتاح. الفاصلة القرآنية، ص:19 والزركشي . البرهان ، ج:1 ، ص:75 ، 76 والسيوطي. الإتقان ، ج:3 ، ص:311 وابن عقيلة. الزيادة والإحسان، ج:3 ،ص:524 ، 525 والحسناوي. الفاصلة في القرآن ، ص:149 ، 150.

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل:80] فقد تم المعنى بقوله : ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ فزاد معنى فقال : ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾[1].

2 ـ الصوت :

2 ـ 1 ـ الصوت والحرف الفونيم :

2 ـ 1 ـ 1 ـ الصوت :

أولا : تعريف الصوت لغة : قال ابن جني :« الصوت مصدر صات الشئ يصوت صوتا فهو صائت ...وهو عام غير مختص ، يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان :19]»[2].

ثانيا : تعريف الصوت اصطلاحا : ربط ابن سينا الصوت بتموج الهواء من أي سبب كان ، وربط هذا التموج بسببين هما : القرع والقلع ، ويلزم منهما تموج سريع عنيف في الهواء يتأدى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه ، فتحس به العصية المفروشة في سطحه[3]. وجاء في تعريف أحد المعاصرين : « وقد ثبت علميا أن الصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت وتتذبذب من مصانعه المصدرة له ، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى ، يستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها »[4]. وهذان تعريفان عامان، أما الصوت اللغوي ، فقد عرفه ابن جني بقوله:« الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته»[5]. وعرفه الدكتور كمال

---

[1] – ينظر: الزركشي.البرهان ، ج:1 ، ص:79 وما بعدها والسيوطي. الإتقان ، ج:3 ص: 302 وما بعدها وابن عقيلة. الزيادة والإحسان ، ج:3 ، ص:513 وما بعدها ولاشين . الفاصلة القرآنية ، ص:39 وما بعدها والحسناوي. الفاصلة في القرآن ، ص:286 وما بعدها.

[2] – ابن جني ، أبو الفتح عثمان . سر صناعة الإعراب ، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، ط:2 ، لبنان ، 1427هـ/2007م ، ج:1 ، ص: 23.

[3] – ابن سينا ، أبو علي الحسين . أسباب حدوث الحروف ، تح: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجزيرة للنشر والتوزيع ، (دط) ، مصر ، 1428هـ/2007م ، ص: 123.

[4] – الصغير ، محمد حسين علي. الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط:1 ، لبنان، 2000م، ص:4.

[5] – ابن جني ، أبو الفتح عثمان .المرجع نفسه ، ص: 19.

بشر بقوله :« الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق»[1].

2 ـ1 ـ 2 ـ الحرف :

أولا: تعريف الحرف لغة: ذكر ابن جني : « أن (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته». [2]

ثانيا: تعريف الحرف اصطلاحا: الحرف عند القدامى هو الصوت ، ولهذا عرفه ابن سينا بقوله :« الحرف هيئة للصوت عارضة يتميز بها عن صوت آخر»[3] ، يقول الدكتور عبد العزيز الصيغ :« فالحرف إذن مصطلح لدى علماء العربية للرمز الكتابي والصوت اللغوي»[4] ، وينقل الدكتور قدور عن الرازي (ت بعد 638هـ) ثلاثة أنواع من دلالات الحرف وهي :

ـ حروف فكرية: وهي صور روحانية في أفكار النفوس معانيها الألفاظ .

ـ حروف لفظية: وهي أصوات محمولة في الهواء مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة.

ـ حروف خطية: وهي نقوش في وجوه الألواح وبطون الطوامير مدركة بالقوة الناظرة بطريق العينين.[5]

هذا تعريف القدامى ، أما المحدثون فقد عرفه بعضهم بقوله:«الحرف Graph : رمز مخطوط أو مطبوع يقوم مقام صوت أو مقطع أو معنى ... ويدخل في مادة الكتابة Graphic وهي الحروف التي تكتب بها لغة من اللغات ، وتقابلها المادة الصوتية

---

[1] – بشر ، كمال . علم الأصوات ، دار غريب ، (دط) ، مصر ، 2000م ، ص:119.

[2] – ابن جني ، أبو الفتح عثمان . سر صناعة الإعراب ، ص:28.

[3] – ابن سينا ، أبو علي الحسين. أسباب حدوث الحروف ، ص:125.

[4] – الصيغ، عبد العزيز. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر، ط:2 ، سوريا ، 142هـ/2007م ، ص:219.

[5] – قدور، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ـ سوريا و دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، ط:2، سوريا ، 1419هـ/1999م ، ص: 107.

ويسمى الواحد منها رمزا حرفيا Graphic symbol ، وألفاظ اللغة تبنى من أصـــواتها التي يرمز إليها بحروف كتابية »[1] .

ولهذا « فالصوت هو الذي نسمعه ونحسه، وأما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين»[2] .

2 ــ 1 ــ 3 ــ الفونيم :

الفونيم مصطلح ظهر عام 1873م ، وهو يعد أساس التحليل الفونولوجي الحــديث[3] وله تعريفات متعددة ، وأكثرها قبولا عند الدارسين التعريف الوظيفي الــذي يــرى أن الفونيم هو: أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعــاني ولــذلك فهــم يعتبرون الدلالة التي يؤديها الفونيم مثل صوت (k) وصوت (q) في الإنجليزية لا يفرقان بين المعاني ، فلا يعدان فونيمين مختلفين ، أما في العربية فإنهما يفرقان كما في (قال) و(كال) ولذا فهما فونيمان مختلفان.[4] وإذ عرفنا الفونيم فهناك مصطلحان يجــدر بنــا أن نعرفهما وهما:

ا ــ الــ (phone) وهو الصوت اللغوي المفرد البسيط الذي يمكن له أن يخضع للقياس والتحليل الآلي في معامل علوم الأصوات[5].

ب ــ الــ (allophone) وهو عنصر من عناصر الفونيم تغييره لا يغيــر المعنـــى ، ويمكن أن يكون اختياريا كتعدد صور الجيم والقاف من بيئة إلى أخرى، ويمكن أن يكون إجباريا تحدده مواضع معينة في السياق، فلا يجوز أن يحل عنصر محل عنـــصر آخــر

---

[1] – عكاشة ، محمود. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، دار النشر للجامعات، ط:1، مصر،1426هــ/2005م، ص: 17 (الهامش).

[2] – لوشن ، نور الهدى . مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية الأزريطة ــ الأسكندرية ، (دط) ، مصر ، 2000م ، ص:126.

[3] – ينظر : قدور ، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، ص: 98.

[4] – المرجع نفسه ، ص:100.

[5] – ينظر: حساني، أحمد . مباحث في اللسانيات ، ديــوان المطبوعــات الجامعيــة ، (دط) ، الجزائــر ، 1999م، ص:70 ونور الدين ، عصام . علم وظائف الأصوات اللغوية ــ الفونولوجيا ، دار الفكر اللبناني ، ط:1 ، لبــنان ، 1992م ، ص:61.

ومثاله تفخيم اللام في لفظ الجلالة (الله) وترقيقها إذ لكل من ذلك موضـــع معــروف لا يتعداه إلى غيره.[1]

2 ـ 2 ـ الجهاز الصوتي عند الإنسان :

الوظيفة الأساسية لهذا الجهاز تتمثل في الوظائف الحيوية كـــالتنفس والتعامــل مـــع الطعام، غير أن حاجة الإنسان جعلته يستثمر هذا الجهاز المعقد لإصـــدار الأصـــوات.[2] ويتكون من:

2 ـ 2 ـ 1 ـ **الرئتان** : عضو مطاط قابل للتمدد والتقلص ، و هما مخزن الهواء الذي يتنفسه الإنسان زفيرا وشهيقا ، و اندفاع الهواء عند الزفير هو مصدر مادة الصوت[3].

2 ـ 2 ـ 2 ـ **القصبة الهوائية** : هي أنبوب من حلقات غـــضروفية تـــصل الـــرئتين بالهواء الخارجي ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة دورها في تنويع درجة الصوت.[4]

2 ـ 2 ـ 3 ـ **الحنجرة** : هي صندوق غضروفي يقع في أعلى القصبة الهوائية، وتقوم بإغلاق الرئتين وحمايتهما وتتكون من :

الغضروف الدرقي(العلوي) والغضروف الأدنى (الحلقي) والغـــضروفان الحنجريـــان (الطرجهاليان) وتعد الحنجرة بغضاريفها بمثابة الدرع الواقي للوترين الصوتيين.[5]

2 ـ 2 ـ 4 ـ **الوتران الصوتيان** : رباطان من العضلات يشبهان الـــشفتين، يقعـــان متقابلين على قمة القصبة الهوائية ، ويلتقيان بالبروز المسمى بتفاحة آدم.[1] وهما يحدثان ذبذبات عند مرور الهواء بهما.

---

[1] – ينظر: قدور ، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، ص : 105، 106.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص :56 و حسان ، تمـــام . مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافـــة ،(دط) ، المغـــرب ، 1400هـ/1979م ، ص: 73.

[3] – ينظر: نور الدين ، عصام. علم الأصوات اللغوية ــ الفونيتيكا ، دار الفكر اللبناني ، ط:1 ، لبنـــان ، 1992م ، ص: 52 و عبد الجليل ، عبد القادر . الأصوات اللغويـــة ، دار الـــصفاء ، ط:1 ، الأردن ، 1418هـــ/1998م ، ص:26.

[4] – ينظر : إستيتية ، سمير شريف . الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية ، دار وائل للنشر ، ط: 1 ، الأردن ، 2003م ، ص:68 ، 69 .

[5] – ينظر: الإبراهيمي ، خولة طالب .مبادئ في اللـــسانيات ، دار القـــصبة للنـــشر ، ط:2 ، الجزائـــر ، 2006 ، ص:50 و بشـــر، كمـــال. علم الأصوات ، ص: 134 وعمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتـــب، ط: 4 ، مصر، 1427هـ/2006م ، ص:101.

2 ـ 2 ـ 5 ـ **لسان المزمار** : غطاء على هيئة عضلة رقيقة تتشكل في الفراغ المسمى المزمار ، ويرجح أن يكون له تأثير على نوع من الحركات.[2]

2 ـ 2 ـ 6 ـ **الحلق** : تجويف عضلي يقع بين الحنجرة وأقصى الفم متسع من أعلى ضيق من أسفل، له دور في تفخيم الأصوات الناتجة عن ذبذبة الوترين الصوتيين.[3]

2 ـ 2 ـ 7 ـ **اللسان** :« عضو مرن ، كثير الحركة في الفم عند النطق ، فهو ينتقل من وضع إلى آخر فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة».[4] وله أقسام هي:

ـ **نهاية اللسان:** أو حده أو الذولق وهو رأسه الأمامي.

ـ **طرف اللسان:** وهو المقابل للثة ويتحرك باتجاه الأسنان أو اللثة أو الطبق.

ـ **وسط اللسان:** وهو الجزء المقابل للحنك الصلب أو ما يسمى وسط الحنك.

ـ **مؤخر اللسان:** أو أقصاه وهو المقابل للحنك اللين أو ما يسمى أقصى الحنك.

ـ **أصل اللسان:** وهو المقابل لفراغ البلعوم، ويستعمل في العربية لنطق الغين والخاء.[5]

2 ـ 2 ـ 8 ـ **الحنـك** :هو الجزء العلوي من تجويف الفم يبتدئ من اللثة حتى اللهاة.[6] و ينقسم إلى :

ـ **مقدم الحنك:** أو اللثة وهي لحم رقيق يحيط بالأسنان في أصولها ويقع خلفها مباشرة.

ـ **وسط الحنك:** أو الحنك الصلب ، أو الغار، أو النطع ، وهو جزء ثابت غير متحرك يقع بين اللثة والحنك اللين ، وهو متقدم باتجاه الفم ، ويلاحظ أنه محدب ومحزز.

ـ **أقصى الحنك:** أو الحنك اللين ، أو الطبق ،وهو الجزء الرخو المتحرك، الذي يحدد بحركته نوعية الصوت الذي يخرج من الفم أو الأنف.[7]

---

[1] – ينظر: البهنساوي، حسام. الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث ، مكتبة زهراء الشرق ، ط:1 ، مصر ، 2005م ، ص:27.

[2] – ينظر: عبد الجليل، عبد القادر. الأصوات اللغوية ، ص:31.

[3] – ينظر : حساني، أحمد. مباحث في اللسانيات ، ص:72 و إستيتية، سمير شريف. الأصوات اللغوية، ص:52.

[4] – نور الدين، عصام. علم الأصوات اللغوية ـ الفونيتيكا ، ص: 66.

[5] – ينظر: بشر، كمال. علم الأصوات، ص:138 وعمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، ص:107.

[6] – ينظر: حركات ، مصطفى.الصوتيات والفونولوجيا،المكتبة العصرية، ط:1، لبنان، 1418هـ/1998م، ص:48.

[7] – ينظر:قدور، أحمد محمد. مبادئ اللسانيات، ص:54.

ـ **اللهاة:** « وهي زائدة لحمية قصيرة تتدلى من الأعلى إلى أسفل الطرف الخلفي للحنك اللين، ودورها واضح في تشكيل صوت القاف العربية».[1]

2 ـ 2 ـ 9 ـ **التجويف الأنفي** :ويسمى الجيوب الأنفية وهي عبارة عن تجاويف ثابتة غير متحركة تعمل كحجرات رنين من حيث التأثير في تلونات الصوت اللغوي.[2]

2 ـ 2 ـ 10 ـ **الشفتان** :وهما« ثنيتان لحميتان تغطيان عند انطباقها الفم من فوق ومن تحت وهما قابلتان للحركة بشكل إرادي».[3] و تؤثران على صفة الصوت ونوعه.[4]

2 ـ 2 ـ 11 ـ **الأسنان:** وهي من الأعضاء الثابتة لأنها لا تتحرك ذاتيا ، ولها دور مهم إذ يوجد أصوات لا تنطق نطقا صحيحا إلا بوجودها مثل الدال والثاء والفاء.[5]

2 ـ 3 ـ مخارج الأصوات وصفاتها :

المخرج : هو المكان الذي يتم فيه اعتراض مسار الهواء ويحدث فيه الصوت ويسميه المحدثون موضع النطق.[6]

الصفة :« الصفات عوارض تعرض للأصوات»[7] وهي التي تميز بين الأصوات المتحدة في المخرج فالذي يفرق بين الطاء والتاء هو التفخيم للأولى والترقيق للثانية.

وقد درس علماؤنا القدامى مخارج الأصوات وصفاتها، كما درسها المحدثون ، ولم تكن الدراسات القديمة ينقصها الضبط والدقة ، ولكن الدراسات الحديثة اعتمدت على الآلات والوسائل الحساسة فكانت أكثر دقة وضبطا ، وقد وقعت خلافات بين الدرس القديم والدرس الحديث ، وربما سارع البعض إلى تخطئة القدماء ، ولكن الأمر يحتاج إلى التريث ، وذلك لسببين :

---

[1] – عبد الجليل، عبد القادر. عبد القادر. الأصوات اللغوية ، ص:39.

[2] – ينظر : المرجع نفسه ، ص : 40 .

[3] – إستيتية ، سمير شريف. الأصوات اللغوية ، ص:19.

[4] – ينظر: عبد الجليل، عبد القادر ، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص:41.

[6] – ينظر: حساني، أحمد. مباحث في اللسانيات ، ص: 78.

[7] – القاري ، ملا علي بن سلطان محمد. المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية،دار السلام ، ط:1 ، مصر ، 1429هـ/2008م ، ص: 64.

الأول : أنه لا مجال للشك في أمانة القدماء في وصفهم ، ونقلهم، وضـبطهم، ودقـتهم خصوصا وأن درسهم الصوتي قد ارتبط بالقرآن ، وهم يعتقدون قداسته ، إذ كان الهدف هو المحافظة على النص القرآني من اللحن وأدائه أداء صحيحا.

الثاني : أن الأصوات يعتريها التطور والتغير بفعل الاحتكاك بين الشعوب فـإذا وجـد اختلاف بين نطقنا لبعض الأصوات وبين ما وصفه القدامى ، فمرده إلـى أن الـصوت محل الخلاف قد وقع له تطور. فالمبادرة إلى تخطئة القدامى ليس بالأمر السديد ، ولكن نقول إنهم وصفوا الأصوات ــ بأمانة ودقة ــ كما كانت تنطق في بيئـتهم الفـصيحة ، ورغم أن الدراسات الحديثة موضع تقدير كبير إلا أن الأمر إذا تعلق بالأصوات القرآنية فلا بد من الرجوع إلى وصف الأولين لأن القرآن الكريم أخذ مشافهة عن الرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وظل يروى بالمشافهة ، ومن شروط القراءة الصحيحة صـحة سندها إلى الرسول ــ صلى الله عيه وسلم ــ وموافقة العربية والرسم العثماني[1] ، وكان كل شيخ يأخذ الرواية عن شيخه مشافهة، فالذي وصفوه هو النطق المروي عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا مجال أبدا للطعن فيه.

2 ــ 3 ــ 1 ــ مخارج الأصوات عند القدماء:

تعرض الخليل وتلميذه سيبويه لمخارج الأصوات[2] ، وجاء بعدهما علمـاء التجويـد فتناولوها اعتمادا على ما قرراه وهذه هي المخارج كما ذكرها علماء التجويد.

ــ الجوف : وهو مخرج الأصوات الجوفية وهي : (ا ، و ، ي) .

ــ الحلق : وينقسم إلى ثلاثة مخارج فرعية وهي:أقصى الحلق وتخرج منه(ء ، هـــ)، ووسط الحلق وهو مخرج(ع ، ح)، وأدنى الحلق من الفم وهو مخرج (غ ، خ) .

ــ اللهاة : وهو مخرج (ق ، ك) .

---

[1] – ينظر: خان ، محمد. مدخل إلى أصول النحو ، دار الهدى ــ عين مليلة ــ (دط) ، الجزائر، 2003م ، ص: 7 وقابة ، عبد الحليم بن محمد الهادي.القراءات القرآنية : تاريخها، ثبوتها ، حجيتها وأحكامها، دار الغرب الإسلامي ، ط:1 ، لبنان ، 1999م ، ص: 157 وما بعدها.

[2] – ينظر: قدور، أحمد محمد . مدخل إلى فقه اللغة العربية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت و دار الفكر ، دمشق ، ط:3 ، سوريا ، 1424هـ/2003م ، ص: 169 وما بعدها.

ـ الشجر: هو وسط اللسان مع وسط الحنك الأعلى وهو مخرج (ج ، ش ، ي) وأضاف الخليل الضاد بينما جعلها سيبويه من بين حافة اللسان وما يليها من الأضراس.

ـ الذلق: وهو طرف اللسان وتخرج منه (ن ، ل ، ر).

ـ النطع: هو سقف الغار مع طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهو لـــ(ط ، ت ، د).

ـ **الأسلة:** مستدق طرف اللسان بين رأسه وفويق الثنايا وأصواتها هي(ص ، س، ز).

ـ **اللثة** : وأصواتها ثلاثة وهي (ظ ، ذ ، ث).

ـ **الشفتان** : وتخرج منهما(ف، ب ، م) وزاد سيبويه الواو غير المدية.

ـ **الخيشوم** : وهو مخرج النون المخفاة والتنوين وكذا الميم والنون المشددتين[1].

وقد أنكر بعض الباحثين أن يكون الخيشوم مخرجا، لأن الهواء يخرج منه مع الأصوات التي تلحقها الغنة وليس معنى هذا أن مخرج الصوت هو الخيشوم[2].

2 ـ 3 ـ 2 ـ مخارج الأصوات عند المحدثين:

ـ المخرج الشفوي: ويكون بتقريب مابين الشفتين أو إقفالهما ويخرج منه(ب ، م ، و).

ـ المخرج الشفوي أسناني: ويكون باتصال الأسنان العليا بالشفة السفلى وهو لـــ (ف).

ـ المخرج الأسناني: ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا وهو لـــ(ث، ذ ، ظ).

ـ المخرج الأسناني اللثوي : ويكون باتصال طرف اللسان بالأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة وأصواته هي(ض ، د ، ط ، ت ، ز ،ص ، س).

ـ المخرج اللثوي: ويكون باتصال طرف اللسان باللثة وهو لأصوات(ل ، ن ، ر).

ـ المخرج الغاري:ويكون باتصال مؤخر اللسان بالغار وهو لأصوات (ش ، ج ، و).

ـ المخرج الطبقي: ويكون باتصال مؤخر اللسان بالطبق وهو لأصوات(ك ،غ ،خ).

ـ المخرج اللهوي: ويكون باتصال مؤخر اللسان باللهاة وهو لصوت القاف.

ـ المخرج الحلقي: ويكون بتضييق الحلق وهو للصوتين(ع ، ح).

---

[1] – ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد. النشر في القراءات ، ج:1 ، ص:199 وما بعدها والتمهيد في علم التجويد ، دار ابن الهيثم ، ط:1 ، مصر ، 1427هـ/2006م ، ص:33، 34 ونصر، عطية قابل . غاية المريد في علم التجويد ، دار ابن الجوزي، (دط)، مصر ، (دت) ، ص:118 وما بعدها والصالح، صبحي.دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين ، ط:11 ، لبنان ، 1986م ، ص:278 وما بعدها.

[2] – ينظر: المبارك ، محمد . فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 1425ـ1426هـ/2005م ، ص:43.

ـ المخرج الحنجري: ويكون نتيجة إقفال الوترين الصوتيين أو تضييقهما وهو مخرج(هـ ، ء).[1]

2 ـ 4 ـ مقارنة بين المخرج عند القدماء وعند المحدثين:

اختلف الدرس الصوتي الحديث مع الدرس العربي القديم في عدة أمور ومنها:

ا ـ جمع المحدثون بين الأصوات النطعية(ط ، د ، ت) والأصوات الأسلية(ص ، س ، ز) وأضافوا إليها الضاد وجعلوها في مخرج واحد هو الأسناني اللثوي، أما القدماء فقد فرقوا بينها.

ب ـ جعل الدرس الحديث مخرج الضاد ضمن المجموعة السابقة ، خلافا للدرس القديم إذ جعلها الخليل مع الأصوات الشجرية[2] ، و جعل لها سيبويه مخرجا خاصا من بين حافة اللسان وما يليه من الأضراس[3] ، وهذا يعني أن الضاد كما وصفها القدماء تختلف عن الضاد الحديثة التي حدد المحدثون مخرجها من طرف اللسان معتمدا على الفك الأعلى، وبذلك اختلف مخرجها ، كما اختلفت صفتها أيضا فصارت شديدة بعد أن كانت رخوة[4]، و يكون الضاد عند المحدثين النظير المفخم لصوت الدال[5] ، أما عند القدماء فلا نظير له، والضاد القديمة تتميز عن جميع الأصوات بمخرجها وليس في العربية اليوم ولا في لهجاتها صوت يخرج من هذا المخرج، ويمكن القول: إنه صوت خرج من الألسن المعاصرة واضمحل منها[6] ، ويقول الدكتور إبراهيم أنيس:« والذي نستطيع تأكيده هنا هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق... »[7] .

---

[1] – ينظر: عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي ، ص:315 وما بعدها وحسان، تمام. مناهج البحث في اللغة، ص:110، 111 وقدور، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، ص:66 وما بعدها و عبد الجليل ، عبد القادر. الأصوات اللغوية، ص:155 ، 156.

[2] – ينظر : قدور، أحمد محمد . مدخل إلى فقه اللغة العربية ، ص:169.

[3] – ينظر: سيبويه ، أبو بشر عمرو. الكتاب، مؤسسة الأعلمي ، ط:3 ، لبنان ، 1410هـ/1990م ، ص:489.

[4] – ينظر: قدور ، أحمد محمد. المرجع السابق ، ص:72.

[5] – ينظر: البهنساوي ، حسام . الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، ص:76.

[6] – ينظر: الصيغ ، عبد العزيز. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص:74.

[7] – أنيس ، إبراهيم . الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:4 ، مصر، 1971م ، ص:49.

ج ــ نقل المحدثون الغين والخاء من الحلق ، وجعلوهما مع الكاف من المخرج الطبقي ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أنهما من اللهاة مع القاف فيقول :« إن علاج القدماء لهذين الصوتين يجعل مخرجهما العربي أقرب إلى الحلق ، فهما وإن لم يخرجا من الحلق فمما فويقه من مخرج القاف»[1].

2 ــ 5 ــ صفات الأصوات :

2 ــ 5 ــ 1 ــ صفات الأصوات عند القدماء :

اختلف القدماء في تعداد الصفات ، حتى أوصلها بعضهم إلى أربع وأربعين[2] غير أن أكثر القراء على أنها سبع عشرة صفة منها عشر متضادة وسبع غير متضادة[3] .

القسم الأول: الصفات المتضادة:

1 ــ **الجهر والهمس:**

ا ــ **الهمس** : لغة: الخفاء واصطلاحا: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه و أصواته هي: (ف، ح، ث، هــ، ش، خ، ص، س، ك، ت).

ب ــ **الجهر**: لغة: الظهور واصطلاحا: انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه والأصوات المجهورة هي الأصوات الأخرى غير المهموسة.

2 ــ **الشدة والرخاوة التوسط** :

ا ــ **الشدة:** لغة: القوة واصطلاحا: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد على مخرجه و أصوات الشدة هي: (ء ، ج ، د ، ق ، ط ، ب ، ك ، ت).

ب ــ **التوسط:** لغة الاعتدال واصطلاحا: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف وأصواته هي: (ل ، ن ، ع ، م ، ر).

---

[1] – شاهين ، عبد الصبور. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، مكتبة الخانجي ، ط:1، مصر، 1408هـ/1987م ، ص:225.

[2] – ينظر: القاري ، ملا علي بن سلطان . المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، ص:64 والقيسي ، مكي بن أبي طالب . الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات ، دار عمار الأردن ، 1404هـ/1984م ، ص:115.

[3] – ينظر: قدور، أحمد محمد . مدخل إلى فقه اللغة العربية ، ص:188.

ج ــ **الرخاوة:** لغة: اللين واصطلاح: جريان الصوت عند النطــق بــالحرف لــضعف الاعتماد على المخرج والأصوات الرخوة هي غير الأصوات الشديدة والمتوسطة.

3 ــ **الاستعلاء والاستفال:**

ا ــ **الاستعلاء** : لغة: الارتفاع واصطلاحا: ارتفاع جزء كبير من اللسان عنــد النطــق بأغلب حروفه إلى الحنك الأعلى وأصواته هي:(خ ، ص ، ض ، غ ، ط ، ق ، ظ).

ب ــ **الاســتفال** : لغة : الانخفاض واصطلاحا: انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بأغلب حروفه وأصواته هي الأخرى غير أصوات الاستعلاء.

4 ــ **الإطباق والانفتاح** :

ا ــ **الإطباق:** لغة الإلصاق واصطلاحا إطباق اللسان على الحنك الأعلى عنــد النطــق بالحرف بحيث ينحصر الصوت بينهما ، وأصواته هي: (ص ، ض ، ط ، ظ).

ب ــ **الانفتاح:** لغة الافتراق واصطلاحا: تجافي اللسان عن الحنك الأعلى ليخرج الريح عند النطق بأغلب حروفه وأصواته هي الباقية غير أصوات الإطباق.

5 ــ **الإذلاق والإصمات** :

ا ــ **الإذلاق** : لغة حدة اللسان وبلاغته وطلاقته واصطلاحا: خفة الحرف وسرعة النطق به لخروجه من ذلق اللسان أي طرفه أو من طرف إحدى الشفتين أو منهما معا وأصواته هي: (ف ، ر ، م ، ن ، ل ، ب).

ب ــ **الإصمات:**لغة المنع واصطلاحا: ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به لبعده عن ذلق اللسان، والأصوات المصمتة هي البقية غير أصوات الإذلاق.

القسم الثاني: الصفات التي لا ضد لها:

1 ــ **الصفير:** لغة: صوت يشبه صوت الطائر واصطلاحا: صوت زائد يخرج من بــين الثنايا وطرف اللسان عند النطق وأصواته هي: (ص، س ، ز).

2 ــ **الانحراف:** لغة: الميل واصطلاحا: الميل بالحرف بعد خروجه من مخرجــه عنــد النطق وحتى يتصل بمخرج آخر وله صوتان: اللام والراء.

3 ــ **التكــرار:** لغة الإعادة واصطلاحا: ارتعاد رأس اللسان عند النطق بــالحرف ولــه صوت واحد هو الراء.

4 ــ **التفشي:** لغة: الانتشار واصطلاحا: انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف وله صوت واحد هو الشين.

5 ــ **الاستطالــة:** لغــة: الامتــداد واصطلاحا: امتداد الصوت من أول حافتي اللــسان إلى آخرها وله صوت واحد هو الضاد.

6 ــ **اللين:** لغة: السهولة واصطلاحا: إخراج الصوت بسهولة وعدم كلفة وأصواته هي الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما في مثل: (خوْف) ، (بيْت).

7 ــ **القلقلة:** لغة: الاضطراب واصطلاحا: اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية وأصوات القلقلة هي: (ق ، ط ، ب ، ج ، د).[1]

2 ــ 5 ــ 2 ــ صفات الأصوات عند المحدثين :

يصنف المحدثون صفات الأصوات وفقا لخواصها المشتركة على أسس ثلاث هــي: وضع الوترين الصوتيين ، ومواضع النطق ، وحالة ممر الهواء أثناء النطق[2].

وعلى هذا تصنف الأصوات حسب الصفات الآتية[3]:

1 ــ **الأصوات الإنسدادية أو الانفجارية أو الشديدة:** وتنتج هذه الصفة عندما يــصادف الهواء الخارج من الرئتين مجراه مسدودا سدا محكما في إحدى مواضع النطق فينحــبس خلف نقطة الانسداد حتى إذا انفصل العضوان المسببان للانسداد بشكل مفاجئ وســريع اندفع الهواء محدثا انفجارا وهذه الأصوات هي:(ب ، ت ، د ، ط ، ض ، ك ، ق ، ء).

2 ــ **الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة :** وتنتج هذه الصفة عندما يمر الهواء فيجد مجراه ضيقا غير مسدود فيمر محتكا بالعضوين المسببين للتضييق وأصواته هي: (ف ، ظ ، ذ ، ث ، ز ، ص ، س ، ش ، غ ، خ ، ع ، ح ، هــ).

---

[1] – ينظر: نصر، عطية قابل . غاية المريد في علم التجويد ، ص:130 وما بعدها وعيساني ، رحيمة . الميسر في أحكام الترتيل ، دار الهدى ــ عين مليلة ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص:34 وما بعدها والقيسي ، مكي بن أبــي طالب . الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص:115 وما بعدها.

[2] – ينظر: بشر. كمال. علم الأصوات ، ص: 243.

[3] – ينظر: نور الدين، عصام. علم الأصوات اللغوية ــ الفونيتيكا، ص:222 وما بعدها وقدور، أحمد محمد. مبادئ اللسانيات، ص:77 وما بعدها وحسان، تمام. مناهج البحث في اللغة ، ص:112 وما بعدها.

3 ــ **الصوت المركب** : وهذه الصفة مركبة من الشدة و الاحتكاك ، وتكون عندما يحدث الانحباس لكن الانفصال لا يكون سريعا ومفاجئا ، بل يكون بطيئـا ، فيحتـك الهـواء بالعضوين المسببين للانسداد وهما ينفصلان تدريجيا وهذه الصفة لصوت الجيم .

4 ــ **الأصوات المتوسطة** : وهـذه الصفـة تنتج حين يمر الهواء فيجد المجرى خاليـا من أي عائق فلا يحدث له انحباس ولا انسداد وهذه الأصوات هي: (ل ، ر ، ن ، م ، الواو والياء غير المديتين).

5 ــ **الأصوات المجهورة والمهموسة:** وترتبط هاتان الصفتان بالوترين الصوتيين ، أي عند حدوث ذبذبة فيهما أو عدم حدوثها:

ا ــ النطق مع وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين ويولد صفة الجهر وأصواته هي:(ب، م ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، ن ، و ، ي).

ب ــ النطق مع عدم وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين وينتج صفة الهمس والأصوات المهموسة هي الباقية ، أما الهمزة فهناك من عدها مهموسة ومنهم من جعلها لا مهموسة ولا مجهورة.[1]

6 ــ **الأصوات المفخمـة:**« والتفخيم معناه ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا في اتجاه الطبق اللين ، وتحركه إلى الخلف قليلا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، ولـذلك يـسميه بعضهم « الإطباق» بالنظر إلى الحركة العليا للسان ويسميه بعضهم « التحليق» بـالنظر إلى الحركة الخلفية للسان»[2] والأصوات المفخمة هـي:(ص، ض ، ط ، ظ ، خ ، غ ، واللام والراء في حالة التفخيم).[3]

7 ــ **الأصوات الصفيرية:** وهي الأصوات التي يتم إنتاجها مع صفير وهي:(س ، ش ، ص ، ز). [4]

2 ــ 6 ــ مقارنة بين صفات الأصوات عند القدماء وعند المحدثين :

[1] – ينظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 324.

[2] – المرجع نفسه ، ص:326.

[3] – المرجع نفسه ، ص:325 ، 326.

[4] – ينظر: إستيتية ، سمير شريف. الأصوات اللغوية ، ص:156. ونلاحظ أنه أدرج معها الشين وصفتها التفشي .

لقد استفاد الدرس الحديث من علم التشريح والآلات الحديثة والتجـــارب المخبرية مما ساعد على وضوح كثير من الوسائل المتعلقة بصفات الأصوات ، كما أن القدامـــى بذلوا مجهودات لا تنكر حتى توصلوا إلى تلك النتائج ، ولا يكاد الباحث يقف على كبير فرق بين القدماء والمحدثين فيما يتعلق بصفات الأصوات إلا في نقاط عدة ومنها :

ا ــ معرفة المحدثين للوترين الصوتيين جعلهم يقفون على السبب المباشر لصفتي الجهر والهمس، أما القدماء فقد وقعوا في اضطراب نتيجة عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين إذ « يلاحظ أن تعريف سيبويه للمجهور لا يفي بالوصف الدقيق اللازم من جهة ويقتـــرب من تعريفه للشديد من جهة أخرى »[1]

ب ــ تغير وصف المحدثين لبعض الأصوات عما وصفها بـــه القـــدامى ، ومـــن هـــذه الأصوات الضاد الذي سبقت الإشارة إليه عند مقارنة المخارج الصوتية عند القدماء وعند المحدثين ، ومنها أيضا الجيم الذي عدّه القدماء شديدا بينما يرى المحدثون بأنه مركـــب من الشدة والرخاوة. كما اختلف الدرسان في صوت العين حيث وضعه القدامى ضـــمن الأصوات المتوسطة وجعله المحدثون رخوا ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن التجارب التي أجريت على أصوات الحلق قليلة فلا نستطيع ترجيح صحة هذه الصفة.[2] كما صنف القدامى كلا من الهمزة والقاف والطاء ضمن الأصوات المجهورة ، وهي عند المحدثين مهموسة، أما الهمزة فقد اضطرب فيها المحدثون فجعلها البعض مهموسة والبعض الآخر رأى أنها لا مجهورة ولا مهموسة[3]، أما القاف والطاء فنحن حين ننطق بهما ساكنين مع وضع الأصبعين في الأذنين ــ وهي من طرق معرفة المجهور من المهموس[4] ــ فإننا لا نحس أي تذبذب مما يدل على أنهما مهموسين فعلا في نطقنا الحالي، وينقـــل الـــدكتور قدور عن كانتينو قوله:« ربما كانا في الأول حرفين مجهورين في قسم من أقسام العربية القديمة على الأقل »[5].ويقول الدكتور بشر:« إن العرب ربما كانوا يتكلمون عـــن قـــاف

---

[1] – قدور، أحمد محمد. مبادئ اللسانيات ، ص:82 وينظر: سيبويه. الكتاب ، ج: 2 ، ص:489 ، 490 .

[2] – ينظر: أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ص:25.

[3] – ينظر: بشر، كمال.علم الأصوات، ص:288 وعمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، ص:324.

[4] – ينظر: البهنساوي، حسام. الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث، ص:63 .

[5] – قدور، أحمد محمد . المرجع نفسه ، ص:82 .

تختلف عن قافنا الحاضرة»[1]، ويؤيد هذا عنده أن القاف القديمة نسبت إلى موضع نطــق مخــالف لمخرج القــاف المعاصــرة، وذكرت عند القدامـــى ضمن أصــوات القلقلــة وهي أصوات مجهورة وشديدة.[2] وأما الطاء فيرى الدكتور بشر أن نطقها الحالي مختلف عن نطقها القديم وأنها كانت نظيرا لصوت الدال الذي يعده المحدثون نظيــرا لــصوت الضاد ، أما الضاد القديمة فلا نظير لها، ويعد المحدثون صوت الطاء نظيــرا لــصوت التاء ، وبذلك اختلفت الطاء مخرجا وصفة.[3]

2 ــ 7 ــ الحركات أو الصوائت :

الأصوات اللغوية صنفان: صوامت وحركات (صوائت) والفرق بينهما اتساع مخرج الحركات مع تذبذب الوترين الصوتيين أما الصوامت فيحدث لها انسداد أو تضييق ، كما يفرق بينهما بدرجة الوضوح السمعي للحركات قياسا بالصوامت. والمعروف أن مصطلح الحركات قد اقتصر في الدرس العربي القديم على الحركات القصيرة: الفتحة والــضمة والكســرة، أما فــي الــدرس الحديث فالحركات يراد بها الصوائت الطويلة والقصيرة ، « وعلى ذلك فالعربية تعرف ستة مصوتات: ثلاثة قصيرة وثلاثة طويلة، فالقصيرة هي: الفتحة والضمة ، والكسرة ، والطويلة هي: الألف وهي عبارة عن فتحتين ، وواو المــد وهي عبارة عن ضمتين ، وياء المد وهي عبارة عن كسرتين »[4] ، وقد عرف العــرب الحركات لكنها« لم تنل اهتماما واضحا كالصوامت ، ولم يظهــر مــصطلح الحركــات بوصفه مصطلحا صوتيا يدرس دراسة مفردة مفصلة وخاصة في المراحل الأولى، بــل جاء عرضه ضمن الحديث عن الجوانب النحوية»[5].

---

[1] – بشر، كمال . علم الأصوات ، ص:278 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص:279.

[3] – ينظر المرجع نفسه، ص:250 وما بعدها.

[4] – عبد المقصود، عبد المقصود محمد. دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية ، مكتبــة الثقافــة الدينية، ط:1 ، مصر ، 1427هــ/2007م ، ص:49.

[5] – القرالّة ، زيد خليل. الحركات في اللغة العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط:1 ، الأردن ، 1425هــــ/2004م ، ص:6.

وقد ظهر مصطلح الحركات بوصفه مصطلحا صوتيا عند ابن جنـــي فـــي كتابيـــه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب)[1]، وقد ربط ابن جني بين الحركات وأصوات المد حيث جعل الحركات أبعاض أصوات المد ، لأن الحركات متـــى أشـــبعت تولـــد عنهـــا أصوات المد[2]، وهذا ما تذهب إليه اللسانيات الحديثة حيـــث لا تفـــرق بـــين الحركـــات القصيرة والطويلة إلا من حيث المدة الزمنية.[3]

2 ــ 7 ــ 1 ــ طريقة إنتاج الحركات :

ا ــ عندما يرفع الإنسان لسانه إلى أعلى قدر المستطاع، ويدفعه إلى الأمام قدر الإمكان، دون أن يضيق المجرى الهوائي بحيث لا يسبب حفيف ما ويبسط شفتيه في الوقت نفسه فإنه يصدر صوتي الكسرة القصيرة والطويلة.

ب ــ عندما يحرك لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع ، ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان ، ويبسط شفتيه من غير تدوير فإنه يصدر صوتي الفتحة القصيرة والطويلة.

ج ــ عندما يرفع الإنسان لسانه ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان دون إحداث حفيف مـــا ويدور شفتيه ، فإنه يصدر صوتي الضمة القصيرة والطويلة.[4]

2 ــ 7 ــ 2 ــ الكمية الزمنية في الحركات :

يظهر الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة في المدة الزمنية ، وقد عرف الدكتور إستيتية طول الحركة « بأنه المدة الزمنية التي يستمر فيها شكل الفراغات العليا(فراغات فوق الحنجرة) ثابتا على حاله عند النطق بالحركة... وبالقدر الذي يـــستمر فيـــه هـــذا الوضع ، مع استمرار تدفق الهواء المنتج للحركة يكون طول الحركة »[5] ، وقد أشار ابن جني إلى طول الحركات الطويلة إذ يكون طولهن عاديا في أحوال وفي بعض الأحـــوال يكنّ أطول وأتم ، وذلك إذا جاء بعدهن الهمزة أو الصوت المدغم.[6]

---

[1] – ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تح: محمد علـــي النجـــار ، عـــالم الكتـــب ، ط:1 ، لبنـــان ، 1427هـــ/2006م ، ص:514 وسر صناعة الإعراب، ج:1 ، ص:33.

[2] – ابن جني، أبو الفتح عثمان . سر صناعة الإعراب، ج:1 ، ص:35.

[3] – ينظر:عبد المقصود ، عبد المقصود محمد . دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، ص:45.

[4] – ينظر: قدور، أحمد محمد. مبادئ اللسانيات، ص:89.

[5] – إستيتية، سمير شريف. الأصوات اللغوية ، ص:241.

[6] – ينظر: ابن جني. أبو الفتح عثمان ، المرجع الأخير نفسه ، ص:33 ، 34.

كما تكلم علماء التجويد عن المد وهو عندهم إطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب[1]. وقال الجعبري: المد طول زمان الصوت[2]. ويتنوع طول المد في أحكـــام التجويد وقد قدر العلماء أطوال المدود بحركات أصابع اليد خفضا ورفعا ، أمـــا علمـــاء الأصوات المعاصرون فقد أخضعوا الحركات للتجارب ، وقد وجدوا أن الحركة الطويلة والقصيرة كلاهما تتغير مدتها حسب الصوت الذي يليها وحسب نطق الأفراد ، فالفتحـــة التي يليها صامت شديد مجهور أطول من التي يليها صامت شديد مهموس. والكسرة التي يليها صامت رخو مجهور أطول من التي يليها صامت شديد مجهور. والضمة التي يليها صامت رخو مهموس أطول من التي يليها صامت شديد مهموس، أما الحركة القـــصيرة الناتجة عن تقصير الحركة الطويلة في حالة الجزم والتي يليها رخو مجهور (ساكن غير متحرك) ، فقد لوحظ أن الفتحة أطول نسبيا من الـــضمة والكـــسرة ، كمـــا لـــوحظ أن الحركات الثلاث نقصت عن التجارب السابقة ، وذلك قد يعود إلى عامل الجزم الذي أدى إلى سرعة في نطق الكلمة[3].

أما الحركة الطويلة ، فالفتحة الطويلة التي يليها صامت رخو مجهور أطول من التي يليها صامت رخو مهمـــوس ، والكسرة الطويلة التي يليها صامت شديد مجهور أطـــول من التي يليها صامت شديد مهموس ، والضمة الطويلة التي يليها صامت رخو مجهـــور أطول من التي صامت شديد مجهور. أما الحركة الطويلة التي يليها صوت مضعّف فقد ازدادت طولا عن سابقتها ، كما لوحظ أن الحركة الطويلة المتبوعة بـــصامت مـــضعّف رخو أطول من المتبوعة بصامت مضعّف شديد. كما تبـــين مـــن خـــلال التجـــارب أن الحركات الطويلة تزداد طولا إذا جاءت بعدها الهمزة.[4]

تلك هي النتائج التي أظهرتها التجارب المخبرية الحديثة ، أمـــا علماؤنـــا القـــدامى وخصوصا علماء التجويد فقد تناولوا الكمية الزمنية للحركات الطويلة في مبحـــث المـــد والقصر أما الحركات القصيرة فلم يبحثوا فيها لأن كميتها عندهم واحدة.

---

[1] – ينظر: نصر ، عطية قابل . غاية المريد في علم التوحيد ، ص:86.

[2] – القاري ، ملا علي بن سلطان محمد . المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، ص:196.

[3] –ينظر: القرالّة ، زيد خليل . الحركات في اللغة العربية ، ص:41 وما بعدها.

[4] – ينظر: المرجع نفسه ، ص: 48 وما بعدها.

2 ـــ 7 ـــ 3 ـــ المدود ومقاديرها :

تناول علماء التجويد مدد الأصوات في باب المد والقصر وهذا ملخص لما ذكروه[1]:

المد هو إطالة الصوت بحرف المد أو اللين عند وجود السبب وهو قسمان:

ا ـــ **المد الأصلي:** ويسمى بالمد الطبيعي ومقداره حركتان بحركة الأصبع حركة متوسطة لا بالسريعة ولا البطيئة وهو الذي لا تقوم ذات الكلمة إلا بوجوده ومثاله: **قال** ، **يقـــول** ، **قيل.**

ب ـــ **المد الفرعي** : وهو المد الزائد عن المد الأصلي لسبب من الأسباب وهو أنواع :

1 ـــ **المد المتصل** : وهو أن يقع بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة ومقداره أربع حركات أو خمس ، ويكون ست حركات إذا كانت همزته متطرفة ، أما عند ورش فإنه يمد دائما ست حركات ومثاله : **جاء** ، **تبوء** ، **جيء.**

2 ـــ **المد المنفصل** : وهو أن يقع بعد حرف المد همز منفصل عنه في كلمـــة أخـــرى ومقداره أربع حركات أو خمس ، وعند ورش يمد ست حركات ومثاله : **قـــالوا إنـــا** ، **ياأيها.**

3 ـــ **مد البدل** : وهو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة وليس بعد حـــرف المـــد همز أو سكون، ويجوز فيه عند ورش القصر (حركتين) والتوسط (أربـــع حركـــات) والطول أو الإشباع (ست حركات) ولا يجوز فيه عند حفص إلا القصر ومثاله : **ءامن** ، **أوتوا** ، **إيمانا.**

4 ـــ **المد العارض للسكون:** وهو المد الواقع قبل الحرف الأخير الذي يقف عليه القارئ بالسكون لأجل الوقف ، ولا يعتد بهذا المد إلا في حال الوقف أما في الوصل فليس له إلا المد الطبيعي ، ومثاله: **الرحيم** ، **المؤمنون** ، **العالمين** ، ويجوز في هذا المـــد الأوجـــه الثلاثة: القصر والتوسط والإشباع.

---

[1] – ينظر: نصر: عطية قابل. غاية المريد في علم التجويد ، ص:86 وما بعدها والقاري ، ملا علي بن ســـلطان . المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، ص:195 وما بعدها وقابة ، عبد الحليم . المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع ، دار البلاغ ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص:85 وما بعدها و عيساني ، رحيمة . الميـــسّر فـــي أحكام الترتيل ، ص:60 وما بعدها.

5 ــ **المد اللازم** : وهو أن يأتي بعد حرف المد ساكن أو مضعّف لازم وصلا ووقفا ، ومثاله: **الحاقّة** ، **محيايْ** ، ومقدار هذا المد ست حركات.

2 ــ 8 ــ المقاطع الصوتية :

الصوت الإنساني يخرج مصحوبا بهواء الزفير ، ولذلك يخرج متقطعا ، ولكن هذا التقطع ليس عشوائيا إنما هو بصورة منتظمة ، وهذا التقطع في الصوت الإنساني هو المعبر عنه بالمقاطع الصوتية ، وهي تختلف من لغة إلى أخرى ، وقد اختلف علماء الأصوات في تعريف المقطع ، ويوجد اتجهان بارزان في تعريفه وهما[1] :

ــ **التعريف الفونيتيكي** : ويرى أن المقطع هو تتابع من الأصوات الكلامية ، له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع.

ــ **التعريف الفونولوجي** : ويعرف المقطع بأنه الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها.

وتختلف المقاطع الصوتية في اللغات ، ويرمز للمقطع بالرمز (ص) للصوت الصامت والرمز (ح) للصائت أو الحركة ، أو بالرموز الشائعة (**c**) للصامت و (**v**) للصائت ، وتعرف العربية خمسة أنواع من المقاطع هي :

1 ــ المقطع القصير المفتوح : صامت + حركة قصيرة (ص ح) .

2 ــ المقطع المتوسط المفتوح : صامت + حركة طويلة (ص ح ح).

3 ــ المقطع المتوسط المغلق : صامت + حركة قصيرة + صامت (ص ح ص).

4 ــ المقطع الطويل المغلق : صامت + حركة طويلة + صامت (ص ح ح ص).

5 ــ المقطع الطويل المضاعف الإغلاق : صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت (ص ح ص ص).[2]

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الأنواع الثلاثة هي الشائعة في العربية أما النوعان الأخيران أي الرابع والخامس فلا يكونان إلا في أواخر الكلمات وعند الوقف[3].

---

[1] – ينظر : عمر ، أحمد مختار . دراسة الصوت اللغوي ، ص:283 وما بعدها وعبد الجليل ، عبد القادر. الأصوات اللغوية ، ص:215 وما بعدها.

[2] – ينظر: قدور، أحمد محمد .مبادئ اللسانيات ن ص:112.

[3] – ينظر: أنيس ، إبراهيم. الأصوات اللغوية ، ص:165.

2 ـ 9 ـ النبر :

النبر في اللغة : البـروز والظهـور، ومنـه المنبـر فـي المـساجـد ونحوهـا. وفـي الاصطـلاح: يعنـي نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نـسبيا من بقية المقاطع المجاورة[1].

والمعروف ـ كما يقول أحمد مختار عمر ـ :« أن اللغة العربيـة لا تـستخدم النبـر «كفونيم» بمعنى أنه لا يستخدم كملمح تمييزي في « ثنائي أصغر» يكون معنى الطـرف المنبور فيه مخالفـا لمعنـى الطرف غير المنبور»[2]، ويفهم من قوله أن النبر موجـود في العربية غير أنه ليس له دور دلالي، وهذا متعلق بنبر الكلمة أما نبر الجملة، وهو نبر كلمة من كلماتها فإن له دورا في الدلالة ، ومثاله الجملة الآتية:

- سافر أخوك أمس ؟
- سافر أخوك أمس ؟
- سافر أخوك أمس ؟

ففي الحالة الأولى وقع النبر على (سافر) ، مما يدل أن الاستفهام عن السفر، فالـسائل يشك في وقوعه أصلا ، أما في الحالة الثانية وقع النبر على (أخوك) ، ممـا يـدل أن الاستفهام عن الفاعل لأن السفر متحقق ، وإنما الشك فيمن سافر ، وفي الحالة الثالثة وقع النبر على (أمس) ، وهذا يدل أن السائل لا يشك في السفر ولا فيمن سافر ولكن شـكه في زمن السفر متى هو[3].

2 ـ 10 ـ التنغيم :

يعرف الدكتور تمام حسان التنغيم بأنه : « ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»[4]، ويقول الدكتور بشر : « التنغيم في الاصطلاح هو موسيقى الكلام فالكلام عنـد إلقائـه تكسوه ألوان موسيقية ... وتظهـر موسيقـى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضـات أو تنويعات صوتية ، أو ما نسميه نغمات الكـلام ، إذ الكلام مهما كان نوعـه لا يلقـى

---

[1] – ينظر: بشر، كمال. علم الأصوات ، ص:512.

[2] – عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي ، ص:357.

[3] – ينظر: أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية ، ص:175.

[4] – حسان ، تمام . مناهج البحث في اللغة ، ص:198.

علـــى مستوى واحد بحال من الأحوال»[1] ، ويقــول الدكتــور عبـــد القـــادر عبـد الجليل : « يلعب التنغيم دورا فاعلا في التقرير، والتوكيد ، والتعجــب ، والاســتفهام ، والنفـــي ، والإنكـــار ، والتهكــم ، والزجر ، والموافقة ، والرفض ، والقبول وغيرهـــا من أنواع الفعل الإنساني»[2].

3 ـ الدلالــة :

3 ـ 1 ـ تعريف الدلالة لغة واصطلاحا :

3 ـ 1 ـ 1 ـ تعريف الدلالة لغة :

(دلّ) عليه وإليه يدلّ دلالة : أرشد ، ويقال : دلّه على الطريــق ونحــوه: ســدّده إليه... (الدلالة) : الإرشاد ، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ... (الدليل) : المرشد [3].

3 ـ 1 ـ 2 ـ تعريف الدلالة اصطلاحا :

تعريف الفلاسفة : الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر سواء أكــان ذلــك بترتيب حكم على آخر أم بمعاينة شيء من الأشياء ، وترادفه الحجة والبرهان ، ولكن الأليق استعمال الحجة في دفع الخصم ، والبرهان في إقناعه ، والدليل في إرشاده[4].

تعريف الأصوليين : الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول ، وكيفيــة دلالــة اللفــظ علـــى المعنـــى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص[5] .

تعريف البلاغيين : الدلالة فهم أمر من أمر والأول المدلول والثاني الدال وهـــي إمـــا لفظية ، وإما غير لفظية ... والأولى ثلاثة أقسام :

ـ دلالة اللفظ على تمام مسماه (المطابقة) كدلالة الإنسان والأسد على حقيقتهما.

ـ دلالة اللفظ على بعض مسماه (التضمن) كدلالة البيت على السقف والجدران.

---

[1] – بشر، كمال. علم الأصوات ، ص:533.

[2] – عبد الجليل ، عبد القادر. الأصوات اللغوية ، ص:257.

[3] – ينظر: أنيس، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط ، ج:1 ، ص:294.

[4] – يعقوبي ، محمد. معجم الفلسفة ، مكتبة الشركة الجزائرية ، (دط) ، الجزائر ، 1399هــ/1979م ، ص:73.

[5] – الجرجاني ، الشريف علي بن محمد . التعريفات ، تح: عبد الرحمن عميرة ، عـــالم الكتـــب ، ط:1 ، لبنـــان ، 1416هــ / 1996م ، ص:139.

ــ دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متحركا أو شاغلا لجهة[1].

تعريف المحدثين : جاء في كتاب« مفاتيح الألسنية» لجورج مونان : « إن دلالة وحدة ما هي مدلولها»[2] ، ومن تعريفات المحدثين أيضا : الدلالة هي دراسة علم المعنى[3] . ويعنى بدراسة المعنى أو الدلالة في علم اللغة الحديث ، فرع يسمى (علم الدلالة) وهو أحدث فروع اللسانيات الحديثة ، وأول من استعمل مصطلح (علم الدلالة/sémantique) هو اللساني الفرنسي بريال (Michel Bréal) في مقاله الصادر عام 1883م ، ثم ما لبث أن فصّل القول في مسائل المعنى في كتابه (محاولة في علم الدلالة/Essai de sémanique) وذلك سنة1897م.[4] غير أن هذا العلم لم يبدأ في التطور على نحو جدي بوصفه فرعا مستقلا من فروع اللسانيات إلا في القرن العشرين ، وكان تطوره في السنوات الأخيرة على وجه الخصوص أكثر نجاحا بفضل تزايد أعداد المهتمين بمشكلاته ، واكتساب آفاق نظرية أكثر رحابة ، واستخدام إجراءات منهجية أكثر كفاءة[5].

3 ــ 2 ــ مفهوم الدال والمدلول :

يرتبط مفهوم الدال والمدلول بمفهوم العلامة اللغوية ، وكان المفهوم التقليدي للدال أنه ما يتلفظ به ، كما كان مفهوم المدلول أنه هو المعنى ، أو الفكرة التي يحملها القالب اللفظي بوضع الواضع [6]. ولكن اللسانيات منذ دي سوسير أعطت لكل من الدال والمدلول تحديدا جديدا حيث تناول العلامة اللغوية، فاللغة في نظره عبارة عن مستودع

---

[1] – ينظر: المراغي ، أحمد مصطفى. علوم البلاغة ، دار القلم ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص:191 ، 192 .

[2] – مونان ، جورج . مفاتيح الألسنية ، تر: الطيب بكوش ، منشورات سعيدان ، (دط) ، تونس ، 1994م ، ص:123.

[3] – عبد العبّود ، جاسم محمد. مصطلحات الدلالة العربية ، دار الكتب العلمية ، ط:1 ، لبنان ، 1428هـ/2007م، ص:46.

[4] – ينظر: مومن ، أحمد . اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) ، الجزائر ، 2002م ، ص:239.

[5] – إفيتش ، ميلكا .اتجاهات البحث اللساني ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، (دط) ، مصر ، 2000م ، ص:361.

[6] – ينظر: الرديني ، محمد علي عبد الكريم . فصول في علم اللغة العام ، عالم الكتب ، ط:1 ، لبنان ، 1423هـ/2002م ، ص:229.

من العلامات والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفــراد مجتمــع معــين ، وتضم جانبين أساسيين هما الدال والمدلول [1]. يقول دي سوسير:«إن العلامة اللغوية لا تربط شيئا باسم بل تصــورا بصورة سمعية »[2]. ويقترح دي سوسيــر استبدال هذين المصطلحين بمصطلحي الدال والمدلول[3] :

ــ **الدال** : وهو في نظر دي سوسير يتمثل في الصورة الــسمعية ، وهــي الانطبــاع الحسي أو النفسي للأصوات المؤلفة للكلمة ، ولا يشترط أن يكون اللفظ الدال منطوقــا دائما وإلا تعذرت عملية التفكير من أساسها ، لأن فيها يستدعي الإنسان صورا سمعية غير منطوقة ، هي انطباعات الأصوات في النفس[4] .

ــ **المدلول** : وهو يتمثــل في الصورة الذهنية ، أو ما يرتسم في الذهن بطريقة تــوهم في ظاهرها بالآلية ، بحكــم التكرار من جهة ، وبفعل حصول التعزيز لذلك التــصور من جهة ثانية[5] .

وعلى هذا فالدلالة اللغوية عند دي سوسير ليست إلا علاقة ارتباط بين الصورة السمعية والفكرة المستدعاة ، وهي علاقة تقوم على مبدأ الاعتباطية .

3 ــ 3 ــ أنواع الدلالة :

3 ــ 3 ــ 1 ــ أنواع الدلالة عند القدماء :

ا ــ **عند الجاحــظ** : تكلــم الجاحــظ عــن أنــواع الدلالات في «البيان والتبيــين» فقال : « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشــياء لا

---

[1] – ينظر: مومن ، أحمد . اللسانيات النشأة والتطور ، ص:127.

[2]– دي سوسير ، فرديناند . محاضرات في الألسنية العامة ، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائريــة للطباعة ، (دط) ، الجزائر ، 1986م ، ص89

[3] – المرجع نفسه ، ص:89.

[4] – ينظر: أبو زيد ، نواري سعودي. الدليل النظري في علم الدلالــة ، دار الهــدى ، (دط) ، الجزائــر ، (دت) ، ص:40.

[5] – ينظر: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة»[1] .

ب ــ عند ابن جني : وهو يقسم الدلالة إلى ثلاث مراتب : الدلالة اللفظيــة والدلالــة الصناعية والدلالة المعنوية ، ثم يقول:« اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر ، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب : فأقواهن الدلالة اللفظيــة ، ثــم تليها الدلالة الصناعية ، ثم تليها الدلالة المعنوية»[2].

ج ــ عند المناطقــة : وقد ذهــب إلى هــذا التقسيــم كل من الحفناوي في حاشــيته على إيساغوجي ، والزركشي في (البحر المحيــط فــي أصــول الفقــه) والتهانوي في (كشاف اصطلاحات الفنون) ، وهم يقسّمون الدلالة إلى لفظية وغير لفظية ، كمــا يقسّمون كلا من اللفظيــة وغير اللفظية إلى ثلاثة أقسام هــي : وضــعية ، عقليــة ، طبيعية[3] .

د ــ عند البلاغيين : وهو تقسيم السكاكي في (مفتاح العلوم) ، والقزويني في(الإيضاح) وهم يقسّمون الدلالة اللفظية لا كافة الدلالات إلى: دلالة وضعية ، ودلالة عقلية[4] .

3 ــ 3 ــ 2 ــ أنواع الدلالة عند المحدثين :

يقسم المحدثون أنواع الدلالة إلى : دلالة صوتية ، ودلالة صرفية ، ودلالة نحوية ، ودلالة معجمية :

أولا : الدلالة الصوتية :

حاز موضوع الدلالة الصوتية على اهتمام العلماء والمفكرين منذ القــديم ، يقــول الدكتور تمام حسان : « إن العلاقة بين الكلمة ومدلولها شغلت المفكرين في كل زمان ، واتخذت لنفسها أحيانا صورة القضايا الدينية ، وأحيانا أخرى صورة المجادلات الفلسفية

---

[1] – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربــي ، (دط) ، لبنــان ، 1968 ، ج:1 ، ص:56.

[2] – ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، ص:697.

[3] – ينظر: الطلحي ، ردة الله بن ردة . دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، ط:1 ، السعودية ، 1424هــ ، ص:30 ، 31 .

[4] – المرجع نفسه ، ص:31.

أو الأدبية أو اللغوية»[1]. فقد خاض في هذه المسألة اليونان والهنود والعرب قديما ، ولا تزال إلى اليوم تجد لها مساحة على بساط البحث اللغوي والفكري. فقد« استرعت اللغة نظر المفكرين من اليونان القدماء ، فراحوا يتساءلون عن أسرارها ، ويعجبون لتلك المجموعات الصوتية التي ينطق بها المرء فتعبر له عما يدور في خلده ، وتحقق له غرضا دنيويا نافعا»[2] ، وكان سقراط فيما يرويه عنه أفلاطون في محاوراته يميل إلى القول بوجود رابطة بين الألفاظ ومدلولاتها ، بينما كان أرسطو على خلاف ذلك إذ كان يرى أن العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها علاقة اصطلاحية عرفية[3].

أما الهنود فقد بحثوا علاقة اللفظ بالمعنى ، واختلفت آراؤهم حول هذه القضية ونحن نأخذ رأيين لجماعتين مختلفتين :

ـ الجماعة الأولى وتدعى (Vaisesikas) وهم جماعة من الفلاسفة اللغويين الهنود وهؤلاء يقولون بوجود نوع من العلاقة الضرورية وغير المتنوعة بين اللفظ والمعنى ، وهم يشرحون وجهة نظرهم قائلين : لابد من الاعتراف بأن كلمة معينة تملك نوعا من العلاقة مع فكرة معينة مدلول عليها بها وإلا فما السبب في ربطها بها ؟

ـ الجماعة الثانية وتدعى (Naiyaykes) وهم جماعة أخرى من الفلاسفة ، وهؤلاء يرفضون فكرة وجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى ، ويرون في هذا تعسفا وتجاوزا للحد المعقول ، ويرون أن الصلة بينهما مجرد علاقة حادثة ومرتجلة[4].

ولما ازدهرت الحضارة الإسلامية ، وأخذ العرب بجماع العلوم ، طرحت القضية للبحث ، وانقسم العرب كذلك فريقين : فمنهم من انتصر للفكرة القائلة بوجود علاقة بين اللفظ ومعناه ، وأشهر من عرف عنهم هذا الرأي (عباد الصيرمي) فيروى عنه

---

[1] – حسان ، تمام . اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة ، (دط) ، المغرب ، (دت) ، ص:110.

[2] – أنيس ، إبراهيم . دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:2 ، مصر ، 1963م ، ص:62.

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص:63.

[4] – ينظر: حمّاد ، أحمد عبد الرحمن . عوامل التطور اللغوي ، دار الأندلس ، ط:1 ، لبنان ، 1403هـ/1983م ، ص:149.

قوله : « إن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، وإلا لكان تخصيص الاسم بالمسمى المعين ترجيحا من غير مرجّح»[1].

وقد رد الفريق الثاني على هذا الرأي ، قال السيوطي:« وأنكر الجمهور هـذه المقالـة وقال: لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة ، ولما صح وضع اللفظ للضدين : كالقرء للحيض والطهر ، والجون للأبيض والأسود»[2].

وهكذا نرى أن مسألة الدلالة الصوتية طرحت للبحث لدى القـدماء مـن اليونـان والهنود والعرب ، وانقسم العلماء فريقين : فريق يثبت هذه الدلالة وفريـق ينفيهـا ، وبحث الدلالة الصوتية عند القدماء بحث طويل ، وقد اجتزأنا منه بهذه الإشارة كتمهيد لبحث الدلالة الصوتية عند المحدثين.

إن علم الدلالة وهو يدرس المعنى ، لا يغفل عن أنه الوجه الخفي لوجه آخر جلـي هو الجانـب الصوتـي ، فعلـم الأصوات بشقيه: الفونيتيك والفونولوجيا ، قد يـسهم في الكشف عن المعنى ، فالصوت يمثل جسد المعنى ، وكل تغيير في الصوت يلحقـه تغيير في المعنى[3]. إن الاختلاف الصوتي الذي يميز صوتا من آخر هو الذي يفرق بين معاني الكلمات ، فكلمة (طاب) بالطاء تختلف عن (تاب) بالتاء ، وهما متـشابهتان إلا أن الإطباق والاستعلاء الذي ميز صوت الطاء من صوت التاء هو الذي فـرق بـين المعنيين. فالأصوات حتما لها دخل في الدلالة ، ولا يمكن إنكار ذلك ، وهذا ما يـسمى الدلالة الصوتية. وقد تناول الدرس اللساني الحديث موضوع الدلالة الصوتية في جملة من المظاهر هي :

ا ــ **طبيعة الصوت داخل البنية** : فالصوت اللغوي له قيمة داخل بناء الكلمة و«الدلالة الصوتية تتحقق في نطاق تأليف مجموع الكلمة المفردة بالعناصر الصوتية الرئيسية»[4]

---

[1] – السيوطي ، عبد الرحمن . المزهر في علوم اللغة ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنـان ، 1408هـ/1987م ، ج:1 ، ص:47.

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – ينظر: أبو زيد ، نواري سعودي . الدليل النظري في علم الدلالة ، ص:17.

[4] – عكاشة ، محمود . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:17.

لقد ذهب (فيرث) إلى أن للاختيارات في النظام الصوتي ملازمات دلالية مباشـــرة[1]، ودلالة العناصر الصوتية داخل بنية الكلمة يسمى أيضا الدلالة الإيحائية ، وهذه الدلالة نابعة من التركيب الصوتي للكلمة ، ويمكن نسبتها إلى اختلاف قيم الأصـــوات جهـــرا وهمسا ، شدة ورخاوة ، علوا وانخفاضا ، ترقيقا وتفخيما . هذه القيم الخلافيـــة يتكـــأ عليهـــا في إيجاد الفرق بين الصوتين كمـــا هو في الثنائيات الصغرى وهي مجموعـــة من الفونيمات كل اثنين منها يتفقان في كل شيء إلا في شيء واحد هو الفارق بينهما ، وهو الذي يحمل القيمة الخلافية بينهما ويرشح كل منهما ليكون فونيمـــا مـــستقلا وبـــه يتعلق قدر من المعنى[2]. وهذه الدلالة الإيحائية تعرض إليه (فيرث) حيث عنـــى بهـــا العلاقة التي تربـــط الكلمـــات التـــي تبـــدأ بصوتيـــن متجانسين ، وقد ضرب أمثلـــة من الإنجليزيـــة حيث لاحـــظ أن اجتمـــاع الصوتيـــن (f) و(l) في أول الكلمة يـــدل على الحركة المفاجأة في مـــــثل (flick) بمعنـــــى (ينقـــر) ، و(flicker) بمعنـــى (يتراقـــص أو يتأرجح) ، و(flit) بمعنـــى (يتضـــاءل) ، و(flap) ، بمعنى (يـــضرب أو ينقر) ، كما ذهب (فيرث) إلى إن الحركة القصيرة (i) في الإنجليزية تـــدل علـــى صغر الحجم أو قلة الشيء ، وضرب أمثلة على ذلك ومنها (little) ، بمعنى صغير ، و(kid) ، بمعنى صغير ، و(chit) وتعنـــي رســـالة قـــصيرة ، و(pigmy) وتعنـــي قزم...الخ[3] ، وقد تعرض الدكتور أحمد مختار عمر إلى المعنى الإيحائي ، ونسب إلى (أولمان) حصر تأثيراته في المعنى في ثلاثـــة أنـــواع هي: التأثير الصوتي ، والتأثير الصرفي ، والتأثير الدلالي. وقال عن التأثير الصوتي أنـــه نوعـــان: مباشـــر وغيـــر مباشر ، فالمباشر عنى به محاكاة الأصوات ، وغير المباشر مثـــــل لـــه بالقيمـــــة الرمزية للكسرة التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة[4].

فالصوت داخل بنية الكلمة يتحمل دلالة ما ، وما ذهب إليه (فيرث) في الإنجليزية ــ كما مر بنا ــ ذهب إليه ابن جني من قبل ، ويعد ابن جني رائـــد دراســـة الدلالـــة

---

[1] – ينظر: عبابنة ، يحيى وآمنة الزعبي . علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الثقـــافي ، (دط) ، الأردن ، 1426هـ/2005م ، ص:51.

[2] – ينظر: الطلحي ، ردة الله بن ردة . دلالة السياق ، ص:347 ، 348.

[3] – ينظر: عبابنة ، يحيى وآمنة الزعبي . المرجع نفسه ، ص:52.

[4] – ينظر: عمر ، أحمد مختار. علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط:5 ، مصر ، 1998م ، ص:39.

الصوتية قبل أن يتوسع فيها علم اللغة الحديث ، وقد ذهب ابن جني إلى دلالة الصوت في الكلمة على المعنى ، ويرى بعض المحدثين أن هذا تمعّر ، وبعــضهم حبــذا هــذا الوجه ودعا إلى التوسع فيه[1].

لاحظ ابن جني أن هناك أصواتا أقوى من غيرها ، وأن الصوت الأقوى يــستعمل للمعنى الأقوى ، والصوت الأضعف يستعمل للمعنى الأضعف ومن أمثلة ذلك :

ــ **خضم وقضم** : فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء ، والقضم للصلب اليــابس ، نحو قضمت الدابة الشعير ، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس.

ــ **نضح ونضخ** : فالنضخ أقوى من النضح ، قــال الله ســبحانه : ﴿ فِيهِمَــا عَيْنَــانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: 66].

ــ **صعد وسعــد** : فصعــد لصعود الأشياء المحسوسة مثل: الجبل والحائط ، وســعد في الأشياء المعنوية ، مثل : سعيد الجد أي عال القدر ، وذلك لقوة الــصاد وضــعف السين ، والمحسوسات أقوى من المعنويات ، فتطلب التعبير عنها الأصوات القوية.

ــ **قد وقطع** : فالقد للقطع طولا ، والقط للقطع عرضا ، فالطاء تفيد السرعة ومن ثــم استخدمت في قطع العرض ، والدال استخدمت في قطع الطول لأنها تفيــد المماطلــة والطول[2].

فالصوت داخل الكلمة له مدلول ، ويكتسب هذا المدلول بمقابلتــه بــصوت آخــر يشترك معه في جملة من المميزات ويفترق عنه في أخرى ، كمــا يكتــسب الــصوت دلالته أيضا من صفاته الخاصة « ولعل من هذا الباب تلك العلاقة التي تنعقد من غيــر قصد الشاعر بين قافيته ورويه وبين الغرض العام الذي ينظم فيه ، وحالته النفــسية ، والدلالة التي يبتغي التعبير عنها»[3].

ب ــ النبر : تقدم تعريف النبر ، وهو نوعان : نبر الكلمة ونبر الجملة: أما نبر الكلمة فليس له دلالة في العربية لأنها لا تستعمل النبر ملمحا تمييزيا على مــستوى الكلمــة ، وهناك من يرى أن للنبر دلالة على مستوى بعض الكلمات العربية ويضرب لذلك مثلا

---

[1] – ينظر: عكاشة ، محمود . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:20 ، 21.

[2] – ينظر: ابن جني ، أبو الفتح عثمان. الخصائص ، ص:410 وما بعدها.

[3] – أبو زيد ، نواري سعودي . الدليل النظري في علم الدلالة ، ص:49.

بكلمة (أسدّ) من السداد وكلمة (أسد) الحيوان المعروف ، فهما تتشابهان عند الوقـوف عليهما بالسكون ، ولا يمكـن تمييـزها إلا بموضـع النبر ، ففي الأولى يقـع النبـر على المقطع الأخير ، وفي الثانية على المقطع الأول[1].

أما نبر الجملة فإنه يشارك في الدلالة عن طريق سياق الأداء ، ويتمثل في العنايـة بنطق لفظ أو حرف وإبراز دوره في الجملة ، بإعطائـه مزيـدا مـن قوة الـصوت في الأداء ، ليؤدي دورا وظيفيا في التركيب ، يؤثر في الدلالة ، ومن أمثلته:

ــ جملة : (هذا ما قلته) إذا وقع النبر على (ما) أبرز دورها في التركيـب فأعطـت معنى النفي ، أما إذا وقع على (قلته) فإنه يدل على أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي ، ويكون معنى التركيب (هذا الذي قلته) ، وهكذا يفرق النبر بين المعنيين.

ــ نبر بعض الأدوات في الجمل لإظهار وظيفتها في التركيب مثل(لا تخرج من هنا) ، (ما ذاكر دروسـه) ، (هل ذاكـر دروسه ؟) ، فالنبر يقع على (لا)،(ما)،(هل). ويقـع في جملة الشرط على أداته مثل:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾[النساء:78].

ــ يقع النبر في جملة الطلب على الكلمات الطلبية مثل(توكل الله)،(حذار من السرعة). ويقع النبر في الجملة الإخبارية حسب اقتضاء الدلالة ، فجملة (نحن أبناء العروبة) إذا وقع النبر على (نحن) فالمراد الافتخار بالذات ، أما إذا وقع النبر علـى الخبـر كـان المراد تأكيد الانتماء القومي.

ج ــ التنغيم : تقدم تعريف التنغيم ويقول البهنساوي: « وتبرز وظيفة التنغيم في اللغات النغمية ، كما هو الحال في اللغات الإنجليزية والروسية وكذلك العربية ، على مستوى الجملة وليس على مستوى الكلمة ، حيث يفرق التنغيم بين معنى جملة إذا نطقت بتنغيم هابط ، فإنها تدل علـى التقريـر ، في حين إذا ما نطقت بتنغيم صاعد ، فإنهـا تـدل على الاستفهام»[2]. فالجملة الاستفهامية ــ في اللغة العربية ــ لها هيكل تنغيمي يختلف عن الهيكل التنغيمي لجملة الإثبـات ، وهيكـلا التنغيم الاستفهامي والإثباتي يختلفـان عن هيكـل التنغيم لجملة مؤكدة ، فالصيغة النغمية هي منحى خاص بالجملة ، يعـين

---

[1] – ينظر: عكاشة ، محمود . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:46.

[2] – البهنساوي ، حسام . الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، ص:234.

على الكشف عن معناها[1]. ويظهر التنغيم من خلال التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني ، ويستطيع المتكلم التعبير عن مشاعره وأفكاره من خلال التنغيم من غير أن يتغير شكل التركيب[2].

وفي ترثنا العربي وردت أمثلة عديدة يمكن تحديد دلالاتها بواسطة التنغيم ومنها:

ـ قول عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهرا   عدد النجم والحصى والتراب

فتنغيم كلمة (تحبها) بالنغمة الصاعدة هو الذي بين دلالة الاستفهام في هذه الكلمة ، وهذا التنغيم قد أغنى عن أداة الاستفهام في البيت.

ـ ومن ذلك قول الشاعر :

لا يكون العير مهرا   لا يكون ، المهر مهر

فكلمة (مهر) في قافية البيت جاءت بالرفع على الخبرية لكلمة (المهر) قبلها ، و(لا يكون) في الشطر الثاني من البيت ما هو إلا توكيد لفظي لـ (لا يكون) الأولى. وهذا المعنى لا يتضح إلا بالتنغيم الصوتي لأسلوب التوكيد ، ويكون (المهر مهر) على الاستئناف[3].

ثانيا : الدلالة الصرفية :

ومن أنواع الدلالة عند المحدثين الدلالة الصرفية وهي:« نوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها»[4] ، والدلالة الصرفية ترفد علم الدلالة بنوع آخر من أنواع الدلالة التي أقرها علماء اللغة المحدثون ، وأرسى دعائمها علماء اللغة العرب[5].

والصرف علم يبحث في تصريف الكلمة ، وتغييرها من صورة إلى أخرى ، نحو (كرم ، يكرم ، كريم) وكذلك يتناول صيغة الكلمة وبنيتها ، لإظهار ما في حروفها من أصالة ، أو زيادة ، أو حذف ، أو إدغام ، أو إعلال ، أو إبدال ، أو يتناول دراسة تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة كالتصغير ، والتكسير ، والتثنية ، والجمع ، والاشتقاق ،

---

[1] – ينظر: البهنساوي ، حسام . الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، ص:236.

[2] – ينظر: عكاشة ، محمود . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:49.

[3] – ينظر: البهنساوي ، حسام .المرجع نفسه ، ص:237 ، 238.

[4] – أنيس ، إبراهيم. دلالة الألفاظ ، ص: 47.

[5] – ينظر: عبد العبود ، جاسم محمد . مصطلحات الدلالة العربية ، ص:109.

وبناء الفعل للمجهول ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ... ويسمى أيضا التصريف[1]. فعلم الصرف يعنى بالأبنية المختلفة للكلام ، ولكل بناء دلالة في المعنى إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية يقوم على المعنى المراد ، والوحدات الدالة نوعان:

النوع الأول: الأوزان الصرفية مثل أوزان الأفعال ، والمصادر ، والمشتقات وغيرها .

النوع الثاني: اللواصق وهي السوابق واللواحق والدواخل:

فالسوابق كحروف المضارعة مثل (أ) في أكتب وتدل على أن الفاعل (أنا) أي ضمير المتكلم المفرد .

واللواحق وهي التي تلحق آخر البناء مثل ياء النسب في (عربي).

والدواخل وهي التي تدخل بين الأصوات المكونة لبنية الكلمة مثل الألف في اسم الفاعل[2].

ثالثا : الدلالة النحوية :

عرف الجرجاني النحو بأنه:« علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها... وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام من فاسده»[3]. وعلم النحو عند العرب يعرف به النظام النحوي للجملة ، وهو ترتيبها ترتيبا خاصا ، بحيث تؤدي كل كلمة فيها وظيفة معينة فإذا اختل هذا الترتيب اختل المعنى المراد[4]. والغاية من دراسة النحو هي فهم تحليل بناء الجملة تحليلا لغويا يكشف عن أجزائها ، ويوضح عناصر تركيبها وترابطها ببعضها لتؤدي معنى مفيدا[5] و« ليس الوصف النحوي جامدا أصم خاليا من الدلالة»[6] ، فالنظام النحوي نظام ذو دلالة. وتعرف الدلالة النحوية بالدلالة التركيبية وهي:« تلك الدلالة التي تستفاد من السياق

---

[1] – ينظر: الأسمر ، راجي . المعجم المفصل في علم الصرف ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، 1418هـ / 1997م ، ص:287.

[2] – ينظر: عكاشة ، محمود . التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:61 ، 62.

[3] – الجرجاني ، الشريف علي بن محمد . التعريفات ، ص:295.

[4] – ينظر: حمّود ، خصر موسى محمد . النحو والنحاة المدارس والخصائص ، عالم الكتب ، ط:1 ، لبنان ، 1423هـ/2003م ، ص:9.

[5] – ينظر: عكاشة ، محمود .المرجع نفسه ، ص:127.

[6] – عبد اللطيف ، محمد حماسة . النحو والدلالة ، دار الشروق ، ط:1 ، مصر ، 1420هـ/2000م ، ص:40.

والنظم بمـــا يشتمل عليه من قرائن الحـــال والمقـــام التي تدل علـــى مقصد المـــتكلم من كلامـــه »[1] ، فالجملة تتكون من كلمات ، وهذه الكلمات ترتبط بالـــسياق النـــصي العام الذي وردت فيه ، فالكلمة في حال إفرادها تحتمـــل دلالات شـــتى ، والتركيـــب والعلاقات السياقية هي التي تكشف عن قصد المتكلم إلى إحدى هذه الـــدلالات التـــي تحتملها الكلمة حال إفرادها وعزلها عن السياق ، فالتركيب هو الـــذي يحـــدد المعنـــى المراد عن طريق القرائن السياقية والمقاميـــة التـــي لا تظهر إلا فيه ، ومـــن ثـــم لا يمكن تبين المعنى المقصـــود من صيغة مـــا في حـــالة الإفراد[2]. وقد عرف التـــراث اللغـــوي مصطلح (الإفادة) ، يقول ابن مالك: « كلامنا لفظ مفيد كاســـتقم »[3] ، وهـــم يريدون بالإفادة أن يكون للكلام فائدة يحسن السكوت عليها ، وإلا صار الكلام لغوا أو هراء ، ولقد « حرص النحويون العرب على أن يفرقوا بين مصطلحين هما: «الكلام» وهو عندهم عبارة عن كل لفظ مفيد يفهم منه معنى يحسن السكوت عليـــه... وثـــاني المصطلحين هو« القول» ويطلقونه على الكلمة المفردة ، وعلـــى المفردات المركبة بلا فائدة ، وأيضا على المركب المفيد»[4] ، فالقول أعم من الكلام ، لأن الكـــلام مـــشروط بالفائدة ، وأما القول فقد يكون كلمات لا رابط لها.

إن الكلمة خـــارج السيـــاق تحمـــل معنـــى حرا ، وقد يكون متعددا أما ما يوجـــه هذا المعنى ويحدده فهو النظام النحوي ، وبين المعنى المعجمي للكلمة ومعناها النحوي داخل التركيب تكامل وانسجام ، و«الدلالة النحوية التي ينهض بهـــا النظـــام النحـــوي الكامن وراء المفردات مع الدلالة المعجمية الأولية للكلمة يشكلان معا (معنى) الكلمـــة في الجملة»[5].

---

[1] – هنداوي ، عبد الحميد أحمد يوسف . الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنـــان ، 1423هـ/2002م ، ص:50.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص:50.

[3] – ابن مالك ، محمد بن عبد الله الأندلسي . متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، دار الإمام مالـــك للكتـــاب ، ط:1 ، الجزائر ، 1423هـ/2002م ، ص:9.

[4] – عبد اللطيف ، محمد حماسة. النحو والدلالة ، ص:162.

[5] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ومن أمثلـــة ذلـــك: كلمـــة (أتى) التي نجد لها دلالات مختلفة حسب اســـتعمالاتها في النص القرآني الكريم ، ففي قوله تعالى:﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحـــل:1] فزمن الإتيان هو المستقبل وإن جاء في صيغة الماضي ، فكأن مقصود الآية أن أمـــر الله سيأتي لا محالة مجيئا مقطوعا به ، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل. وفي قوله تعالـــى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه:69] فإن (أتى) تفيد الحـــال المـــستمرة التي تشبه الحقائق الثابتة ، وإن كانت في صيغة الماضي ، أي لا يفلح الساحر مهمـــا أتى بسحره. وفي قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:89] فـــ (أتـــى) أفادت المستقبل وإن جاءت بصيغة الماضـــي أيضا ، والنكتة في ذلك إما في تحقيـــق القدوم على الله تعالى والمثول بين يديه مما يناسب مقام الآية وسياقها ، وإمـــا إثبـــات الإتيان بقلب سليم على وجه التحقيق والكمال[1]. وعلى هذا فالدلالة النحوية هي دلالـــة الكلمة حين توضع في سياق معين ، وهذا لا ينفي وجود دلالة للكلمة خارج الـــسياق ، ولكن الكلمة لها مدلول معجمي ، وذلك حال كونها معزولة عن السياق ، ولها مـــدلول نحوي وظيفي حال كونها منتظمة في سياق معين ، وهما مدلولان متكـــاملان لأننـــا لا نتواصل بكلمات معجمية معزولة ، وإنمـــا نتواصل بكلام منتظم وفق النظام النحـــوي للغة ، وهذا ما يجعل الدلالة النحوية تكتسب أهمية كبيرة.

رابعا : الدلالة المعجمية :

« المعجم وعاء اللغة»[2] ، وهو« يدور حول الكلمة إيضاحا وشرحا ، ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي»[3] ، و المعجم أيضا « هو ما يدل على المعنـــى أو المعـــاني التي تمتلكهـــا الكلمة»[4] ، كما عرف أيضـــا بأنه قائمة بمفردات اللغة أو مورفيماتها ، أو هو المخزون الكلي لمورفيمات اللغة[5] ، وعرفـــه الدكتـــور محمـــد حـــسين آل

---

[1] – ينظر: هنداوي ، عبد الحميد أحمد يوسف . الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص:51 وما بعدها.

[2] – لوشن ، نور الهدى . مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص:251.

[3] – حسان ، تمام. مناهج البحث في اللغة ، ص:258.

[4] – ديكرو ، أوزوالد وجان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر: منذر عياشي ، المركـــز الثقافي العربي ، ط:2 ، المغرب ، 2007م ، ص:111.

[5] – ينظر: عبد الدايم ، محمد عبد العزيز. النظرية اللغوية في التراث العربـــي ، دار الـــسلام ، ط:1 ، مـــصر ، 1427هـــ/2006م ، ص:246.

ياسين بأنه:« الكتاب الذي يراعى في ترتيب مادته ترتيب الحروف ، فكأن هذا الكتاب يزيل إبهـام هذه المادة المرتبة على حروف المعجم ويبينها ويوضحها بما يجمعه من مواد لغوية وغير لغوية منسقا لها ومرتبا إياها على حروف المعجم»[1] ، كما عرفه الدكتور فايز الداية بأنه:«المرجع الذي يحتوي على ألفاظ اللغة ، أو ما يستطاع تدوينه منها ، ويصف أحوالها الدلالية»[2] ، من خلال هذه التعريفات نستنتج أن المعجم يطلق ويراد به معنيان :

ا ـــ المعجم اللغوي المركوز في الذهن الجمعي للجماعة اللغوية.

ب ـــ الكتاب الذي تجمع فيه مفردات اللغة وترتب بطريقة مخصوصة ، وفيه يتم شرحها وتوضيحها.

والدلالة المعجمية هي: «عبارة عن المعنى الذي يستقل به اللفظ في المعاجم اللغوية وأثناء التخاطب»[3] ، وهي أيضا: «الدلالة الأساسية التي تكتسبها الألفاظ عن طريق الوضع اللغوي، وتسمى الدلالة الاجتماعية ، وقد تكفلت معجمات اللغة ببيان هذه الدلالة»[4] ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: « فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية ، تستقل بها عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية ، التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية»[5] ، فالدلالة المعجمية إذن ، هي دلالة الكلمة التي استخدمت بها في المجتمع مفردة أو في تركيب ، سواء أكان المعنى حقيقيا في أصل الوضع ، أم مجازيا منقولا عن معنى حقيقي ، ويبحث المعجم معنى الكلمة ، بذكر معناها ، أو مرادفها ، أو مضادها ، أو ما يفسرها ، وقد يقدم معلومات عنها ، كأصل الوضع وتطورها التاريخي ومشتقاتها ، وقد يذكر بعض السياقات اللغوية التي توضح دلالتها ،

---

[1] – آل ياسين ، محمد حسين . الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، دار مكتبة الحياة ، ط:1 ، لبنان ، 1400هـ/1980م ، ص:220.

[2] – الداية ، فايز. علم الدلالة العربي ، دار الفكر ـــ دمشق ودار الفكر المعاصر ـــ بيروت ، ط:2 ، سوريا ، 1417هـ/1996م ، ص:40.

[3] – عبد العبّود ، جاسم محمد. مصطلحات الدلالة العربية ، ص:115.

[4] – الرديني ، محمد علي عبد الكريم ، فصول في علم اللغة العام ، ص:255.

[5] – أنيس ، إبراهيم . دلالة الألفاظ ، ص:48.

وقد يكون موجزا ، فيكتفى بذكر المعنى دون شواهد توضحه ، وقد يفسر المعنى بنقيضه ، أو يبيّن علّة تسميته بهذا الاسم. وقد توسع مجال الدراسات المعجمية حديثا ، فشمل كافة فروع المعرفة الإنسانية ، وأدخل تقنيات العصر ، واستعان بالصور والأشكال التي توضح مراد اللفظ وتكشف غموض دلالته وتقرب مفهومه للأذهان[1].

3 ـ 4 ـ مظاهر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم :

القرآن كتاب محكم في بنائه اللغوي، سواء من ناحية التراكيب أو الألفاظ أو الأصوات ، فهو ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ﴾ [هود:1] ، فالكلمة التي يختارها مراعىً فيها جانب المعنى ، وجانب الصوت ، فالمعنى هو الأساس لأنه سبيل الإبلاغ ولا يتم الإبلاغ إلا به ، ولكن الصوت وجرسه وما يلقيه من ظلال هو أيضا مقصود ومراد ، فهو يجمع بين جمال المعنى وجمال المبنى ، ويزاوج بينهما في أسلوب بديع .

وقد تنوعت أساليب القرآن بين ترغيب وترهيب ، ووعد ووعيد ، وأمر ونهي ، وكل أسلوب يختار له ما يناسبه من الألفاظ والأصوات لينسجم مع المعنى المراد ، وهذه بعض مظاهر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم:

3 ـ 4 ـ 1 ـ دلالة الترهيب والتخويف:

يستعمل القرآن للترهيب والتخويف ألفاظا تتناسب أصواتها مع دلالاتها وتوحي بمناخ رهيب مخيف ، ومن الأمثلة على ذلك:

ا ـ قال الله تعالى حكاية عن أهل النار:﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [فاطر:37] ، فكلمة **يصطرخون** توحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته ، فهو في شدة إطباقه ، وتراصف إيقاعه من توالي الصاد والطاء ، وتقاطر الخاء والراء ؛ والترنم بالواو والنون يمثل رنة الصراخ المدوي[2]. وقد تجمعت فيها من أصوات الاستعلاء: الصاد والطاء والخاء ، مما يعطي للفظة ضخامة كضخامة الأهوال في النار ، وختمت بالواو والنون اللذين يعطيان للفظة دويا ، وهذا ينسجم مع الأصوات المضطربة المتعالية المدوية للمعذبين .

ب ـ يقول تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [التوبة:38] والآية في معرض التنفير من القعود عن الجهاد في سبيل الله ، وقد

---

[1] – ينظر: عكاشة ، محمود. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص:157.

[2] – ينظر: الصغير ، محمد حسين علي .الصوت اللغوي في القرآن ، ص:99 ، 100.

استعمل القرآن لفظة (**اثّاقلتم**) للدلالة على نكوص الخائفين من الموت ، وهذه الكلمة تؤدي بتركيبها الصوتي ما لا تؤديه أختها (**تثاقلتم**) ، فإن نظام الأصوات فيها وطريقة أدائه من حركة التشديد على الصوت اللثوي (الثاء) والمد الذي بعده ، ومجيء القاف وهو صوت يخرج من اللهاة ومؤخر اللسان ، كما أنه شديد ومقلقل ، ثم التاء المهموسة فالميم التي تنطبق عليها الشفتان ، ويخرج صوتها من الأنف ، وهذا التتابع الصوتي جعل نطق هذه الكلمة ثقيلا على اللسان مقارنة بنطق أختها **تثاقلتم** التي تظهر فيها الخفة والسرعة بسبب رصف أصواتها وزوال الشدة وسبق التاء قبل الثاء[1]. إن الكلمة (**اثّاقلتم**) تخرج أصواتها بشكل يكاد ينعقد معه اللسان ، وخاصة عند الثاء المشددة والقاف التي تلتها ، ولعل هذا هو مركز الثقل في الكلمة ، بينما اتسمت أختها بالخفة لزوال الشدة وتوالي الفتحات الذي يجعل في الكلمة سرعة وخفة.

3 ـ 4 ـ 2 ـ دلالة الترغيب والتأنيس :

في القرآن ألفاظ توحي أصواتها بدلالات الأنس والقرب والحنان ، وهي دلالات الترغيب في العمل الصالح والإقبال على الله تعالى ، ومن ذلك لفظة (**رحمة**) في كثير من آيات القرآن ومنها :

ـ قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:157].

ـ وقوله تعالى:﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم:2].

ـ وقوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:159].

فكلمة (**رحمة**) تتميز بصوتها الذي ينساب إلى عمق النفس الإنسانية[2]. وهذه الكلمة تتكون من هذه الأصوات الثلاثة: (ر ، ح ، م) فالراء والميم من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، ويتوسطها الحاء ، الرخو ، المهموس ، المنفتح ، المستفل ، وهذا الصوت الذي يتوسط الراء والميم ، يجمع كل صفات الرقة والسلاسة والعذوبة ، ولذلك جمعت هذه الكلمة من صفات اللطافة والعذوبة ما يتلاءم مع معناها.

3 ـ 4 ـ 3 ـ دلالة الصوت بين القوة والضعف :

---

[1] – ينظر: أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، ص:181 ، 182.

[2] – ينظر: الصغير، محمد حسين علي . الصوت اللغوي في القرآن ، ص:108.

يستعمل القرآن الكريم الأصوات القوية للمعاني القوية ، والأصوات الضعيفة للمعاني الضعيفة ، وذلك لتجسيد المعنى في الصورة الصوتية ، فالصوت يلين أو يشتد حسب المعنى المراد ، ومن ذلك وصف الله تعالى عبادات المشركين ببيت العنكبوت ، قال تعالى :﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت:41] والوهن هو الضعف أو شدة الضعف ، وبيت العنكبوت هو أضعف البيوت على الإطلاق ، ولو قيل في غير القرآن : إن أضعف البيوت بيت العنكبوت ، لكان المعنى واضحا ، ولكن القرآن اختار كلمة **(أوهن)** بدل **(أضعف)** لأن **(أوهن)** أكثر دلالة على الضعف من **(أضعف)** ، ونجد هذه الدلالة في أصوات الكلمة نفسها: فالهمزة صوت مستفل ، منفتح ، والواو صوت لين ، وأما الهاء فصوت خفي ، مهموس ، رخو ، وأما النون فصوت أغن ، منفتح ، مستفل ، وهكذا تشترك الأصوات جميعا في كونها مستفلة ومنفتحة ، وليس من بينها صوت مستعل ولا مطبق ، لذا غلب عليها الضعف ، فناسب أن يعبر بها عن حال المشركين وما يعبدون من دون الله ، حيث يتعلقون بأوهن المعبودات وأقلها شأنا.

ومن ذلك وصف خزنة النار وهم يدفعون أهل جهنم ، قال الله تعالى:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:13] ، **(فالدعّ)** هو الدفع في الظهر بقوة ، ولم يقل القرآن يدفعون لأن دخول الفاء وهو صوت ، مهموس ، رخو ، قد يضعف الكلمة ، ولكن القرآن اختار كلمة **(الدعّ)** ، وهي تشبه الصوت الذي يحدثه المدفوع في ظهره ، و تتركب من صوتين : الأول هو الدال ، قال مكي في الرعاية: «الدال حرف قوي لأنه مجهور شديد كالطاء»[1] ، ومن شدة هذا الصوت وقوته احتاجوا إلى قلقلته عند سكونه ، والثاني هو العين وهو صوت مجهور متوسط ، مصمت والإصمات هو ثقل نطق الصوت لبعده عن ذلق اللسان ؛ أي طرفه ، كما أنه مشدد والشدة تزيد في قوة الصوت ، قال مكي:« ويقال: إن فيها بعض الشدة فهي حرف قوي»[2]، وهذه الصفات التي رأينا لهذين الصوتين تمنح الكلمة وقعا خاصا يتميز بالقوة والقسوة ، وهي قسوة يعامل بها الكفار نظير كفرهم وإعراضهم عن الحق.

---

[1] – القيسي ، مكي بن أبي طالب . الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، ص:201.

[2] – المرجع نفسه ، ص:162.

الفصل الثالث :

الدلالة الصوتية للفاصلة في الجزء الأخير من القرآن .

-تمهيد :

سنقوم في هذا الفصل بالدراسة التطبيقية على الجزء الأخير من القرآن الكـريم ، وسوف نتتبع في عملنا جملة من الخطوات هي :

أولا : التعريف بالسورة ، وسبب نزولها والمناسـبة إن وجـدا ، والموضـوع العـام والمواضيع الجزئية التي تعالجـها وهذا يضعنا في الجو العـام للسورة ويـساعدنـا على معرفة دلالات الأصوات التي تنتهي بها الفواصل .

ثانيا : نبحث عن دلالات الأصـوات التي تنتهي بها الفواصـل حال الوقف عليهـا ، من حيث مخارجها وصفاتها ومميزاتها ، و كذا المقاطع الصوتية التي تنتهي بها .

و أغلب هذا الجزء من القرآن المكي ، ومن خصائصه الموضوعية ما يأتي :

1 ــ الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده ، وإثبات الرسالة ، والبعث والجزاء .

2 ــ وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع .

3 ــ ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة ليعتبروا بمصير المكذبين قـبلهم ، وتـسلية لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى يصبر على أذاهم ويطمـئن إلـى النـصر عليهم[1].

1 ــ سورة النبأ :

مكية ، وآياتها أربعون ، وقد ذكر فيها « الخبر الهام عن القيامة والبعث والنشور ، ومحور السورة يدور حول إثبات « عقيدة البعث» التي طالما أنكرها المشركون»[2] .

وسبب نزولها كما قال الصاوي : « أنه صلى الله عليه وسـلم لمـا بعـث جعـل المشركون يتساءلون فيقولون : ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعـث بـه»[3]. وقـال

[1] – ينظر: القطان ، منّاع . مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط:15 ، لبنان ، 1405هــ/1985م ، ص:63 ، 64 .

[2] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، قصر الكتاب ــ البليدة وشركة الشهاب ــ الجزائر ، ط:5 ، الجزائـر ، 1411هــ/1990م ، ج:3 ، ص: 506 .

[3] – الصاوي ، أحمد المالكي . حاشية الصاوي على الجلالين ، مر: نجيب الماجدي وأحمد عوض أبو الشباب ، المكتبة العصرية ، ط:1 ، لبنان ، 1423هــ/2002م ، ج:4 ، ص: 482 .

البغوي : « لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت ، وتلا عليهم القـــرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون : ماذا جاء به محمد صلى الله عيه وسلم ؟ »[1].

و تتناسب السورة مع ما قبلها في أمور منها : إثبات قدرة الله على البعث الذي ذكر في السورة السابقة أن الكافرين كذبوا به ، وفي كل منهما تأنيب وتقريـــع للمكـــذبين ، وكل منهمـــا فيها وصف الجنة والنار ، وما ينعم به المتقون ويعذب بـــه المكـــذبون ، وفي هذه السورة ما أجمل في تلك عن يوم الفصل[2] .

1 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ ابتدأت السورة بالحديث عن تســـاؤل المشركين عن يوم القيامة واختلافهم فيـــه : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّـــا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وقد جاءت الفواصل بالنون والميم ، وكلاهما مجهور أغن ، والغنة مـــع الجهر تجعل للصوت دويا ، وهذا يتناسب مع الدوي العظيم الذي يحدث إذا نفـــخ فـــي الصور فتصعق له الخلائق ، و هما من أشباه الصوائت ، ولهما وضوح سمعي قريب من الصوائت ، ودلالة الوضوح تتناسب مع وضوح حقيقة البعث التي يمـــاري فيهـــا المجادلون ، كما أن للواو والنون فخامة عند النطق سببها العمل المشترك لحجـــــرات الرنين عند الحنجرة وتجويف الأنف وفراغ الفم ، وهذا يتناسب مع المهابـــة العظيمـــة ليوم القيامة ، كما أن للتضخيم دلالة استهجان لتساؤل المشركين عن البعـــث ؛ « قـــال الزجاج : اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم ، كما تقول : أي شيء زيد ؟ إذا أعظمـــت أمره وشأنه »[3].

أما المقاطع التي تنتهي بها هذه الفواصل فهي من نـــوع (ص ح ح ص) الطويـــل المغلق ، وهو يدل على عظمة يوم القيامة ، أو على طوله وامتداده ، أما دلالة الإغلاق فقد تتناسب مع حـــــال النـــاس في ساحة العـــــرض ، حيث لا يـــستطيعون فـــرارا

---

[1] – البغوي ، الحسين بن مسعود . تفسير البغوي ، تح : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، ط:5 ، لبنان ، 1423هــ/2002م ، ج:4 ، ص: 436 .

[2] – ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، دار الفكر ، ط: 3 ، لبنان ، 1394هــ/1974م م : 10 ، ج: 30 ، ص : 3 .

[3] – البغوي ، المرجع نفسه ، ص: 436 .

ممـــا هم فيه ، أو مع الحرج الشديد الذي يصيب الناس من شدة الحر والعرق ، وحين تتطاير الصحف ، مما تكاد تتغلق الأنفاس لذكره في الدنيا ، فكيف بمعاينته يوم القيامة.
2 ـــ ثم أعقبت بالحديث عن دلائل القدرة الإلهية ، وأن هذا الصانع العظيم الذي ابتـــدأ فخلق هذه المخلوقات العظيمة من العدم ، لا يعجزه أن يعيدها بعد فنائها : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا *وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُـبَاتًا * وَجَعَلْنَـــا اللَّيْلَ لِبَاسًا *وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ ، وقد ذكر لهم من مظاهر قدرته أمورا يشاهدونها لا تخفى علـــيهم و منهـــا : انبـــساط الأرض وتمهيدها لتصلح لسير الناس والأنعام ، وسموق الجبال صاعدة فـــي الجـــوّ ، وتنـــوع الآدميين إلى ذكور وإناث ، وجعل النوم راحة للإنسان من عناء الأعمال التي يزاولها عامة نهاره ، وجعل الليل ساترا للخلق ، وجعل النهار وقتا لشؤون الحياة والمعـــاش ، وارتفاع السموات فوقنا مع إحكام الوضع ودقة الـــصنع ، ووجـــود الـــشمس المنيـــرة المتوهّجة ، ونزول المطر وما ينشأ عنه من النبات[1] .

وقد انتهت الفواصل بما يتوافق مع موضوع الآيات ، فقد اختيـــر صـــوت الـــدال والجيم ، للتعبير عن القوة ، عند الحديث عن المخلوقات العظيمة كالأرض والجبـــال وغيرها ، وهذان الصوتان كلاهما مجهور قوي ، أما عند الحديث عن النوم وهو وقت الراحة للإنسان وفيه يسترجع قواه فقد اختير له صوت التاء وهو صوت مهموس مرقق مستفل ضعيف ، والإنسان أضعف ما يكون في حال النوم ، بل هو أثناء نومه أقـــرب إلى الموت منه إلى الحيـــاة ، وأما الليل فهو وقت السكون ، حيث تختفـــي أصـــوات الكائنات ، ولهذا اختير له صوت السين وهو صوت مهموس ضعيف مرقـــق ، ليعبـــر عن هذه الحـــال الساكنـــة الهادئة في جنح الليل ، أما النهـــار فهو الوقت الذي تنتشر فيه الكائنات تطلب أقواتها ، فناسب صوت الشين الذي من صفاته التفشي لأن الهـــواء ينتشر في الفم عند نطقه ، وهذا الانتشار في الصوت يقابله انتشار الناس فـــي طلـــب الرزق ، وعند الحديث عن النباتات المختلفة جيء بالتاء والفاء وهما صوتان ضعيفان

---

[1] – ينظر: المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج :30 ، ص: 6 .

مهموسان مرققان ، لأن النبات والجنات نعمة ، والنعمة من طبيعتها الليونة والنعومة والرقة ، وهذه الأشياء يناسبها صوت لطيف فاختيار التاء والفاء أنسب لهذا المقام .

3 ـ بعد هذه المقدمة المتضمنة دلائل القدرة الإلهية ، تهيأت النفوس للحديث عن اليوم الآخر، وعن تفاصيله : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا* يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ . الصوت الذي غلب استعماله فاصلة هو الباء وهو صوت شفوي مجهور شديد مقلقل قوي، وعلى هذا فهو يتناسب مناسبة كبيرة مع الحديث عن يوم القيامة ، أما من حيث الشدة فلا أشد منه ، وقد عبر عنه القرآن بكل الأصوات المخيفة كالطامّة والصاخّة وغيرها ، أما من حيث الجهر ، ففيه دلالة الوضوح والاشتهار فهذا اليوم مشهور معلوم لدى الخلائق ، أخبرت به الأنبياء وحذرت منه أقوامها ، كما تدل صفتا الجهر والشدة على وزن هذا اليوم الذي ثقل في السموات والأرض ، وقد اختير الباء لقرب مخرجه وسهولة نطقه ، ولعل دلالة القرب تشير إلى أن يوم القيامة قريب وإن بدا للناس بعيدا ، وأما السهولة ففيها إشارة إلى سهولة إعادة الناس وبعثهم وأن ذلك هين على خالقهم . وتشترك مع الباء في هذه الدلالة الدال والجيم والقاف ، وهي أصوات قوية كذلك ، وهي من مجموعة (**قطب جد**) التي لا يوقف عليها إلا مقلقلة ، وقد نجد دلالة القلقلة في هذه الأصوات جميعا ، فغالبا ما تأتي الأصوات المقلقلة للدلالة على المحن والفتن والقلاقل ، مثل سورتي (ق) و(البروج) ، وهل هناك أعظم من فتن القيامة وقلاقلها .

وقد جاء ضمن هذه الأصوات صوتان مختلفان هما التاء والزاي ، فكلاهما صوت ضعيف ، أما التاء فقد فتح به الحديث عن يوم الفصل ، وقد كان يمكن أن يقال في غير القرآن (ميعادا) بدل (ميقاتا) ، ويكون المعنى صحيحا ولكن القرآن اختـار(ميقاتـا) ، والتاء صوت مهموس ضعيف ، و ذلك لأن الحديث كـان عن النعم والجنات الملتفـة وما فيها من خير ، فناسب أن يكون الانتقال من الحديث اللين إلـى الحـديث الـشديد بصوت مهمـوس ضعيف ، أما الزاي فهو صوت احتكاكي(رخو) مجهـور صـفيري مستفل مرقق ، وقد افتتح به الحديث عما أعد للمتقين بعد الحديث عما أعد للطـاغين ، ولعل هذا من أجل الانتقال من حديث شديد إلى حديث لين ، أو لأجل إيناس المتقين بعد ترهيب الآخرين ، أو للدلالة على أن عيش المتقين في الآخرة رقيق ناعم .

وقد جاءت كل فواصل السورة ما عدا الخمس الأوائل ممدودة بـالألف ، وانتهـت بمقاطع من نوع (ص ح ح) المفتوح المتوسط ، وبعض الدارسين يطلقون عليه صـفة الطويل ، ويطلقون على الطويل صفة المديد[1] ، وهذا المقطع وإن كان متوسطا إلا أنه ينتهي بصائت طويل (ح ح) ، وهذا الطول والامتداد يحمل دلائل عدة : ففي الحـديث عن دلائل القدرة الإلهية ، فإننا نلحظ في الامتداد دلالة عظمة هذه المخلوقات من أرض وجبال وسموات وغيرها ، وهي ممتدة في الآفاق الرحيبة ، تشعر المتفكـر المتـدبر بعظمة من خلقهـا وابتدأهـا من العدم « فإن من قدر على إنشاء تلك الأمور البديعـة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقـوى»[2]. أمـا عنـد الحديث عن يوم الفصل بتفاصيله ، فإن الطول والامتداد يوحي بطـول يـوم القيامـة وامتداده ، وأيضا بخلود كل فريق في الدار التي أدخلها . وقد ابتدأت السورة بمقـاطع مغلقة ، وانتهت بمقاطع مفتوحة ، والغلق يدل على حالة القلق التي تنتاب المتسائلين ، والفتح يدل على زوال الحيرة ببيان الحق ، فلم يعد هنالك شك بعد الحجة والبرهـان ، فمن آمن فقد اطمـأن إلى إيمـانه بالدليل ، ومن كفر فقد غمط الحـق ونـأى بنفـسه عن الصواب .

---

[1] – ينظر: قدور ، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، ص: 111.

[2] – الألوسي ، ابو الفضل شهاب الدين محمود . روح المعانيفي تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 1398هـ/1978م ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 14 .

وقد غلب على فواصل السورة الأصوات القوية ، وهذا يدل على طبيعة الموضوع الذي تعالجه السورة من جهة ، وأيضا لتعلق هذا الأمر بالعقائد التي تحتل من النفـــوس أعمق المواطن[1] ، ولذلك لزم لتغييرها اختيار أصوات قوية تستطيع بتأثيرها الوصـــول إلى العمق الإنساني ، وإصلاح الخلل العقـــائدي .

2 ـــ سورة النازعات :

مكية ، وآياتها ست وأربعون ، نزلت بعد سورة النبأ ، وهي تليهـــا فـــي ترتيـــب المصحف ، وتشترك معها في معالجة موضوع البعث والنشور ، وقد ابتدأت بالقـــسم ، والقرآن الكريم نزل بلغة العـــرب وعلى أساليبهم ، ليكـــون مفهـــوما لديهم وذا وقـــع في نفوسهم ، فاستعمل القسم في مواضع كثيرة وخصوصا في أوائل السور المكيـــة ، ووقوع القسم في ابتداء السورة له أثره النفسي ، فإن البدء به مدعاة لجذب انتباه السامع لما يحدثـــه القسم في نفسه من الرهبة ، فإذا حـــدث ذلك صـــحبه تهيـــؤ نفسي لتلقي ما يقال[2]. وإذا عدنا إلى جميع ما أقسم الله به وجدنـــــاه « إما شيئا أنكره بعض الناس أو احتقره لغفلتـــه عن فائدته أو ذهل عن موضع العبـــــرة فيه وعمي عن حكمـــة الله في خلقه أو انعكس عليه الرأي في أمره فاعتقد فيه غير الحق... فيقـــسم الله بـــه إمـــا لتقرير وجوده في عقل من ينكره أو لتعظيم شأنه في نفس من يحقره أو تنبيه الـــشعور إلى ما فيه عند من لا يذكره أو لقلب الاعتقاد في قلب من أضله الوهم أو خانه الفهم»[3].

2 ـــ 1 ـــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـــ ابتدأت السورة بالقسم بخمس صفات حذف موصوفها ، فاختلف المفسرون فيهـــا إلى أقوال كثيرة ، فقيل : الملائكة ، وهذا أشهر الأقوال ، وقيل النجوم ، وإلى هذا مال الأستاذ محمد عبده والشيخ المراغي[4] ، وقيل : هي الخيل ، وإليه مالت الدكتورة بنـــت

---

[1] – التكريتي ، محمد . آفاق بلا حدود (بحث في هندسة النفس الإنسانية) ، دار الخلدونية ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص: 121 .

[2] – ينظر: طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمَّ ، دار العلم للملايين ، ط:6 ، لبنان ، 1984م ، ص:34 .

[3] – عبده ، الشيخ محمد . تفسير جزء عمَّ ، دار الكتب ، (دط) ، الجزائر ، 1982م ، ص : 12 .

[4] – المرجع نفسه ، ص : 13 ، والمراغي . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج :30 ، ص: 21 ، 22 .

الشاطئ[1] ، وقيل غير ذلك ، وأيا كان المقسم به فإن ما أقسم الله به كتابه هو من قبيل المعظم لديه ، قال صاحب الفتوحات الإلهية : « أقسم بهذه الأشياء لشرفها ولله أن يقسم بما يشاء من خلقه»[2] ، وقد مهد بهذا للحديث عن اليوم الآخر: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ، ونرى أن القرآن اختار لهذا التمهيد أصواتا قوية في مجملها إلا صوت الحاء ، فقد تكرر القاف مرتين وهو صوت لهوي شديد وشبه مفخم ومقلقل ، فهو بهذا صوت قوي ، وأما الطاء فهو صوت أسناني لثوي شديد مفخم مطبق مقلقل فهو أيضا قوي ، وأما الراء فصوت قوي كذلك ، فهو لثوي مجهور متوسط تكراري يمتاز بالوضوح لأنه من أشباه الصوائت ، يفخم ويرقق ، وهو هنا مفخم ، فهذه الأصوات الثلاثة كلها أصوات قوية ، لأن المتحدث عنه في الآيات من مخلوقات الله العظيمة سواء أكانت ملائكة أم نجوما ، أم كانت خيل القتال إذ إن نفعها عظيم جدا ، وتعمل هذه الأصوات على إحداث هزة في النفس بقوة وقعها في السمع ، وذلك لتحفيز المدارك للانتباه لما سيقال ، حتى لا تتلقى هذا الأمر ساهية لاهية . وقد جاء في التفاسير أن السابحات هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين في رفق ، وقيل هي النجوم تسبح في أفلاكها ، وعلى كل هذه التأويلات نلحظ السر في اختيار صوت الحاء فهو ضعيف جدا لأنه حلقي رخو مهموس مستفل مرقق ، وهذه الصفات تتناسب مع المعاني المختلفة ، فإذا كانت الملائكة ترفق بأرواح المؤمنين فالأمر واضح ، وإذا كانت النجوم تسبح في السماء ، فمناسبته أن النجوم لا ترى في سباحتها ، إلا رفيقة هادئة تسير في تؤدة واطمئنان ، لا تزعج أحدا في سيرها ، ولهذا فهذا الصوت متلائم مع الوصف الذي أريد له أن يعبر عنه ، وختام الآيات جاء بصوت الراء ، وهو صوت تكراري ، ودلالة التكرار أن هذه الأشياء المقسم بها ، تتكرر منها صفاتها ، على ما قدر الله ، باستمرار دون انقطاع ، حتى يأذن الله بانقطاعها .

---

[1] – بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن . التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، ط : 5 ، مصر ، (دت) ، ج :1 ، ص : 124 .

[2] – الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي . الفتوحات الإلهية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ج : 4 ، ص: 474 .

والمقاطع التي انتهت بها الفواصل كلها متوسطة مفتوحة (ص ح ح) ، ومن دلالة الفتح الاتساع والامتداد ، وهذا يدل على استمرار هذه الصفات من الملائكة أو النجوم ، أو يدل على اتساع مجال عمل كل منهما ، مما يدل على عظمة الخالق سبحانه .

2 ــ بعد ما مهد بالقسم ببعض المخلوقات العظيمة ، وجواب القسم تدل عليه الآيات الآتية ، وتقديره لتبعثن ولتحاسبن : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ ، وقد اختار القرآن صوتا واحدا هو صوت التاء المربوطة ، وهو ينقلب عند الوقف هاء ، والهاء صوت هوائي حنجري رخو مهموس مرقق خفي ، وهو يتناسب مع الحديث عن يوم القيامة الذي أخفاه الله عز وجل عن الخلق ، كما تتحدث الآيات عن أحد أركان الإيمان ، والإيمان محله القلب ، فناسب أن يختار له صوتا عميقا ، كما أن انتهاء الفواصل بالهاء وهو صوت خفيف ، يسهل في التلاوة فلا يثقل على اللسان ، وذلك يشعر بسرعة انقضاء الأمر، وكأن الساعة حانت ، فرجفت الراجفة وتبعتها الرادفة ، وهاهم الخلق بارزون على الأرض التي كانوا يسهرون عليها ، وكأن الأمر قضي وفرغ منه .

وقد جاءت المقاطع الأخيرة للفواصل من نوع (ص ح ص) وهو متوسط مغلق ، والحديث عن القيامة وأهوال البعث ، وهذا يناسبه مقطع مغلق ، ليشعر السامع بالحرج والشدة ، ويعلم أن كرب هذا اليوم وضيقه وحرجه يستحق منه العناء في الدنيا ، حتى يأمن من الفزع الأكبر.

3 ــ بعد هذا العرض السريع لمشاهد الساعة المتسارعة ، يعرض القرآن لمصرع أحد الطغاة المتمردين: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآَيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآَخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ ، ومناسبة إدراج هذه الحكاية أثناء الحديث عن الآخرة هي التذكير بنهاية الجبابرة ، فإذا كان كفار مكة يرون لأنفسهم قوة ، فليسوا أقوى من فرعون ، وقد أهلكه الله .

وهذه الآيات تنتهي فواصـــلها بألف المد ، وهو صائت طويل (ح ح) ، أما الـــصوت الذي تنتهي به الفواصل حقيقة فهو الصوت الذي نسمعه عند الوقف علـــى الفاصـــلة ، وهو الصامت قبل الصائت الطويل ، ونلاحظ أن هذه الأصوات تختلف فيمـــا بينهـــا ، فليست على نمط واحد ، ففاتحة الحديث كانت بصوت السين ، وهو صوت مهمـــوس مرقق ، وكـــأنه همس رفيق يسلّي رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويقول لـــه في رفق : إذا كان قومك كذبوا بالذي جئت به فلا تحزن ، فقبلك كـــذب المرســـلون ، وكـــان النصر حليفهم بعد ذلك . أما الآية الثانية فتتحدث عن وحي الله لنبيـــه موســـى عليه السلام ، والمكان الذي تمّ فيه الاصطفاء وهو الواد المقدس (طوى) ، وهـــو واد أسفل جبل طور سيناء من برية الشام[1] ، وتنتهي الفاصلة بالواو وهـــو صـــوت لـــين متوسط مجهور ممدود بصائت طويل ، وهو نفسه نصف صائت ، كما أن له مع الألف دويا ، ولهذا فقد اجتمـــع في هذا الصوت طول ودوي وامتداد متزايد ، وهذا يتناســـب مع شساعة الوادي ، وقد نودي فيه موسى وحيدا ، وصوت النداء في الوادي يكـــــون له صدى قوي ، مما يبعث الرهبة في قلب المنادى ، و يجعل لما سيلقى عليـــه وقعـــا عظيما ، وذلك يشعر بعظمة المنادي جل جلاله . وفي الآية الثالثـــة تنتهـــي الفاصـــلة بالغين وهو صوت حلقي عند القدماء وحنكي قصي عند المحدثين رخو مجهور شـــبه مفخم مستعل بين القوة والضعف ، وقد جيء به ليناسب طغيان فرعون ، الذي تجاوز الحد في العتو حتى ادعى الربوبية ، وهو صوت قصي بعيد ومستعل ، وهذا يناســـب بعد فرعون عن الحق ، وعلوه في الأرض : ﴿ إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَلَـا فِـي الْـأَرْضِ﴾ [القصص : 4]. أما فواصل الآيتين بعد ذلك فتنتهيـــان بالكاف والشين وهما صوتان مهموسان مرققان مستفلان منفتحان وهما لهذا ضعيفان ، وقد اختيرا ليتناسبا مع أسلوب الدعوة إلى الله ، لأن الدعوة إلى الله لا تكون بقـــوة وغلظـــة ، ولكـــن بلين ورفـــق ، كما قـــال في آية أخرى:﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طـــه : 44] ، ولكـــن فرعون أبى أن ينصـــاع للصوت الهادئ الرفيق فجاءت الأصوات بعـــد هـــذا قوية مجلجلة ، فالراء المفخم المجهور ، والصاد المطبق المستعلي ، والعين المجهـــور

[1] – ينظر: عبده ، الشيخ محمد . تفسير جزء عمَّ ، ص : 15 .

الشبيه بالصائت ، ثم الدال القوي الشديد المجهور المقلقل ، ثم اللام المفخم المجهـــور الشبيه بالصائت ، وكل هذا الأصوات تتكاتف لتعبر عن رفض فرعـــون لـــدعوة الله ، وغضب الله على فرعون ، فإن فرعـــون قـــابل دعوة الله بعنجهية وطغيـــان ، وعلا في الأرض ، وأراد أن يبني صرحا يعرج به إلى السماء ، فأرداه الله في قاع البحـــر وتلك نهاية الظالمين ، ثم تأتي الفاصلة الأخيرة من هذه الفقرة منتهية بصوت مهمـــوس رخو مرقق مستفل متفش ، إنه صوت الشين الذي بدا في آخر الفقرة رفيقـــا رقيقـــا ، يلامس شغاف القلوب المؤمنة التي تخاف الله ، يهزها برفق ، وينبهها بلطف ، لتأخـــذ العبرة ، وتنتفع بالقصة.

وقد انتهت الفواصل بمقاطع مفتوحة ، وهي هنا تحمل دلالة الاعتبار بمـــا حـــدث لفرعون ، فما حدث له قد يحدث لغيره في أي زمان أو مكان ، كما قال : ﴿ وَمَا هِـــيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : 83] .

4 ــ بعد الحديث عن نهاية فرعون ، الدالـــة على قدرة الله على الخلق ، وجّه الحديث إلى كفار مكة المنكرين للبعث ، فضرب لهم مثلا بمخلوقات عظيمة من خلقـــه ليـــدلهم على ضعفهم : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَـــالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ وهذه الآيات تدل من جـــهة على عظمة الله ، وتـــدل من جهة أخرى علـــى ضعف الإنسان ، فماذا يساوي الإنسان في قوتـــه أمـــام هـــذه المخلوقات العظيمة ، وحتى يعبر للإنسان عن ضعفه الشديد ، جيء بصوت ضـــعيف جدا ، وهو صوت الهاء الرخو المهموس المرقق المستفل الخفي ، وهو يتناســـب مـــع الحال المعبر عنها ، من إظهار ضعف الإنسان أمام هذه المخلوقات ، وهذا بدوره يدل على سهولة إعادة الناس أحياء بعد موتهم وفنائهم ، وفي آخر الفقرة نلتقي بصوت الميم الذي تنطبق الشفتان عند النطق به ، ولعل دلالة الانطباق أن هـــذه الآيـــات الكبـــرى سيطبق عليها الفناء في النهاية ، فكيف بالإنسان وهو أضعف منها بكثير .

والمقاطع هنا كسالفتها من نوع (ص ح ح) ، إلا المقطع الأخير ، ودلالة الامتـــداد هنا والانفتاح ، هي الإشارة إلى عظمة هذه المخلوقات ، وكلها تشير إلى عظمة خالقها وضعف الإنسان حيالها ، أما المقطع الأخير فهو مـــن نـــوع (ص ح ص) المتوســـط

المغلق ، ودلالة الغلق هنا هي اختصاص النعم والمتاع بالإنسان وأنعامه ، وأن هذه الأرض قد أعدت إعدادا محكما لكي يعيش عليها وينتفع بها.

وعند حفص سكتة عند قوله (السماء) ثم يستأنف بقوله (بناها) ، ودلالة السكت هي الفصل بين جملة الاستفهام وجملة التقرير ، ودلالة الاستفهام تعظيم خلق السماء أمام خلق الناس كما قال في آية أخرى :﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : 57] ، ودلالة التقرير تعظيم من بناها بهذا الحجم العظيم .

5 ـ بعد هذا تعود السورة إلى الموضوع الرئيس الذي تعالجه ، وهو موضوع البعث: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ وهذه الآيات تنتهي بصائت طويل ، وقبله أصوات تنتهي إلى أسماعنا نقف عليها ممدودة به ، ففي الفاصلة الأولى نجد صوت الدال وهو من الأصوات القوية كما مر بنا من قبل ، وقد جيء به للدلالة عل عظمة القيامة وتفخيم أمرها ، والراء هنا مفخم على قراءة من لا يميل ، وهو صوت مكرر ، وهذا التكرار يزيد في فخامته ليناسب الحدث الخطير الذي تتناوله الآية ، والفاصلة الثانية تنتهي بالعين ، وهو من أوضح الأصوات بعد الصوائت ، ومن دلالات الوضوح هنا ، أن أعمال الإنسان في الآخرة تظهر له جلية حاضرة ، لا يستطيع أن ينكر شيئا منها: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف : 49] ، أما الفاصلة الثالثة فنهايتها بالراء ، وفيه دلالة التفخيم للترهيب من النار ، أما الفاصلة الأخرى فتنتهي بالغين ، وهو صوت قصي يفيد المبالغة ، فمن طغى فقد جاوز الحدود في المعاصي ، وتنتهي الفاصلة التي بعدها بالياء وهو صوت ضعيف ، وفي العربية يستعمل للتصغير والتحقير ، وهو هنا يدل على حقارة الدنيا ، كما يدل على ضعف نظر وعقل من آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ، وتأتي بقية الفواصل منتهية بالواو ممدودا بصائت طويل ، وقد مر بنا من قبل في (طوى) أن هذا الصوت له مع مده دوي وامتداد وطول ، وعلى هذا فهو يتناسب مع طول بقاء أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وأما الدوي فيدل على ضخامة الأمر في (المأوى) في الموضعين ، كما يدل على خطورة الهوى فكأن متبعه يهوي إلى قرار سحيق .

6 ــ وفي الأخير تطرح السورة تساؤل الناس عن الساعة وجواب القرآن عن ذلك : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ، إنهم يسألون تعنتا كحال المعاندين ، أو استفسارا كحال المصدقين ، والقرآن يصرفهم جميعا إلى ضرورة الاستعداد لها ، وجميع هذه الفواصل تنتهي بالهاء وهو صوت خفي ، ومناسبته للموضوع أن الله أخفى علم الساعة ، فلم يطلع عليها أحدا ، بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[1].

وتأتي مقاطع هذا القسم والذي قبله كلها من نوع (ص ح ح) ، وهو مقطع متوسط مفتوح ، وقد يدل ذلك على طول هذا اليوم وامتداده ، أو على كثرة أهواله وكربه .

ونلحظ أن مقاطع السورة جميعا ــ إلا القليل ــ قد جاءت من النوع المتوسط المفتوح ، وهذا يشير إلى فتح باب الأمل في النجاة لمن تاب في الدنيا ورجع إلى الله ، حتى إذا رجفت الراجفة أغلق باب التوبة ، وابتدأ معه الحرج والضيق .

3 ــ سورة عبس :

هذه السورة مكية وآياتها ثنتان وأربعون ، قال المراغي : « ومناسبتها لما قبلها ، أنه ذكر هناك أنه منذر من يخشاها ، وذكر هنا من ينفعه الإنذار»[2]. وذكر المفسرون أنها نزلت في عبد الله بن أم مكتوم ، وكان رجلا أعمى ، وقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة منشغلا بدعوة بعض وجهاء القوم ، فجاء ابن أم مكتوم يطلب منه أن يقرئه القرآن ويعلمه مما علمه الله ، وكرر ذلك وأكثر من مقاطعة الرسول ، فكره الرسول ذلك ، وعبس وأعرض عنه[3] .

3 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

---

[1] – مسلم ، الإمام أبي الحسين النيسابوري . الجامع الصحيح ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، م : 1 ، ص : 30 .

[2] – المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 38 .

[3] – ينظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، دار الأندلس ، ط: 1 ، لبنان ، 1385هـ/1966م ، ج : 7 ، ص : 211 وما بعدها .

1 ــ مطلع السورة في عتاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ « وقد عاتب الله نبيه بأن ضعف ذلك الأعمى وفقره لا ينبغي أن يكون باعثـا على كراهة كلامـه والإعـراض عنه ، لأن ذلك يورث انكسار قلوب الفقراء ، وهو مطالب بتأليف قلـوبهم ... وكـان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكرم ابن أم مكتوم ويقبل عليه ويتفقده ، ويقـول إذا رآه : أهلا بمن عاتبني فيه ربي »[1] . يقول تعالى: ﴿ عَـبَسَ وَتَـوَلَّى * أَنْ جَـاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْـتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْـهُ تَلَهَّى ﴾ ، انتهت الفواصل بصوامت ممدودة بصائت طويـل ، وقـد تنوعـت هـذه الصوامت ، ولكنها في أغلبها من الأصوات المتوسطة ، كاللام والميم والراء والعـين والنون ، وهذه الأصـوات تتناسب مع العتـاب ، لأن العتـاب فيه لوم ، ولكنه لـوم من حبيب لحبيبه ، فلم يقتض الأمر قوة في الأصوات ، لأن في قوة الأصـوات قسوة لا تكون بين حبيب وحبيبه ، ومع ذلك لم تكن أصواتا ضعيفة ، لأن مقام العتاب فيـه تأديب وتربية فاقتضى بعض الشدة ، « وهذا أقصى عتاب وجّهه الله لرسـوله عليـه السلام . وبين له فيه كثيرا من الحقائق ، وفي هذا العتاب ــ مـع قـسوته ــ اشـتمل القرآن على كثير مما يخففه . ويبين حسن نية الرسول فيما بدر منه »[2] وقـد جـاءت الفاصلة في (تصدى) بالدال القوية المشددة ، للدلالة على مدى حرص النبي على دعوة هؤلاء النفر الصـادين عن الحق ، كما عبرت الهاء في (تلهـى) عـن فتـور تجـاه الضعيف ، ولا يتهم النبي الرحيم بإهمال هذا الرجل ، ولكنه كان حريصا على إسـلام من هم أكثر تأثيرا منه في قومهم ، وأما الفاصلة التي تنتهي بالشين وهو صوت رقيق ضعيف متفش ، ففيهـا دلالة على رقة قلب هذا الأعمى وليونته للحق ، كمـا تـدل على تفشي الإيمـان في قلبه ، كما يدل الكـاف في (يزكّى) وهو مهمـوس مرقـق ، على أن العبرة بالبواطن لا بالظواهر ، فهذا الضعيف قد صفت سريرته ، وزكى قلبه ، فليس كذلك الغليظ الجـلف الذي تعزز على الحق بجاهه أو ماله.

[1] – المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 39 ، 40 .

[2] – المطعني ، عبد العظيم محمد . خصائص التعبير القرآني ، ج : 1 ، ص : 274 .

أما مقاطع الفواصل فقد انتهت بنوع متوسط مفتوح(ص ح ح) ، أما التوسط فنجد له دلالة في توسط العتاب بين القسوة واللين ، وأما الانفتاح فتتوجه دلالته للأمة جميعا بهذا الأدب لأن المقصود تربية هذه الأمة بما خوطب به نبيها ، فهو القدوة والأسوة ، فهذا الدرس ينبغي أن يستفيد منه المسلمون فلا يهملوا ضعيفا لضعفه ولا يغتروا بقوي لقوته ، بل قد يكون الضعيف أكثر نفعا للإسلام من غيره .

2 ـ بعد هذا الدرس التربوي ينتقل الحديث إلى موضوع آخر، وهو أن هذا القرآن تذكرة فمن شاء آمن به ، أو ذكر الله به ، كهذا الأعمى الذي صلح قلبه وزكت نفسه : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ ، وتنتهي الفواصل بالهاء أو التاء المنقلبة هاء وهذا الصوت مهموس عميق خفي ، يتناسب مع الإيمان والعقائد ، لذلك اختير لهذا المقام الذي يتناول حديثا عن النفس و الغيب ، وكلاهما عميق وخفي ، ويتعلق حديث الغيب بالصحف المكرمة ، المرفوعة بأيدي الملائكة الكرام البررة ، ويتعلق حديث النفس بالإيمان بهذه الصحف وهذه الملائكة ، فمن آمن بذلك زكت نفسه ، وأذعن قلبه .

وقد انتهت الفواصل بمقاطع مغلقة ، ويدل الغلق على أن الزكاة مقصورة على من آمن بالغيب واهتدى بالقرآن ، أما غيرهم فلا يرجى زكاتهم وقد تناولتهم الفقرة الآتية .

3 ـ يقول الله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ ، والآيات تتحدث عن كفر الإنسان بربه ، قال الصاوي : « أي طرد عن رحمة الله وفيه إشارة إلى أن المراد بالإنسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أكفره تعجب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه»[1] ، وفي الآيات ذكر لكفر الإنسان ، والكفر هو الإخفاء ، قال السجستاني : « وقوله جلّ وعزّ : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ يعني الزراع ، وإنما قيل للزراع : كفار لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره : أي غطاه »[2]، ولما كان الكفر هو الإخفاء ناسب أن تنتهي الفواصل بالهاء ، وهو صوت

---

[1] – الصاوي ، أحمد المالكي . حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، ج : 4 ، ص : 499 .

[2] – السجستاني ، أبو بكر محمد بن عزيز .غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب) ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، (دط) ، الجزائر ، 1990م ، ص : 165 .

خفي ، والكافر يجتهد في إخفاء حقيقة الإيمان بالجحود والنكران ، وهذا الصوت أيضا عميق ، وهو منـــاسب لكون ما يخفيه الإنســـان كامنا في قلبـــه ، عميقا في نفـــسه ، فهو ينكر ما يعرف حقيقته بالفطرة ، كما يتناسب اختيار هذا الصوت مع بداية الإنسان جنينا مخفيا في بطن أمه ، ونهايته ميتا مقبورا مدفونا تحت الأرض مغطى بالتراب .

أما المقاطع التي تنتهي بها الفواصل فهي مقــاطع متوســطة مغلقــة(ص ح ح) ، ودلالة الإغلاق في الحديث عن الكافر ، هي أن هذا الأخير قد أغلق عن نفــسه بــاب التفكر في حقيقته وخلقه ، فلو فتح هذا الباب ، وتفكر في نفسه كيف خلق من نطفــة ، وخرج إلى الدنيا ، وكيف تكون نهايته بعد ذلك ، لهداه تفكّره إلى الحقيقة ، ولكنه أغلق عن نفسه باب التفكر ، فانغلقت عليه الحقيقة ، وطمست بصيرته .

4 ــ بعد الحديث عن خلق الإنسان ونهايته ، يأخذنا القرآن إلى موضوع آخر غير بعيد عن الأول ، يتناول فيه بعض مظاهر القدرة الإلهية العظيمة ، فالله الذي خلق الإنسان ، أودع له في الأرض أسبــاب المعيشة ، حتـــى يتيسر له البقــاء والاستمرار ، فقال : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَـــا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُـــمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، ابتدأ الكلام بدعوة الإنسان إلى النظر في ما خلق الله لـــه مـــن رزق ، والنظر المطلوب هو نظر العقل والبصيرة ، الذي يهتدي به صاحبه إلى الحقيقـــــة ، ولذلك ناســـب أن يختار لهذه الفاصـــلة صوت الهــاء ، وهو صوت خفي ، يتناســـب مع البواطن الخفية للإنسان ، كما أنه صـــوت مهموس وفيه رفق ولين ، وهذا محبـــب إلى النفس الإنسانية ، فهي تركن إلى الخطاب الهادئ ، مما يجعلها لا تنفر مـــن هـــذه الدعوة إلى التفكر والتدبر ، ثم تأتي الفواصل بعد ذلك منتهية بأصوات قوية ، فالبــاء الشديد المجهور المقلقل ، والقاف الشـــديد المقلقل الشبه مفخم ، فاللام المفخم المجهور المتوسط ، وهذه الأصوات جــاءت للتعبير عن عملية عظيمـــة هي عمليـــة الخلـــق ، وهي تجري دائما أمـــام أعيننا ولا نشعر بعظمتها ، وفيها تتمثـــل دورة مـــن دورات الحياة ، ينصب الماء من السماء بقدرة الله ، فتتشقق الأرض عن نبات أخضر ، يتنوع إلى أنواع كثيرة ، وإنه لتنوع عجيب يدل على عظمة البارئ جل وعلا ، إنها عمليـــة عظيمة ، تتجلى فيها قوة الخالق المدبر الحكيم ، ولهذا اختار لها أصواتا قوية تتناســـب

مع ما في عملية الخلق من قوة ، ثم تأتي الفاصلة الأخيرة في هذه الفقرة منتهية بالميم ، وهو صوت شفوي تنطبق الشفتان عند النطق به ، ودلالة الانطباق هنا هي الإشـــارة إلى إطباق الفناء على هذه المخلوقات ، فهي مجرد متاع ، والدنيا كلها متاع ، فمهمـــا ملك منها الإنسان ، فلا يغترن بها فمآلها الفناء ، ولهذا أعقب بالحديث عن فناء الدنيا .

وقد ابتدأت الفقرة بمقطع متوسط مغلق ، وقد يكون فيه دلالـــة علـــى اختـــصاص الإنسان بالنظر دون غيره لأنه منح العقل أداة التفكر والتدبر ، وخص بها دون غيره ، ثم تأتي المقاطع متوسطة مفتوحة (ص ح ح) ، وقد يدل الانفتاح على اتـــساع عـــالم النبات ، أو يدل على استمرار عملية الخلق في هذه الدنيا ، حتى إذا أذن الله بنهايتهـــا أطبق عليها الفناء ، ولهذا جاء المقطع الأخير مغلقا مؤذنا بنهاية هذا المتاع .

5 ــ يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيـــهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَـــاحِكَةٌ مُسْتَبْشِـــرَةٌ * وَوُجُـــوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَـــا قَتَـــرَةٌ * أُولَئِـــكَ هُـــمُ الْكَفَـــرَةُ الْفَجَـــــرَةُ ﴾ ، اختار القرآن لهذه النهاية صوت الهاء ، وقد سبقت الإشارة إلى ارتباط هذا الصوت بالعقائد لكونه صوتا عميقا ، وارتباطه بالمغيبات لكونـــه صـــوتا خفيـــا ، وكون الهاء عميقا أيضا فإنه يدل على تعلق الإنسان بنفسه ونسيانه غيره ولـــو كـــانوا أقرب الناس إليه في الدنيا ، كما أن توالي الهاءات ، وهي خفيفة في النطـــق ، يمـــنح التلاوة خفة وسرعة ، وهي تدل على سرعة انقضاء الأمر ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَـــا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل : 77] .

وقد جاءت المقاطع بين طويل مغلق (ص ح ح ص) ومتوسط مغلق أيضا (ص ح ص) وقد مضى الكلام عن دلالة الطول والإغلاق عند الحديث عن القيامة وأهوالها .

4 ــ سورة التكوير :

هذه السورة مكية ، وآياتها تسع وعشرون آية ، روى ابن كثيـــر أن رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامـــة كأنـــه رأي عـــين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و(إذا السماء انفطرت) و(إذا السماء انشقت)»[1] . وتعـــــالج

[1] – ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 7 ، ص : 220 .

هذه السورة حقيقتين من الحقائق الضخمة :

1 ــ حقيقة القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل ، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار ، والأرض والسماء ، والأنعام والوحوش ، كما يشمل بني الإنسان .

2 ــ حقيقة الوحي وما يتعلق بها ، من صفة الملك الذي يحمله ، والنبي الذي يتلقاه ، ثم شأن المخاطبين بهذا الوحي معه ، ومع المشيئة الكبرى التي فطرتهم وأنزلته لهم[1] .

4 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ ، تبتدئ السورة بمشاهد القيامة تتراءى مسرعة ، مؤذنة بأفول هذه الدنيا ، فتبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وتتغير المعالم المعهودة في كليهما ، وتنتهي الفواصل جميعا بصوت واحد هو صوت التاء ، وهو صوت مهموس مرقق ضعيف ، ومع همسه وضعفه فقد جيء به ساكنا ، وهذا السكون يشير إلى السكون الذي يخيم على الكون ، بعد انقضاء أجل الدنيا وفنائها ، سكون مطبق ، فلا حياة على وجه الأرض وقد كانت زاخرة بأهلها ، كما يشير الهمس مع السكون إلى حالة الوجوم والخوف التي تغشى الناس عند الحشر ، فتخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ، أما الضعف في التاء فيحمل دلالة الضعف في تلك المخلوقات جميعا ، والتي تبدو في الدنيا قوية ، ولكنها أضعف ما تكون إذا حان الأجل المقدر ، وأذن بفنائها ، فتتبدل حالها القوية إلى ضعف كبير ، وتستوي مقاطع الآيات مما يسرع في وتيرة الإيقاع ، وهذا يدل أيضا على سرعة انقضاء الدنيا .

أما المقاطع التي تنتهي بها الفواصل فكلها من نوع (ص ح ص) وهو مقطع متوسط مغلق ، وقد سبقت الإشارة إلى دلالة المقطع المغلق عند الحديث عن القيامة .

2 ــ بعد الحديث عن الحقيقة الأولى ، وهي القيامة التي يصير إليها الناس ، يأتي

---

[1] – ينظر : قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ج : 30 ، ص : 59 .

الحديث عن الحقيقة الثانية ، حقيقة الوحي والرسالة ، ويبدأها الله بالقسم : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يقسم الله على حقيقة الوحي والرسالة بمظاهر كونية ، تتراءى للناس ، إنها النجوم التي تختفي بالنهار لتظهر بالليل من جديد ، و الليل إذا أقبل بظلامه وتمدد في الآفاق ، والصبح إذا انفلت من مخبأ الليل المظلم ، وقد اختار القرآن للتعبير عن هذه المظاهر ، فواصل تنتهي بالسين وهو صوت رخو مهموس مرقق ، وأما مناسبته للموضوع ، فإن الليل وقت السكون والهجعة والهدوء ، كما أن الحياة تسكن فيه ، وتختفي الأصوات والضجيج ، وتتحول الحياة إلى همس خفي ، وذلك يتناسب مع صوت مهموس رقيق ، كما أن خفاء النجوم بالنهار ، وظهورها هادئة بالليل ، يناسبه أيضا صوت مرقق مهموس ، وانفلات الصبح من عتمة الليل ، في هدوء ورفق ، يتلاءم مع صوت مهموس ، فكأن الليل يخنق الدنيا بظلامه ، فلا يسرّى عنها إلا بتنفس الصبح ، فتسري الحياة مع سريان النفس في السين ، فتجد الدنيا استراحة مع الصبح وانبعاثا جديدا ، فقد كانت في كبت الليل كأنها ميتة . ثم يأتي الحديث عن الرسالة ، بالحديث عن الرسول الملك والرسول البشر ، فتأتي الآيات لتثبت حقيقة الوحي المنقول بواسطة جبريل إلى محمد رسول الله ، ثم تنفي صفات تخرّصها المكذبون ، نعتوا بها صاحب الرسالة ، فما هو بمجنون ، ولا كاذب ، ولا ببخيل بما يوحى إليه فيخفيه ، وقرئ (بظنين) بالظاء المشالة ، أي وما هو بمتهم أي لا يزيد ولا ينقص ولا يحرف[1] ، ولا قوله هذا من وحي الشيطان الرجيم ، ثم تثبت الآيات عالمية الرسالة فهي ذكر للعالمين ، ولن تستطيع قريش بكيدها أن تحاصر الإسلام ، ولكن سيسعد منها من استقام على نهج الدين . أما الفواصل فتنتهي بالميم والنون ، وهما صوت مجهوران أغنان ، ولهما دوي تشترك في صنعه حجرات الرنين

---

[1] – ينظر : قمحاوي ، محمد الصادق . طلائع البشر في توجيه القراءات العشر ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1424هـ/2003م ، ص : 189 .

عند الحنجرة والتجويف الأنفي وفراغ الفم في النون وإطباق الشفتين على الميم ، كما أن كلا الصوتين له وضوح في السمع يقترب من وضوح الصوائت ، كما أنهما مدعومان بصائت طويل ، ولهذه الصفات دلالات عدة ، فهذه الآيات تتزلت في وقت كان الإسلام فيه ضعيفا محاصرا ، والمشركون يعملون على خنق صوت الدعوة وصوت الداعي ، فتأتي هذه الآيات معلنة أن الغلبة والنصر لهذا الدين ، ولهذا فدلالة الجهر والوضوح والدوى في هذه الأصوات ، تتناسب مع هذا الإعلان المدوي ، الذي يرفعه الإسلام في وجه الخصوم ، معلنا أن هذا الدين سيبلغ آفاقا ، ما كان يدور في خلد أحد منهم أنه سيبلغها ، والقرآن منذ الوهلة الأولى ، يعلن هذا التوجه العالمي في وضوح ، ومن غير مواربة ، وهذا ما تدل عليه الأصوات بوضوحها واتصالها بالصوائت .

وتنتهي الفواصل بمقاطع من نوع (ص ح ح ص) ، وهو مقطع طويل مغلق ، وهذا يدل ؛ إما على طول الصراع بين الإسلام والكفر ، فلا ينتهي عند حدود الرمي بالأكاذيب والأراجيف ، بل سيكون بعد ذلك صراع عنيف قاس ، ثم يغلق هذا الصراع ويختم بانتصار الحق على الباطل ، وقد يدل على امتداد الإسلام في الآفاق البعيدة ، وقد ظن المشركون أنهم محاصروه في مكة وقاضون عليه ، أو على امتداد الإسلام عبر الزمان ، وانتشاره في الأجيال المتعاقبة ، فلا يتوقف امتداده إلا بنهاية هذه الدنيا .

5 ــ سورة الانفطار :

مكية ، وآيتها تسع عشرة ، وهي «تعالج ــ كسابقتها سورة التكوير ــ الانقلاب الكوني الذي يصاحب قيام الساعة ، وما يحدث في ذلك اليوم الخطير من أحداث جسام ، ثم بيان حال الأبرار ، وحال الفجار ، يوم البعث والنشور»[1] .

5 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ ابتدأت السورة بالحديث عن الانقلاب الكوني الحادث عند قيام الساعة ، فقال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ ، وقد سبق الحديث عن الفواصل

[1] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 527 .

المنتهية بالتاء والمتعلقة بالقيامة في السورة السابقة ، وكذلك عن المقاطع المنتهية بها ، وهذه كسابقتها موضوعا ودلالات .

2 ــ بعد الحديث عن الحوادث التي تصاحب قيام الساعة ، وقـد اختتمهـا بوقـوف الإنسان على أعماله ، حيث يجد ما قدم من خير محضرا، ويندم علـى تفريطـه فـي الصالحات ، يوجه الخطاب إلى الإنسان : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَـرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ، وتتحدث الآيـة الأولـى عن غرور الإنسان واسترساله في المعاصي ، وسعة حلم الله الكريم الذي لـم يعاجلـه بالعقوبة ، وقد أتى بالميم ، وهو صوت أغن محبب إلى الأذن ، كما أنه مرقق مستفل ، ليكون فيه إثارة لشفقة الإنسان على نفسه ، وإحساسه بمصيره ، فلا ينخـدع بوعـود الوسواس ، الذي يغريه بالمعاصي اتكالا على عفو الله الكريم ، قال مقاتل : غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره[1] ، وفي الآيتين الأخريين ختم الفواصـل بالكـاف ، وهو صوت شديد مهموس ، وتدل الشدة على إحكـام خلق الإنسان ، فهـو صـنع الله الذي أتقن كل شيء ، وأما الهمس ، فهو يشبه صوت الناصح ، الذي يهمس فـي أذن هذا المغرور الذي غرته نفسه ، أو الشيطـان ، أو القوة أو المال ، أو جمال الخلقة : أن تنبه من غفلتك ولا يغرنك إمهال الله لك ، فإنه إذا أخذك لم يفلتك .

وتنتهي الفواصل بمقاطع مغلقة ، فالأول من نوع (ص ح ح ص) ، وهـو مقطـع طويل مغلق ، وهو يدل على سعة حلم الله عز وجل وعظمته ، فهو يـشمـل الخلـق على كثرتهم وكثرة ما يأتون من المعاصي بجهلهم وغرورهم ، ولو لم يكـن حلـم الله واسعا لأهلكهم كما قال : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِـنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [فاطر : 45] ، أما الإغلاق في المقطـع فقـد يدل على أن سعة الحلم والكرم من خصوصيات الربوبية ، إذ لو لكـان الأمر للإنسان لأودى ، فلم يبق لعفو موضعا . وأما الثاني والثالث فهما من نوع (ص ح ص) ، وقد تكون دلالة الإغلاق هنا ، أن الإنسان قد خص دون غيره من المخلوقات بأحسن تقويم في خلقه ، ومن عليه بالعقل الذي كرم به ، ومع ذلك يغتر ويكفر ويكذب بالبعث .

---

[1] – ينظر : البغوي ، الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي ، ج : 4 ، ص : 455 .

3 ــ بعد الآيات التي بين فيها خلقــه للإنسان في أحسن صورة ، وحذره من الاغترار وعدم التأهب لليوم الآتي ، تحدث الله عز وجل عن اليوم الآخر فقــال : ﴿ كَلَّـا بَـلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُـونَ مَـا تَفْعَلُـونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيـمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَـا هُـمْ عَنْهَـا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِـكُ نَفْـسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ ، جاءت الفواصل بالواو والنون ، و بالياء والميم ، وقد سبقت الإشارة في أول سورة النبأ إلى دلالة هذه الأصوات على التعظـيم والفخامـة ، المنـاسبة لمهـابة يوم القيامة ، ليحس السـامع دلالة الترهيب والتخويـف ، فيـشمر على ساعد الجد ، ولا يركن إلى غرور زائف . وقد اختير صوت الهاء العميق الخفي ليكون ختام الفواصل وختام السورة أيضا ، وهو الصوت المتناسب مع العقائـد لأنـه ينبعث من عمق الإنسان ، وفي عمق الإنسان ، أي إنسان ، هنالـك إيمـان فطـري ، مغروز في النفس الإنسانية ، تمنعه من الظهور حجب الجهل والعـصبية ، حتـى إذا تحرر الإنسان من هذه القيود لم يجد ملاذا يعتصم به إلا الإيمـان ، وهـذا الـصوت يلامس كـوامن الفطرة السليمة ، يحـاول أن يتخطـى الحجب الكثيفة ، ليصل إليهـا في مكمنها .

وقد جاءت المقاطـع النهـائية كلها من نوع (ص ح ح ص) ، وقد تقدم الحـديث عن دلالة هذا المقطع ، وعلاقة ذلك بيوم الحساب .

6 ــ سورة المطفّفين :

مكية ، وآياتها ست وثلاثون . وهي تصور قطاعاً من الواقع العملي الـذي كانـت الدعوة تواجهه في مكة إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب ، وهز المشاعر ، وتوجيهها إلى هذا الحدث في حياة العرب وفي حياة الإنسانية ، وهو الرسالة السماوية للأرض ، وما تتضمنه من تصور جديد شامل محيط[1] .

ابتدأت السورة بإعلان الحرب على المطفّفين في الكيل والوزن ، الذين لا يخـافون الآخرة ولا يحسبون حسـابـا للوقفة الرهيبة بين يدي أحكم الحاكميـن ، ثم تحـدثت

---

[1] – ينظر : قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ج : 30 ص : 83 .

عن الأشقياء الفجار ، وصورت جزاءهم يوم القيامة ، ثم عرضت لـصفحة المتقـين الأبرار ، ومالهم من النعيـم الخـالد الدائم ، وختمت السورة بمواقف أهـل الـضلال من عباد الله الأخيار ، حيث كانوا يهزءون بهم في الدنيا ويـسخرون مـنهم لإيمـانهم وصلاحهم[1] .

6 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

فواصل السورة تنتهي بالميم والنون ، وغالبا ما يتعاقبان في الفواصل ، و يشتركان في أغلب الخصـائص ؛ فهما أنفيان (أغنان) مجهوران متوسطان مرققان ، ويمتازان بالوضوح السمعي ، لأنهمـا من أشبـاه الصوائت ، وقد سبقهمـا صائتان طـويلان هما الواو والياء ، وقد سبقت الإشارة إلى أنهما يحدثان دويـا عنـد النطـق ، وذلـك لاشتراك حجرات الرنين على مستوى الحنجرة وفراغ الفم والتجويف الأنفي .

1 ـ ففي الفقرة الأولى « افتتاح السورة باسم الويل مؤذن بأنها تشتمل على وعيد فلفظ (ويل) من براعة الاستهلال »[2] ، قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَـالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَـا يَظُـنُّ أُولَئِـكَ أَنَّهُـمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَـالَمِينَ ﴾ ، وهـي تعـالج ظـاهرة اجتماعية واقتصادية بارزة ، لها أثر خطير على الفرد والمجتمع ، ولهذا اختيـر لهـا صوتان واضحان بارزان ، ولما كانت عواقبها وخيمة اختير لها صوتان لهمـا دوي ، وفي هذا إيذان بضخـامة هذا الجرم حتى استحق أصحابه الويل وهو العذاب الألـيم ، أو واد في جهنم ، شديد حرّه ، أليم عذابه ، ودلالة الجهر في الصوتين تتناسـب مـع جهر الإسلام بالحرب على كل مظاهر الانحراف والفـساد والاسـتغلال والابتـزاز ، فالإسلام يريد إنشاء مجتمع صالح يقوم على العدل والمساواة فلا مكـان فيـه للظلـم والجور. وقد حذر في هذه الفقرة من العاقبة الوخيمة في الآخرة ؛ يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وبهذا مهد للحديث عن اليوم الآخر .

---

[1] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 530 ، 531 .

[2] – ابن عاشور ، الشيخ الطاهر . تفسير التحرير والتنوير , الدار التونسية للكتاب ، تـونس والمؤسـسة الوطنيـة للكتاب ، الجزائر , تونس , 1984م ، ج : 30 ، ص : 189 .

2 ــ وفي الفقرة الثانية ، تناول بالحديث طائفة الفجـار المكذبين بيوم الدين ، فقـال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ وقد جاءت الأصوات بدويها ومدودها ، تبين ضخامة العذاب الذي ينتظر هذه الطائفة ، كما تدل على فداحة الخسارة للذين كذبوا بيوم الدين ، كما تدل على مدى الحسرات التي تنتابهم ، حين يقال لهم : هذا جزاء تكذيبكم واستهزائكم ، وفي الآيات إشارة إلى خطورة المعاصي التي ترين على القلوب ، فتغطيها حتى تصير فوقها كالغلاف .

3 ــ وفي الفقرة الثالثة بيان لحال المؤمنين : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ والأصوات تعمل على تضخيم النعيم الذي يناله المتقون ، كما عملت على تضخيم العذاب الذي يصيب الظالمين .

4 ــ وفي الفقرة الأخيرة تشنيع على المشركين لاستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا ، وكيف ينقلب الحال في الآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وقد جاءت الأصوات تحمل دلالات التشنيع والتأنيب ، للذين يتطاولون على المؤمنين بألسنتهم ، ويؤذونهم بالتهامس والتغامز ، ويسخرون منهم ، وينعتونهم بأبشع النعوت ، أما في الآخرة فتنقلب الموازين ، ويصبح المؤمنون يسخرون من الكافرين ، وهم على أرائكهم ينظرون إلى النهاية الأليمة التي ختم بها للمكذبين ، وتأتي الأصوات معبرة عن مدى الكرامة التي حظي بها المتقون ، إنها أصوات مجلجلة مدوية بارزة واضحة تعلن الفوز العظيم للذين صبروا وثبتوا على الإيمان في الدنيا والتزموا بما شرع الله لهم .

أما مقاطع الفواصل في السورة كلها فقد جاءت من نوع (ص ح ح ص) الطويل المغلق ، وقد تقدمت الإشارة إلى دلالة هذا المقطع على يوم القيامة وكربه وأهواله .

7 ـ سورة الانشقاق :

هذه السورة مكية ، وآياتها خمس وعشرون ، نزلت بعد سورة الانفطار. « وقد تناولت الحديث عن أهوال القيامة ، كشأن سائر السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية»[1] .

7 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـ « تبدأ السورة ببعض مشاهد الانقلاب الكونية التي عرضت بتوسع في سورة التكوير ، ثم في سورة الانفطار ، ومن قبل في سورة النبأ ، ولكنها هنا ذات طابع خاص ، طابع الاستسلام لله . استسلام السماء واستسلام الأرض ، في طواعية وخشوع ويسر»[2] ، قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ ، وتنتهي الفواصل جميعا بصوت واحد هو التاء ، وهو مهموس مرقق ضعيف ، وقد جيء به ساكنا ، وهو هنا يحمل دلالة الإذعان والخضوع لجبار السموات والأرض ، فالسماء والأرض على ما هما عليه من إحكام الصنعة ، وعلى ما يتراءى للإنسان فيهما من القوة ، فإنهما في الحقيقة مخلوقان ضعيفان لا يملكان إزاء الأمر الإلهي سوى الخضوع والاستسلام .

وقد جاءت المقاطع كلها من نوع (ص ح ص) المتوسط المغلق ، والإغلاق هنا يشير إلى أن الخلائق مهما كانت قوية فلا تستطيع الإفلات من أمر الله ، فهي مقيدة بقضائه وقدره ، فحين يأذن بانتهائها ، فإنها تستسلم للإرادة العليا وتسمع نداء ربها طائعة لا تمانع ولا تجادل ، وأما الإنسان فإنه على ضعفه أكثر شيء جدلا .

2 ـ كان ذلك المطلع الخاشع الجليل تمهيدا لخطاب « الإنسان » ، وإلقاء الخشوع في قلبه لربه ، وتذكيره بأمره ؛ وبمصيره الذي هو صائر إليه عنده . وحين ينطبع في حسه ظل الطاعة والخشوع والاستسلام الذي تلقيه في حسه السماء والأرض

---

[1] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 536 .

[2] – قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ج : 30 ، ص : 98 ، 99 .

في المشهد الهائل الجليل[1] ، تتوجه السورة بندائها للإنسان : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ . لقد اختير لما يتعلق بالإنسان ومصيره ، صوتا رقيقا مهموسا خفيا ، هو الهاء ، فكأنه مناجاة خفية في أذن الإنسان ، تحذره في لطف : أن انج بنفسك قبل فوات الأوان ، ويأتي هذا الصوت خفيا عميقا ، يتسلل إلى بواطن الإنسان ، لعله ينصت إلى الصوت المشفق ، فيحذر مغبة غفلته عن مصيره المنتظر يوم تتطاير الصحف ، فناس يؤتونها بأيمانهم ، وهم السعداء ، وآخرون يؤتونها وراء ظهورهم ، وهم الأشقياء . أما بقية الفواصل فتنتهي بصوت الراء ، المكرر ، ومن دلالات التكرار الاستمرار ، فالسعداء في سعادة أبدية ، والأشقياء في تعاسة أبدية ، ولهذا حين يتلقى كل إنسان كتابه ، تظهر علامات السرور على الصالحين ، ويصرخ الآخرون بالهلاك والثبور ، تلك هي نهاية الحياة ، فما خلق الإنسان عبثا ، إن ربه كان به بصيرا.

أما المقاطع فتتنوع ؛ فحين الحديث عن الإنسان وتحذيره تأتي مقاطع مغلقة ، فكأنها تخص الإنسان بالنصح ، وكأنها تخلو به وتهمس في روعه حتى لا يتمادى في الغفلة ، أما المقاطع الأخرى فتأتي مفتوحة ، ممدودة بصائت طويل (ص ح ح) ، ودلالة الانفتاح ، قد تنصرف إلى طول وامتداد المصير الذي ينتظر الإنسان ، في الجنة أو في النار ، وقد تنصرف إلى الدنيا ، فيكون باب الأمل مفتوحا أمام الإنسان ، لعله يتوب إلى ربه قبل فوات الأوان ، ولكن مقطعا من بين تلك المقاطع يأتي وحده مغلقا ، حرجا ضيقا ، يذكر الإنسان بسوء ظنه في قدرة الله تعالى على إعادته : إنه ظن أن لن يحور ، وهذا الظن السيئ أوقعه في الضيق والحرج والإغلاق .

3 ــ بعد ذلك يأتي «عرض لمشاهد كونية حاضرة ، مما يقع تحت حس « الإنسان » لها إيحاؤها ولها دلالتها على التدبير والتقدير ، مع التلويح بالقسم بها على أن الناس

[1] – قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ج : 30 ، ص : 99 .

متقلبون في أحوال مقدرة مدبرة ، لا مفر لهم من ركوبهم ومعاناتها »[1] ، يقول تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ *وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ، الشفق : هو الحمرة التي تشاهد في الأفق الغربي بعد الغروب ، وأصله رقة الشيء ، يقال ثوب شفق: أي لا يتماسك لرقته ، ومنه أشفق عليه: أي رق له قلبه[2] ، و(وسق): جمع ، و(اتسق) : استوى ، و(طبقا عن طبق) : حال عن حال[3] . وجاءت الفواصل في الآيات منتهية بالقاف وهو صوت شديد مقلقل ، وقد جيء به في معرض القسم بمظاهر كونية على تقلب الإنسان في أحوال شتى ، وانتقاله من حال إلى حال ، وهذه المظاهر نفسها متقلبة ، فالشفق وهو الخط الذي يلتقي فيه النهار مودعا بالليل مقبلا ، وهي حالة تقلب دائب في الكون ؛ ليل يعقبه نهار ، ونهار يخلفه ليل ، وبذلك تستمر الحياة ، والليل حين يجمع الكائنات في مخابئها لا يلبث النهار حتى يفرقها ، والبدر إذا اتسق وامتلأ نورا عند تمامه لا يلبث أن يبدأ في النقصان بعد ذلك ، وهذا التقلب في هذه المظاهر المقسم به على تقلب الإنسان من حال إلى حال ، نجد دلالته في كون القاف صوتا مقلقلا ، وتعني القلقلة : الحركة وعدم الاستقرار ، و هي عند علماء التجويد : اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية[4] ، واضطراب القاف وتقلقله فيه دلالة التقلب في هذه الكائنات ومنها الإنسان ، وهذا يعني عدم الثبات على حال ، حتى يصير إلى الحال الأخير في الآخرة .

ومقاطع الفواصل كلها من نوع (ص ح ص) المتوسط المغلق ، ويدل التوسط على كون هذه المظاهر من الدنيا ، وهي دار انتقال وليست دار بقاء ، فلا تدوم ولا تستقر على حال ، ويدل الإغلاق على كون هذه الدنيا وما فيها سيكون نهايتها الإفناء .

4 ـ وتختتم السورة بالتعجب من الذين لا يؤمنون ؛ كيف لا يؤمنون مع ظهور الآيات البينات ، والدلائل الواضحات ؟ وكيف لا يذعنون لله وقد خضعت لجلاله الأرض والسموات ، وانقادت لسلطانه طائعات ؟ : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ

---

[1] – قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ج : 30 ، ص : 99 .

[2] – ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 93 .

[3] – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن . إيجاز البيان عن معاني القرآن ، تح : حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، لبنان ، 1995م ، م : 2 ، ص : 871 .

[4] – ينظر : نصر ، عطية قابل . غاية المريد في علم التجويد ، ص : 135 .

عَلَيْهِمُ الْقُرْآَنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ، والمقام مقام تهويل ، لذلك جيء بأصوات مدوية ، تحمل دلالات الترهيب والتخويف من عاقبة الجحود والكفران ، بعد الحجة والبرهان ، وهذه الأصوات هي الميم والنون مع ما سبقها من صوائت ، حيث تعمل حجرات الرنين على إعطاء الصوت دويا فخما ، يتناسب مع النكير المعلن على الذين لا يؤمنون ، ولا يخضعون لله العظيم ، ويتناسب مع فداحة جرم المكذبين ، كيف يكذبون الله ، وهو مطلع على خبايا نفوسهم ؟ كما يتناسب مع ضخامة العذاب الذي ينتظر المكذبين ، وفخامة النعيم الذي أعد للمؤمنين .

أما المقاطع فكلها من نوع (ص ح ح ص) وهو يعبر عن الضيق الشديد والحرج الكبير لأنه طويل مغلق ، وهذا يزيد في قوة النكير وشدته على المكذبين ، ويدل على شدة العذاب وطول مدته للكافرين ، كما يختم للمؤمنين بالأجر التام غير المنقوص .

8 ـ سورة البروج :

هذه السورة مكية ، وآياتها ثنتان وعشرون ، نزلت بعد سورة الشمس . ومناسبتاها لما قبلها تتمثل في: اشتمالهما على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين ، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته. وأنه ذكر في السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء في حمارّة القيظ . وذكر هنا أن هذه شنشنة من تقدمهم من الأمم ، فقد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود[1] .

وقد نزلت هذه السورة تسلية للرسول ــ صلى الله عله وسلم ــ وأصحابه ، فقد كانوا يلاقون من المشركين شدة ، فأخبرهم الله عز وجل بأن « من قبلهم من المؤمنين الموحدين ابتلوا ببطش أعدائهم بهم ، واشتدادهم في إيذائهم ، حتى خدوا لهم الأخاديد ، وملئوها بالنيران وقذفوهم فيها ولم تأخذهم بهم رأفة ، بل كانوا يتشفون برؤية ما يحل بهم ، وهم مع ذلك قد صبروا وانتقم الله من أعدائهم وممن أوقع بهم »[2] . وقال ابن كثير : « هذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز

---

[1] – ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 97 .

[2] – المرجع نفسه ، ص : 99 .

وجل ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا فحفروا لهم أخدودا وأججـوا فيه نارا ... ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها»[1] .

8 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

تهدف هذه السورة إلى تثبيت الذين آمنوا ، لذا قص الله علـيهم قـصة أصـحاب الأخدود ليبين لهم ما كان يلاقيه المؤمنون من قبل ، من التنكيل والتعذيب ، فهذه سـنة من سنن الدعوات ، وهذا هو الموضوع العام للسورة .

1 ـ تبتدئ السورة بالقسم ، فيقسم الله بأمور عظيمة : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ، يقسم الله تبارك وتعالى بالسماء وما فيها مـن كواكب عظيمة ، أو بمنازل هذه الكواكب ، وباليوم الموعـود وهـو يـوم القيامـة ، وبالشاهد والمشهود ، وهما يوم الجمعة ويوم عرفة ، وقيل غير ذلك ، والمهم أن هـذه أشياء عظيمة أقسم الله بها ، ولذلك اختير للفواصل أن تنتهي بأصوات قوية تتناسب مع المعنى ، فالجيم والدال ، كلاهما صوت قوي مجهور مقلقل . وهـذا القـسم بـالأمور العظيمة قد اختير له هذه الأصوات القوية ليكون ذلك توطئة لما سيلقى من خبـر بعـد ذلك ، فهي بداية مجلجلة ، تستنفر المدارك الإنسانية ، لتستقبل ما يلقى إليهـا بقلـوب حاضرة ، كما أن وقع هذه الأصوات يشي بأن ما سيذكر بعد ذلك أمـر عظـيم ، وأن الابتلاء الذي تعرض له المؤمنون من قبل ، تتفطر القلوب لشدته وقسوته.

2 ـ بعد هذا القسم يسرد القرآن قصة أصحاب الأخدود ، ولهولها المروع يبدأها بداية شديدة : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ، يبدأها بدعـاء صـاخب ، أو إخبار غاضب بأن أولئك الظالمين الذين فتنوا المؤمنين ملعونون ، وفي هذا ترويـع لأولئك الطغاة من قريش الذين كانوا يعذبون المستضعفين من أصـحاب النبـي عليـه الصلاة والسلام وينكلون بهم ، ثم تسرد الآيات قصة الممتحنين الذين لم يكن لهم ذنـب سوى أنهم آمنوا بالله ملك السموات والأرض العزيز الحميد وهو على كل شيء شهيد ،

[1] – ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 7 ، ص : 254 .

وتحمل الآيـــات معـــاني كبيرة ، سواء من جهة الإخبـــار عن اضطهـــاد المؤمنين ، أو من جهة تعظيم الله الملك العزيز الحكيم ، ولأنها تتحدث عن أمور عظيمة ناسب أن تكون الأصوات التي تنتهي بها الفواصل أصواتا قوية ، فقد جاءت كلها بالدال الـــشديد المجهور المقلقل والقوي ، ومن دلالة القلقلة الاضطراب والمؤمنون في مكـــة كـــانوا يفتنون ، وأصحاب الأخدود من قبل قد فتنوا ، والفتنة غالبا ما يقـــع فيهـــا اضـــطراب فيكون اختيار هذا الصوت منسجما تماما مع الموضوع .

3 ــ بعد هذا ترجـــع السورة إلى واقع المسلمين الراهـــن آنذاك ، فتحذر الكـــــافرين من مغبة الاعتداد بقوتهم ، وتذكرهم بأن الله قـــادر على الانتقـــام منهم إن لم يتوبوا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَـــذَابُ جَهَـــنَّمَ وَلَهُـــمْ عَـــذَابُ الْحَرِيقِ* إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـــارُ ذَلِـــكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيـــدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْـــوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ويفتح الله باب التوبة أمـــام المتجبّرين ، وهـــذا من رحمته ، ويحذرهم من التمادي في اضطهاد المؤمنين ، وينذرهم سطوته ، وتـــأتي الفاصلة منتهية بالقاف ، وهو صوت لهوي شديد مستعل ، وهو يتناسب مع قوة العذاب الذي ينتظر الظالمين ، أما الآية الأخرى فتأتي بوعد طيب للمؤمنين الصابرين ، بجنات تجري من تحتها النهار ، وتنتهي الفاصلة بالراء التكراري ، وهو يـــدل علـــى كثـــرة الخيرات في جنات النعيم ، كما يتناسب مع ثبات المؤمنين في الدنيا وصـــبرهم علـــى الإيمان وفي ذلك تحد مستمر لقوى الكفر والعناد . ثم تنتقل الآيات لبيـــان صـــفات الله القوي القادر على الانتقام من الطغاة ، الودود بالمؤمنين فلا يخذلهم ولا يتخلى عنهم ، وتنتهي الفواصل بالدال ، وهو شديد مجهور قوي ، وهذا يتناسب مع المعنـــى المـــراد إيصاله إلى المتلقي ، فالآيـــات في بيان صفات الإله القادر على نصرة المؤمنين به ، لا يعجز عن نصرتهم ، ولكنه يبتليهم ، لأنه يريد لهم ما هو أفضـــل من الدنيا ، يريـــد أن يرفع درجاتهم في جنات النعيم ، كما أنها في معرض ترهيب الطغاة وتخويفهم من عاقبة الظلم والطغيان .

4 ــ بعد تخويف الطغاة وترهيبهم ، تعود الآيات إلى سرد قصص الظالمين السابقين ، الذين أفسدوا في الأرض وكيف كانت نهايتهم ، ثم تعود لتحذير المكذبين من خطـــورة

تكذيبهم بالقرآن المجيد الذي تكفل الله بحفظه : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ، تبدأ الآيات بحديث فرعون وثمود ، وهم من الأمم القوية التي سادت ثم بادت ، أبادها الله لظلمها وطغيانها وتكذيبها المرسلين ، وانتهت فواصل الآيتين بالدال وهو صوت شديد مجهور قوي ، ليتناسب مع الخبر المحكي عن نهاية الظالمين ، فقد كانوا أقوياء ، ولكنّ قوة الله كانت أقوى منهم ، فكانت نهايتهم أليمة وقاسية ، وفي هذا تخويف للمعتدين من كفار قريش ، الذين عادت الآيات تحذرهم بخطاب مباشر ، وتنذرهم بأن الله محيط بهم ، وقادر على أخذهم ، حيث تنتهي الفاصلتان بالباء والطاء ، وهما شديدان مجهوران ، ومن أصوات القلقلة القوية ، وفي هذا تخويف وترهيب للمكذبين من خطورة تكذيبهم ، ولأن الله القوي محيط بهم ، وقادر على أخذهم متى شاء كما أخذ الذين من قبلهم ، وتنتهي السورة بالتذكير بعظمة القرآن الذي جاء به الرسول من عند الله ، وأن هذا القرآن مجيد ، قال ابن القيم : «المجد السعة ، وكثرة الخير ، وكثرة خير القرآن لا يعلمها إلا من تكلم به»[1] ، ومحفوظ بحفظ الله ، ونلتقي أخيرا بالظاء وهو صوت مفخم مطبق مستعل ، ليدل على كمال العناية الربانية بالقرآن الكريم ، فهو لم يستحفظه الناس كما استحفظ الكتب السابقة ، ولكن تولى حفظه بنفسه كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] .

وقد جاءت الفواصل كلها منتهية بأصوات قوية لأن السورة تعالج مواضيع خطيرة كاضطهاد المؤمنين في مكة ، واضطهاد المؤمنين من قبل ، و تكذيب الوحي المجيد ، وعدم الإيمان بالإله العظيم ، وكيف أخذ الطغاة السابقين ، كل هذه المواضيع تتطلب أصوات قوية ، تتناسب مع ما فيها من القوة ، كما جاءت أغلب الأصوات مقلقلة ، وهذا يتناسب مع الفتن التي تعرض لها المؤمنون ، ويتعرضون لها في كل زمان .

أما مقاطع التي انتهت بها الفواصل ، فقد جاءت كلها على نمط واحد هو الطويل المغلق (ص ح ح ص) ، ودلالته تنصرف إلى طول أمد الصراع بين الحق والباطل ،

---

[1] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . التبيان في أقسام القرآن ، تح : محمد شريف سكّر ، دار إحياء العلوم ، ط : 1 ، لبنان ، 1409هـ/1988م ، ص : 130 .

ويدل الإغلاق على أن مسلك الظالمين محدود ومحكوم بنهاية مريرة وأن النصر حليف المؤمنين ، فهو إما أن يكرمهم بالشهادة في سبيله ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وذلك الفوز الكبير ، وإما أن ينصرهم على أعدائهم ، فهو على كل شيء قدير.

9 ـ سورة الطارق :

هذه السورة مكية وآياتها سبع عشرة ، « وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور ، وقد أقامت البرهان الساطع والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث ، فإن الذي خلق الإنسان من العدم قادر على إعادته بعد موته »[1] .

9 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـ افتتح الله هذه السورة بالقسم بأمور عظيمة ليوقظ انتباه المتلقي لما سيلقى عليه ، وهذه الأمور المقسم بها فيها دلالة على عظمة خالقها المجيد ، قال الصاوي : « قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد صانعها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع»[2]. قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ ، قال ابن الجوزي : « قال ابن قتيبة : الطارق : النجم ، سمي بذلك لأنه يطرق ، أي يطلع ليلا ، وكل من أتاك ليلا فقد طرقك »[3] ، والثاقب : المضيء[4] ، قال ابن القيم : « والمقصود أنه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضيئة ، وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته »[5] ، وأردف قائلا : « والمقسم عليه ههنا حال النفس الإنسانية ، والاعتناء بها ، وإقامة الحفظة عليها ، وأنها لم تترك سدى ، بل قد أرصد عليها من يحفظ عليها أعمالها

---

[1] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 544 .

[2] – الصاوي ، أحمد المالكي . حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، ج : 4 ، ص : 528 .

[3] – ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، ط : 1 ، لبنان ، (دت) ، ج : 9 ، ص : 80 .

[4] – ينظر : الهروي ، أحمد بن محمد . الغريبين في القرآن والحديث ، تح : أحمد فريد المزيدي ، المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419هـ/1999م ، ج : 1 ، ص : 286 .

[5] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . التبيان في أقسام القرآن ، ص : 131 .

ويحصيها ، فأقسم سبحانه أنه ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة ، يحفظ عملها وقولها ، ويحصي ما تكتسب من خير أو شر »[1] . وقد جاءت الأصوات كلها قوية تقرع المسامع فالقاف والباء والظاء كلها أصوات بين شديد ومجهور ومستعل ومفخم ومطبق ومقلقل ، وتلك صفات تتناسب مع الحكمة البالغة من خلق الإنسان الذي لم يخلق سدى ، فكيف يغفل عن هذه الحقائق الخطيرة .

2 ـ بعد هذا يوجه القرآن الإنسان إلى النظر والتدبر في خلقه ، ليدلل له على إمكان إعادته : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ وقد اختار القاف والباء ، وهي أصوات قوية تتناسب مع عملية الخلق ، وهي الإيجاد من عدم ، واختار الراء المرقق ، ليدلل على أن الإعادة أهون عليه من الخلق من لاشيء ، فإن من خلق الإنسان من عدم ، أيسر عليه أن يعيده بعد موته ، يوم تظهر الخفايا[2] المستورة ، وقد جاء الراء مرققا أيضا ، ليتناسب مع رقة المخفي المستور ، أو ليتناسب مع رقة الإنسان وضعفه في ذلك اليوم الذي لا يملك فيه قوة ولا ناصرا .

والمقاطع كلها من نوع (ص ح ص) المتوسط المغلق ، الذي يدل بتوسطه على قصر عمر الإنسان, ويدل بالإغلاق على نهايته بالموت ، أو نهاية الدنيا بالفناء ، أو على كون الإنسان محكوما بقوانين كونية لا تتخلف ، كخلقه من ماء دافق ، ورجوعه بعد موته إلى الله ، وقد يدل أيضا على كون الآخرة ختام المطاف ، ونهاية مغلقة للدنيا.

3 ـ بعد ذلك يجيء القرآن بالقسم : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ ، قال ابن القيم : « فأقسم بالسماء ورجعها بالمطر ، والأرض وصدعها بالنبات »[3] ، « على كون القرآن حقا وصدقا»[4] ، والقول الفصل : أي يفصل بين الحق والباطل[5] ، والهزل : اللعب والباطل[1]. وقد جاء بصوت

---

[1] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . التبيان في أقسام القرآن ، ص : 133 .

[2] – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن . إيجاز البيان عن معاني القرآن ، م : 2 ، ص : 872 .

[3] – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . المرجع نفسه ، ص : 139 .

[4] – المرجع نفسه ، ص : 140 .

[5] – الهروي ، أحمد بن محمد . الغريبين في القرآن والحديث ، ج : 5 ، ص : 1452 .

العين الذي يمتاز بالوضوح ، وفيه دلالة على وضوح هذه الآيات التي تتوالى أمام أعين الناس ، فأقسم بالواضح لديهم على ما ينكرون ، من كون هذا القرآن حقا وليس باطلا أو لعبا ، كما اختار اللام ، ومن صفته الانحراف وهو الميل ، والقرآن الكريم مائل عن الباطل إلى الحق ، كما أن ملته حنيفية أي مائلة عن الشرك إلى والتوحيد .

وقد جاءت المقاطع مغلقة إغلاقا مضاعفا (ص ح ص ص) ، ودلالته الإغلاق الإحكام التام ، وذلك لأن القرآن الكريم : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ﴾ [هود : 1] ، ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : 42] .

4 ــ وتنتهي السورة بتحذير المشركين من الكيد للإسلام وأهله ، لأن الله سيكيدهم ، وينقض كيدهم وتدبيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ ، وتأتي فواصل هذا التحذير منتهية بالدال الشديد المجهور ، وهذا الصوت يتناسب مع قوة هذا التحذير وشدته .

وأما المقاطع الأخيرة فهي من نوع (ص ح ح) وهو متوسط مفتوح ، ودلالة الانفتاح هنا هي التهديد ، فالأمر مع المشركين بعد أن تهددهم أصبح مفتوحا على أنواع العقاب ، فقد يكون إهلاكهم بالسيف ، كما فعل بهم في بدر ، وقد يمهلهم في الدنيا ، فيكون إهلاكهم بالنار يوم القيامة ، وقد تكون دلالة الانفتاح الإمهال ، فمن تاب وترك الكيد للإسلام عفا عنه ومن استمر في المكر والكيد أخذه بذنبه .

10 ــ سورة الأعلى :

مكية وآياتها تسع عشرة ، وهي تعالج مواضيع : الذات الإلهية وبعض صفات الله جل وعلا ، والدلائل على القدرة والوحدانية . والوحي المنزل على خاتم الرسل ، صلى الله عليه وسلم ، وتيسير حفظه عليه ، صلى الله عليه وسلم . والموعظة الحسنة التي ينتفع بها أهل القلوب الحية ، ويستفيد منها أهل السعادة والإيمان [2].

10 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

[1] – السيوطي ، عبد الرحمن ، ومحمد بن أحمد المحلي . تفسير الجلالين ، تح : مروان سوار ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، ص : 803 .

[2] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 547 .

1 ــ ابتدأت السورة بالأمر بتعظيم الله تعالى ، الرب المنعم ، الخالق المتفضل ، الذي أغدق الخيرات على خلقه : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ ، وتنتهي الفاصلة الأولى بلام ممدود بصائت طويل ، وهو مفخم عند من لا يميل ، ودلالة التفخيم هنا التعظيم ، فإن المراد بهذه الصفة ، العلو المطلق لله تعالى على جميع خلقه ، فالرب الأعلى هو الله عز وجل لا يشاركه في علوه أحد ، والأعلى هو البالغ النهاية في العلو والرفعة[1] ، ولذلك حين تفاخر أحد المشركين بأصنامهم فقال : اعل هبل . أمر رسول الله أصحابه أن يجيبوه فيقولوا : الله أعلى وأجل[2] . وتنتهي الفاصلة الثانية بالواو وهو صوت متوسط ، ودلالة التوسط الاعتدال ، فالله تعالى خلق فعدل ، فجعل الخلقة سوية معتدلة ، ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ ، أي أعطى كل شيء ما فيه مصلحته[3] ، ووجه دلالة الدال وهو صوت قوي ، أن من كمال قدرة الخالق القوي وحكمة تدبيره ، أنه خلق الخلق ولم يهملهم ، ولكنه تكفل بهم ، وهداهم لما فيه صلاحهم وقوام عيشهم ، أما الفاصلة الأخرى فتنتهي بالعين الرخو المرقق المستفل ، وفيه ليونة ملحوظة ، ثم بصوت بالواو اللين في التي بعدها ، وقد جاء الصوتان عند الحديث عن المرعى ، وهو ما ترعاه الأنعام ، وقد يسره الله لها ، وهذا من تمام نعمته ، وهدايته لخلقه وتقديره ، وهما يتناسبان مع ليونة النعمة وما يسره الله لخلقه من الخيرات .

2 ــ ثم وجه الخطاب لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ ، يعد الله عز وجل نبيه بأنه سيتكفل بتحفيظه القرآن فلا ينساه ، فهو الذي خلق هذه الأنفس البشرية ، وهو عليم بطريقة تكوينها ، وكيف يتسنّى لها أن تحفظ فلا تنسى ، وكيف ينسيها إذا

---

[1] – الحمصي ، محمد حسن . تفسير وبيان القرآن الكريم ، دار الهدى ــ عين مليلة ، (دط) ، الجزائر ، (دت) ، ص : 591 .

[2] – المباركفوري ، صفي الرحمن . الرحيق المختوم ، شركة الشهاب ، (دط) ، الجزائر ، 1408هـ/1987م ، ص : 327 .

[3] – الحمصي ، محمد حسن . المرجع نفسه ، ص : 591 .

شاء ، وقد اختير لهاتين الفاصلتين صوتان رخوان مهموسان مرققان ، هما السين والفاء ليدلا على ضعف الإنسان وضعف مداركه من جهة ، وليدلا من ناحية أخرى على اطلاع الله تعالى وعلمه بالخفايا . قال ابن عاشور : « واليُسْرى : مؤنث الأيسر ، وصيغة فُعلى تدل على قوة الوصف لأنها مؤنث أفْعَل »[1] وقال أيضا : « التيسير مستعار للتهيئة والتسخير ، أي قوة تمكينه صلى الله عليه وسلم من اليُسرى وتصرفه فيها بما يأمر الله به ، أي نُهيئك للأمور اليسرى في أمر الدّين وعواقبه من تيسير حفظ القرآن لك وتيسير الشريعة التي أرسلتَ بها وتيسير الخير لك في الدنيا والآخرة »[2] ، وهذه القوة التي أشار إليها ابن عاشور ، في الصيغة أو في التمكين ، مدلول عليها بصوت قوي ، وهو صوت الراء الذي اختير لنهاية الفاصلة .

3 ــ بعد ما تكفل له بحفظ القرآن في صدره فلا يشتغل بحفظه ولا يخشى نسيانه ، وجهه إلى وظيفته السامية التي اصطفاه لها ، إنها الرسالة والتبليغ والتذكير فقال : ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ ، وقد اختار الراء للذكرى وهو صوت قوي ، وذلك يدل على قوة الذكرى ، وأنها لا يلتزم بها إلا أصحاب العزائم كما قال : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : 45] ، كما أن الراء صوت مكرر ، وذلك فيه إشارة إلى وجوب الاستمرار في الدعوة وتحدي المعاندين رغم كثرتهم ، وقد اختار الشين لمن يذكر وهو صوت رقيق ضعيف مهموس رخو ، وهذا يدل على رقة قلب من يستجيب للرسول ، أما الذي لا يستجيب ولا يذكر ، فقد اختار له القاف صوتا قاسيا صلبا كقساوة قلب الأشقى ، أما النار التي أعدت للقاسية قلوبهم فقد اختار لها الراء المفخم المكرر ، ففخامته دليل على هول النار وعذابها ، وتكراره يدل على استمرار عذاب المعذبين فيها ، وفي الأخير نفى عن أهل النار أن ينعموا بموت يريحهم من العذاب ، أو حياة رقيقة تريحهم من اللهيب ، وجاء الياء متناسبا مع رقة الحياة .

4 ــ في ختام السورة « يخبر الله تعالى بأن النجاح والفوز يكونان بالتطهر من العيوب

---

[1] – ابن عاشور ، الشيخ الطاهر . تفسير التحرير والتنوير ، ج : 30 ، ص : 282 .

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

والنقائص ومجاهدة النفس»[1] ، وأن « إيثار الحياة الدنيا هو أساس الداء لأنه يصرف الإنسان عن تلقي الموعظة والأخذ بها »[2] ثم تختتم السورة ببيان « أن ما اشتمل عليه القرآن من عقائد وإرشادات تطابق ما ورد في الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام لأنها جميعا تصدر عن أصل واحد هو الله سبحانه الذي أوحى بهذا القرآن الكريم »[3]. يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ، والفاصلة الأولى تنتهي بالكاف ، وهو صوت مهموس مرقق ضعيف ، وهو يتناسب مع رقة نفس المؤمن وصفاء سريرته ، مما يجعله يقبل الحق ويطهر نفسه ، ويكون ذلك سببا في فلاحه ، فيذكر ربه ويتقرب إليه بالعبادة والصلاة ، ولأن المصلى يعظم الله ، فقد جيء باللام مفخما ، ليكون نهاية الفاصلة ، وليتناسب مع المعنى ، وهو عبادة الله وتعظيمه ، ولكن الإنسان من طبعه أنه يؤثر الدنيا العاجلة ، على الآخرة الباقية ، رغم أم الآخرة خير وأبقى ، ولما كانت الدنيا لا تساوي شيئا بجانب الآخرة ، فقد اختار للفاصلة الأولى صوتا ضعيفا لينا مستفلا ، وهو الياء ، ليتناسب مع هوان الدنيا على الله ، واختار للفاصلة الثانية صوتا قويا شديدا مستعليا ، هو القاف ، ليتناسب مع عظمة الآخرة وبقائها ، و عظمة نعيمها وشقائها ، ثم جاء بفاصلة اللام ، وهو صوت مفخم ، للدلالة على عظمة الكتب السماوية جميعا ، واشتراكها في الهدف الواحد ، ألا وهو هداية الناس إلى الله ، وأخيرا جاء بفاصلة السين المهموس المرقق الصفيري ، فكأنه همس رقيق في أذن الإنسان : أن هذا هو الحق الذي جاءت به الأنبياء ، ودعت إليه أقوامها ، فلا تغرنّك الدنيا وزينتها ، فتؤثرها على الحق فتخسر بذلك الآخرة الباقية .

أما المقاطع فقد جاءت كلها من نوع (ص ح ح) المتوسط المفتوح ، وهو متناسب مع مواضيع السورة ، فقد أمر بالتسبيح وفيه انفتاح على عالم الملكوت الواسع ،

---

[1] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمَّ ، ص : 94 .

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

والمؤمن حين يسبح ربه ، يشترك في تسبيحه مع كل الكائنات المسبحة ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : 44] ، ثم عدد بعض مظاهر عظمته في خلقه ، وهذه المظاهر مفتوحة على آفاق واسعة ، غير محدودة بزمن ولا مكان معين ، ثم وعد نبيه بأنه سيقرئه القرآن فلا ينساه ، وهذا كان في أول نزول القرآن ، ولكنه استمر إلى آخر نزوله ، ووعده بأن ييسره لليسرى ، وهذا مستمر أيضا ، وأمره أن يذكّر ويدعو إلى ربه ، وهو أمر مستمر في الدنيا ، له ولأتباعه من بعده ، ثم بين له من يستجيب له ومن يعرض ، وعاقبة كل منهما في الآخرة ، وهذا أيضا مفتوح مستمر ، ثم حذر من الدنيا لأن عمرها محدود ورغب في الآخرة لأنها الأبقى ، وأخيرا يصل المؤمن بتاريخ الأولين ، وهو اتصال مفتوح بالمسبحين من قبل ، يشعر المؤمن وهو في بداية الطريق ، أنه ليس وحده ، فقد سلك هذا الطريق من قبل ، مؤمنون كرام ، كإبراهيم وموسى ، ومن آمن بهما ، واتبع هداهما .

11 ـ سورة الغاشية :

مكية وآياتها ست وعشرون ، وقد تناولت موضوعين أساسيين وهما :

1 ـ القيامة وأحوالها وأهوالها ، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء ، وما يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء .

2 ـ الأدلة والبراهين على وحدانية الله ، وقدرته الباهرة ، في خلق الإبل والسماء والجبال والأرض ، وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه . وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء[1] .

11 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـ قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ ، هذه الفقرة تتحدث عن الغاشية وهي القيامة ، وما فيها

[1] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 551 .

من عذاب وشقاء للكافرين ، وما فيها من نعيم وهناء للمؤمنين ، وقد جاءت كل الفواصل بالهاء التي أصلها تاء مربوطة ، والهاء صوت عميق وخفي ، وقد تقدم أنه يتناسب مع الحديث عن يوم القيامة الذي أخفاه الله عز وجل عن الخلق ، وكذلك فالحديث عن أحد أركان الإيمان ، والإيمان محله القلب ، فناسب أن يختار له صوتا عميقا ، إلا أن أثناء ذلك جاء صوت العين ، عند الحديث عن الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، ومناسبته أنه صوت ضعيف ، في مقابلة الضريع الذي لا يدفع عن الجائع ألم الجوع ، ولا يسمن من يأكله ، بل يبقى طاعمه هزيلا ضعيفا .

وقد جاءت كل المقاطع مغلقة ، وقد تقدمت الإشارة إلى دلالة المقطع المغلق عند الحديث عن القيامة وأهوالها .

2 ـ بعد هذا تلفت السورة الأنظار إلى بعض آيات الله في خلقه : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ، وتختتم الفواصل كلها بصوت التاء المهموس المرقق المستفل الضعيف ، وهذا يدل على أن هذه الأشياء التي تبدو قوية محكمة في الظاهر، هي في حقيقتها ضعيفة ، ومتى أذن الله بفنائها أطاعت منقادة لأمره ، فهو خالقها ، وهي لا تساوي شيئا أمام عظمته، فإذا بدت لكم قوية ، فإن خالقها أقوى منها .

أما المقاطع فهي متوسطة مغلقة (ص ح ص) ، ودلالتها أن هذه المخلوقات محكوم عليها بالفناء ، فمهما كانت قوية ، فسوف يطويها الردى حين يأمر الله بذلك .

3 ـ بعد هذا تختم السورة بوجوب التذكير والدعوة إلى الله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ، وقد جاءت الفواصل الأولى بالراء ، وهو صوت قوي لأن الدعوة إلى الله جهاد يتطلب الصبر ، وسيلاقي فيه الداعي معاناة وصدودا ، فما عليه إلى أن يصبر وأن يواصل الطريق ، وتختتم الفواصل بالميم الذي تنطبق عند النطق به الشفتان ، وفيه دلالة على أن أمر الله سينطبق على العباد ، وأنهم راجعون إليه حتما للحساب والجزاء.

أما المقاطع فقد جاءت من نوع (ص ح ص) وهو متوسط مغلق ، ودلالة الإغلاق أن الكافر مهما تولى وكفر فإن إيابه إلى الله ، وحسابه على الله ، فأين المفر ؟

12 ــ سورة الفجر :

مكية وآياتها ثلاثون ، تتناول عدة مواضيع : فتتحدث عن مصرع الطغــاة الــذين كذبوا المرسلين ، وعن حب الإنســان للمال وتألمه من الخصاصة ، وعن اليوم الآخر وحال الناس فيه بين شقي وسعيد .

12 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ تبتدئ السورة بالقسم : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْــلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ . الفجر معروف ، والليالي العشر هي عشر ذي الحجة ، وقد قيل في الشفع والوتر أقوال كثيرة[1] ، والأظهر أنهما مما يــرتبط بــالزمن لورودهما في سيـــاق زمني ، والليل إذا يسر ، أي إذا ذهب [2] ، والحجر هو العقل ، وقد جاءت الفواصل بالراء وهو صوت تكراري ، قوي ، ودلالة التكرار هنا ، تكــرر هذه الظواهر الزمنية بين عيني الإنسان ، مما يكون مدعــاة لتدبر العاقل ، فلا يعقــل أن تمر هذه الظواهر ، دون أن يتفكر في خلقهــا واتساقهــا وتوازنهــا واســتمرارها على نظام محكم ، وأما دلالة الراء في العقل على القوة ، فلأنه وسيلة الإنسان للــتحكم في غرائزه ، فيعقلها عن أن ترتع فيما حرم الله ، كما أنه وسيلة الإنسان للتدبر والتفكر في ملكوت الله ، ليهتدي بالخلق إلى الخالق وبالصنعة إلى الصانع .

وقد جاءت المقاطع مغلقة إغلاقا مضاعفا (ص ح ص ص) ، وقــد يكــون ذلــك لإحكام هذه الظواهر الزمنية بنظام عجيب ، في مقابل إحكام صنعة العقل ، فلا يعقــل من صــاحب العقــل السليــم ، أن تمر به هذه الظواهــر المحكمة ، دون أن تقــوده إلى الإيمان بخالقها .

2 ــ ينتقل السياق بعد ذلك إلى سرد قصص بعض الجبابرة ، الذين أهلكهم الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَــادِ * وَثَمُــودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَــأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ ، وقــد جــاءت

---

[1] – أورد ابن كثير فيها سبعة أقوال ، ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ج : 7 ، ص : 281 ، 282 .

[2] – المرجع نفسه ، ص ، 283 .

الفواصل قوية ، صاخبة ، مدوية ، منتهية بصوت الدال المجهور الشديد المقلقل ، تنذر بعواقب وخيمة للطغاة المفسدين في الأرض ، كما حدث لهؤلاء الذين قص القرآن علينا من أنبائهم ، ويشترك مع الدال في دلالته ، صوت الباء المجهور الشديد المقلقل ، وقد جاء في سياق ذكر العذاب ليدل على قسوة هذا العذاب وشدته .

وقد جاءت المقاطع من نوع الطويل المغلق (ص ح ح ص) ، وهو ينبئ عن طول حسرات المهلكين ، وخاتمتهم السيئة الأليمة .

3 ــ بعد هذا ينتقل السياق إلى حديث عن الإنسان في حال ابتلائه بالخير والشر ، وكيف أنه إذا أصابه الخير اغتر ، وظن ذلك كرامة له من الله ، وكيف إذا أصابه الشر والفقر أساء الظن بربه : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ ، وقد جاءت الفواصل منتهية بالنون والميم وهما من أوضح الأصوات في السمع بعد الصوائت ، كما أنهما مجهوران ، وتنصرف دلالة الوضوح إلى كون هذه الصفات ظاهرة في بني الإنسان لا تكاد تخفى على ذي بصيرة ، ولكن القرآن ساق هذه الأوصاف ليعالجها ويحد من غلوائها ، ولذلك جاءت هذه الأصوات مجهورة ، وهو جهر بالنكير على هذه الصفات المذمومة .

وقد جاءت المقاطع على التوالي على الشكل الأتي : (ص ح ص) ، (ص ح ح ص) ، (ص ح ح) ، وهي تتدرج من المغلق المتوسط إلى المغلق الطويل إلى المفتوح المتوسط ، وهذا يقتضي غلقا متوسطا عندما يتعلق باغترار الإنسان وظنه السوء بربه وهذا ذميم ولكنه مقتصر على صاحبه فقط ، أما إذا صار فيه اعتداء وظلم واقع على الفئات الضعيفة ، فإن الحرج يزداد ، ويزداد معه طول المقطع وإغلاقه ، ولما ذكر تعلق الإنسان بالمال جعل المقطع مفتوحا للتعبير عن شدة هذا النهم وكأنه لا ينتهي .

4 ــ وفي ختام السورة ، يأخذ في الحديث عن نهاية الدنيا ، فيبدأها بداية عنيفة صاخبة : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعِي

إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ؛ تنتهي الفاصلتان الأوليان بأصوات مضعّفة تتكرر ، وفي هذا التضعيف والتكرار مبالغة في الفعل ، فالدك دك قوي قد أوهى هذه الأرض وزعزع بنيانها ، وصفوف الملائكة كثيرة متتالية في موقف رهيب قد خشع لجلال الرحمن ، وقد جيء بالكاف صوتا مهموسا ، كأنه يشي بأن الأرض بعد دكها صارت ساكنة لا حراك بها ، أو بأن الناس الذين كانوا يعمرونها ، بادوا ، فهاهي خاوية على عروشها ، أو يشي بهمسه إلى أن الأصوات خفتت في ساحة العرض فلا تسمع إلا همسا ، كما جيء بصوت الفاء الضعيف ، ليشعر بخضوع الملائكة لجلال الله العظيم . فإذا جيء بجهنم اتعظ الإنسان واعتبر وقد كان من قبل جاحدا ناكرا ، ولكن لا تنفعه الذكرى يوم ذاك ، فيتحسر ويتكرر منه الندم والحسرة ، ولذلك اختير الراء المفخم المكرر، ليدل على حجم الندامة واستمرارها ، ولما كان التحسر على النفس جيء بصوت مرقق مهموس هو التاء الضعيف ، الذي يشعر الإنسان بضعفه يومذاك ، فأين ما كان يعتد به من قوة ، فاليوم ما أضعفه ؟ واليوم يقابل بقسوة وشدة يبرزها صوت الدال الشديد المجهور، أما النفوس المؤمنة المطمئنة بالإيمان فإنها تعامل معاملة تكريم ، وتختتم الفواصل بالهاء والياء ، صوتان ضعيفان مرققان يشعران السامع بالمودة واللطف .

وقد جاءت أغلب المقاطع مفتوحة ، وقد يكون في ذلك دلالة على انفتاح يوم القيامة على كل الاحتمالات ، أو قد يكون في ذلك دلالة على فتح باب التوبة في الدنيا للتائبين.

13 ــ سورة البلد :

مكية وآياتها عشرون ، وهي تعالج موضوع العقيدة والإيمان بالبعث ، كما تعالج بعض القضايا المتعلقة بالإنسان والمجتمع .

13 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ ، يقسم الله عز وجل بالبلد الحرام ، ومقام النبي عليه الصلاة

والسلام فيه ، وبكل والد ومولود ، على أن الإنسان خلق في كبد ، والكبد : الشدائد[1] ، واللبد : الكثير[2] . وقد انتهت الفواصل بالدال ، الشديد المجهور القوي ، وهذا يتناسب مع هذه المعاني ، فالقسم للتعظيم والمراد تعظيم البلد الحرام ، وكذا تعظيم إقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وتعظيم أمر الخلق والإيجاد من عدم ، الذي هو تعظيم لله الذي خلق الوالد والمولود ، كما أن الدال الشديد يتناسب مع الكبد الذي يعانيه الإنسان ، كما يتناسب مع المعنى في (أحد) لأن الاستفهام جوابه : أن الله يقدر عليه ، وكذا في (أحد) الثانية ، وجوابه : أن الله يراه ، والتعظيم منصرف إلى الله القادر البصير أما القوة في (لبدا) ، فإنه من التلبد ، والتلبد هو الكثرة ، والكثرة تقتضي القوة .

وقد جاءت المقاطع كلها من نوع (ص ح ص) ، وهو نوع مغلق ، والإغلاق متناسب مع الشدة والقوة ، ولأن المعاني قوية فقد ناسبها مقطع مغلق ، أما في (لبدا) فقد جاء المقطع مفتوحا (ص ح ح) والانفتاح يتناسب مع الكثرة .

2 ــ بعد ما ذكر أنه خلق الإنسان في كبد ، بين أنه زوده بمؤهلات تهديه إلى الخير إن هو أحسن استغلالها ، كما أنها قد تتسبب في هلاكه إن أساء استغلالها ، فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ ، وقد جاء بصوت النون المجهور الواضح ، ليدل على وضوح الطريق ؛ فمن استعمل ما أوتي من المدارك في طلب الحق نجا ، ومن أهملها ولم يحسن استعمالها هلك .

أما المقاطع فهي من نوع (ص ح ص ص) ، الطويل المضاعف الإغلاق ، وهو يدل على إحكام خلق الإنسان ، وأنه أوتي مدارك متقنة ، وأن الإنسان إذا أحسن الاستفادة من هذه المدارك نجا .

3 ــ يقول الله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا

[1] – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن . إيجاز البيان عن معاني القرآن ، م : 2 ، ص : 877 .

[2] – الفراء ، يحيى بن زياد . معاني القرآن ، عالم الكتب ، ط : 3 ، لبان ، 1403هـ/1983م ، ج : 3 ، ص : 263 .

بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ ، اقتحم الشيء : دخل فيه بقوة ، والعقبة : الطريق الوعرة التي يصعب سلوكها ، وفك الرقبة : عتقها ، والمسغبة : الجوع ، والمتربة : الفقر ، والميمنة : طريق النجاة ، والمشأمة : طريق الشقاء ، والموصدة : المغلقة[1] . لما بين الله أنه زود الإنسان بالمدارك التي تؤهله لاختيار أحد الطريقين ، أرشده هنا إلى الأعمال المعينة له على اجتياز العقبة ومنها : فك الرقاب ، وإطعام الجياع من الأيتام الأقارب والمساكين ، والإيمان ، والتواصي بالصبر ، والتواصي بالرحمة ، فمن كان كذلك فهو من أصحاب اليمين ، أما الكفار فهم أصحاب الشمال ، وقد توعدهم بنار مغلقة عليهم لا يخرجون منها أبدا .

والآيات تعالج أمورا تتعلق بالإيمان ، وأخرى تتعلق بالأعمال الظاهرة ، ولكنها عند التحقيق لا يتم علاجها إلا بعلاج النفس من داخلها ، فإذا انقادت النفس للحق سهل عليها العمل ، فالمراد باقتحام العقبة « مجاهدة الإنسان نفسه وهواه ومن يسول له فعل الشر من شياطين الإنس والجن»[2] ، وعلى هذا ناسب أن تنتهي الفواصل بالهاء الخفي العميق .

أما المقاطع فقد جاءت كلها من نوع (ص ح ص) ودلالة المقطع المغلق أن الآيات تعالج أمورا تنطوي عليها النفوس ، أي أنها من أعمال القلوب مثل الإيمان والصبر ، والرحمة ومقاومة الشح .

14 ـ سورة الشمس :

مكية وآياتها خمس عشرة ، وقد تناولت موضوعين اثنين وهما : موضوع النفس الإنسانية ، وما جبلها الله عليه من الخير والشر ، والهدى والضلال . وموضوع الطغيان ممثلا في ثمود الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمرهم[3] .

14 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـ يقول الله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا *

---

[1] –ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 161 .

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 564 .

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، أقسم الله بالشمس وضوئها الساطع ، وبالقمر إذا أعقبها طالع ، وبالنهار إذا جلى ظلمة الليل بضيائه ، وبالليل إذا غطى الكائنات بظلامه ، وبالقادر الذي أحكم بناء السماء وبسط الأرض ، وبالنفس الإنسانية التي كملها الله وزينها بالفضائل والكمالات ، على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله ، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد[1] . والآيات في الترغيب في إصلاح النفس والتحذير من إفسادها ، واختتمت الفواصل بالهاء وهو خفي عميق مناسب للحديث عن النفس ، كما أنه رقيق عذب يلاطف الأذن ولا يقرعها ، لذلك تقبل النفس عليه ، كم أنه هادئ يعالج النفس البشرية بهدوء ولطف .

2 ـ يقول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ ، ذكر تعالى قصة ثمود قوم صالح حين كذبوا رسولهم ، وطغوا وبغوا في الأرض ، وما كان من أمر إهلاكهم الفظيع الذي بقي عبرة لمن اعتبر ، وختمت السورة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاك الظالمين[2] . والآيات في الحديث عن قصة ماضية ، فهي من الغيب الذي يعتمد في تصديقه على الثقة في الراوي ، وهذا لا يكون إلا من مؤمن بالله ورسوله ، وصوت الهاء من الأصوات الخفية العميقة التي تلامس شغاف القلوب برقتها وعذوبتها فهي مناسبة تماما لمثل هذا المقام ، ثم إن المقام مقام ناصح مشفق يحذر عليهم أن يصيبهم مثل ما أصاب الأولين ، فجاء بصوت رقيق يناسب رقة الناصح في نصحه .

أما المقاطع فمن نوع (ص ح ح) المفتوح ، ودلالات الفتح هي الولوج إلى أغوار النفس الإنسانية ودعوتها إلى الزكاة والصلاح وتحذيرها من الفساد المؤدي إلى الهلاك.

15 ـ سورة الليل :

مكية وآياتها إحدى وعشرون ، وهذه السورة كالتفصيل لسابقتها : فقد ذكر

---

[1] – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 564 .

[2] – المرجع نفسه ، ص : 564 ، 565 .

في الأولى فلاح المزكين لأنفسهم وخيبة المدسّين لها ، وفي هذه ذكر ما يحصل به الفلاح وما تحصل فيه الخيبة[1] .

15 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ ، يقسم الله بالليل حين يعم ظلامه كل شيء ، والنهار حين يظهر ويسطع ضوؤه ، ويقسم الله بخلقه الذكر والأنثى بأن سعي الناس مختلف[2] ، وقد جاء بفاصلة الشين عند الحديث عن الليل ، ومن صفاته التفشي وهو الانتشار ، وهو يناسب انتشار الليل وامتداده في الآفاق ، وجاء بفاصلة اللام عند الحديث عن تجلي النهار ، واللام من الأصوات الواضحة بعد الصوائت كما أنه ممدود بصائت طويل ، وهذا يناسب تجلي النهار وهو وضوحه ، ثم جاء بفاصلة الثاء عند الحديث عن الأنثى ، وهو صوت ضعيف مرقق مستفل مهموس رخو ، ومن خصائص الأنوثة الضعف والرقة ، بينما من خصائص الذكورة القوة ، لذلك جاء بالراء في الذكر والراء قوي ، وهي ليست فاصلة ، وعند الحديث عن تشتت الناس واختلاف سعيهم جاء بالتاء المهموس المرقق الضعيف ، وهو مناسب لحالة التفرق ، فلو كانوا جميعا على صراط مستقيم ، لكانوا بذلك أقوى في مواجهة العدو المشترك ، ألا وهو الشيطان الرجيم .

2 ــ ويقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ ، الإنفاق في سبيل الله والتقوى من الأعمال العظيمة ، ولا تستطيعها النفوس إلا بمجاهدة وصبر للتخلص من الشح والتغلب على الشهوات ، لذلك اختار صوتا قويا هو القاف الشديد المستعلي ، وأما الحسنى أي الجنة أو المثوبة أو كلمة التوحيد ، فقد اختار لها النون الأغن ، وهو صوت محبب إلى الأذن ، وهذا لتحبيبهم فيها ، فالنفس ترغب فيما تجد له حلاوة وترنما عند سماعه ، وأما اليسرى فقد جاءت بالراء المفخم ، وذلك لتعظيم شأنها في النفوس ، بخلاف العسرى الذي جاء

---

[1] – ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 173 .

[2] – ينظر : طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 123 .

راؤها مفخما للترهيب منها ، وهي لمـــن بخل بماله واستغنى عن ربه ، وقــد اختـــار النون ، وهو كما أسلفنا صوت محبب إلى الأذن ، لأن الإنسان بطبعـــه يحـــب المـــال والغنى ، ويشعره ذلك بالفخر ، ولكنه هنا مذموم لأنه تنكر لخالقه وواهبه المال ، وقـــد يكون اختيار النون هنا لأن نطقه فيه التواء ، إذ يجد الهواء عند نطقه الممر مـــسدودا فينثني خارجـــا من الأنف ، وهذا ينـــاسب التواء الجـــاحد فضل ربه ، ثم يأتي الراء في (تردى) والتردي هو الهلاك ، والمقصود به الموت ، أو العذاب الأخروي ، فناسب ذلك اختيار الدال الشديد المجهور لأنه أبين عن خطورة هذا المآل .

3 ــ ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْـأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21) ﴾ ، إن على الله بمقتضى حكمتـــه أن يبـــين للناس طريق الهدى ، وإن له الأمر وحده والتصرف في الدنيا والآخرة[1] ، وقـــد جـــاء بالدال في (الهدى) وهو الشديد المجهور القوي ، والهداية هنا هداية بيـــان ، والبيـــان يتطلب شيئا من الشدة ، حيث تتعلق أوهام بعض الناس بالأباطيل والخرافات ، فيحتاج المبين إلى تفنيدها بالحجج القوية ، كما يتطلب البيان الجهر والإعلان لأن بقاء الحـــق مخفيا يجعل الناس لا يعلمون به ولا يبلغهم ، وجاءت الفاصلة باللام المفخم ليتناسب مع التعظيم المراد نسبته لله العظيم ، فمن عظمته ملكه للدنيا والآخرة ، ولذلك أختار لفظة (الأولى) على لفظة (الدنيا) لأن الياء رقيقة لا تصلح لمقـــام التفخيم ، فلما أنذر العصاة نارا تتلهب ، اختار الظاء المجهور المفخم المستعلي المطبق القوي ليتناسب مع حـــر هذه النار الرهيبة المفزعة المخيفة ، ثم بين أن الذي يصلاها هو (الأشقى) وهو الـــذي قسا قلبه عن متابعة الهدى ، فناسب اختيار صوت قاس هو القاف الـــشديد المـــستعلي القوي ، ثم جاء باللام المنحرف ليدل على انحراف العاصي عن الهدى ، أما القاف في (الأتقى) فإنه ينـــاسب قوة تمسك المؤمن بالحق وصلابة إيمانه ، وأمـــا الكـــاف فـــي (يتزكى) فهو صوت مرقق مهموس يتناسب مع رقة قلب المؤمن ولم يقل يتطهـــر لأن الراء صوت قوي ، وهذا المقام يناسبه صوت يدل على رقة القلب لأن القلب القاسي لا

[1] – ينظر : طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 124 .

يستجيب للحق ، وأما الزاي في (تجزى) فإنه صفيري يفيد الانتشار إلا أنه نفاه ، فالمؤمن لا يريد ذياع الصيت بين الناس وإنما يبتغي وجه ربه الأعلى ، فجاء باللام المفخم تعظيما للرب الأعلى ، وهو القادر على جزاء المؤمن حتى يرضى ، أو يرضى الرب عنه ، وقد جاء بالضاد المفخم المستطيل ليبين مقدار هذا الرضا حجما وامتدادا .

وقد جاءت المقاطع كلها من نوع (ص ح ح) المتوسط المفتوح لتكون هذه العظات والتوجيهات عامة ومفتوحة لكل المتلقين والمخاطبين ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قرر ذلك علماء الأصول .

16 ـ سورة الضحى :

16 ـ 1 ـ سبب النزول :

أجمع الرواة على أن سبب نزول هذه السورة هو حدوث فتور في نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه حزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا إلى الجبال ليتردى من شواهقها ... وإنما حزن لهذه الفترة خيفة أن يكون ذلك من غضب أو قلى من ربه له ، بعد أن ذاق حلاوة الاتصال به ... ومن ثم نزلت هذه السورة حاملة له أجمل البشرى ، ملقية في نفسه الطمأنينة[1] .

16 ـ 2 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ـ يقول الله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ يقسم الله تعالى بآيتين من آياته وهما : صدر النهار حين ترتفع الشمس ، وسكون الليل حين تهدأ الكائنات ، بأنه ما ترك رسوله ولا أبغضه ، ووعده بأن ما يأتي من أمره في الدنيا والآخرة خير مما مضى ، وأنه سيوالي عليه النعم في الدنيا والآخرة حتى يرضى . وتنتهي الفاصلة بصوت مهموس مرقق مستفل ، هو الحاء وفي رقته إيناس للرسول وتطييب لنفسه ، بعد ما قاساه من ألم الوحشة ومعاناتها ، وفي الضحى وهو زوال الظلمة ، إشارة إلى زوال تلك الفترة الصعبة ، التي تشبه ظلمة الليل إذا غطى بظلامه الدنيا ، ولهذا أقسم بالليل إذا سكن بظلامه ، وتنتهي الفاصلة بالجيم صوت قوي يحاكي في قوته

---

[1] – ينظر : المراغي ، أحمد مصطفى . تفسير المراغي ، م : 10 ، ج : 30 ، ص : 182 ، 183 .

اشتداد الظلمة في الليل واشتداد الأمر على الرسول في هذه الفترة ، أما اللام في (قلى) التي جاءت منفية ، أنه لم يمل عنك ولم يجفك ، لأن اللام من صفاته الانحراف ، كما أنه مفخم ومن دلالة ذلك تعظيم دعوى المشركين أن ربك قلاك واستهجانها ، وأما اللام في (الأولى) وهو أيضا مفخم ، فإن كان المراد أول أمرك فالمقصود تفخيم ما سيأتي من أمرك ، لأنه ما دام فخم أول الأمر فآخره خير من أوله فهو أولى بالتعظيم ، وإن كان المراد بالأولى : الدنيا ، فإن التعظيم ينصرف إلى ما ينتظره في الآخرة ، مع أن أمره سيعظم في الدنيا أيضا ، وأما الفاصلة الأخرى فقد جاءت بالضاد وهو مفخم مستعل ومستطيل ، ودلالة ذلك أن ما سيعطيه ربه في الدنيا والآخرة سيبلغ من نفسها أبعد وأعظم غايات الرضا .

2 ــ ويقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ يمن الله على رسوله بأنه وجده يتيما فآواه ، وينهاه في مقابل ذلك عن قهر اليتيم ، ويمن عليه بأنه وجده فقيرا فأغناه ، وينهاه في مقابل ذلك عن نهر السائل الفقير ، ويمن عليه أن هداه لهذا الدين بعد الحيرة ، ويأمره في مقابل ذلك أن يتحدث بهذه النعمة وينشرها بين الناس ليهتدوا بها ، وقد جاء في الفاصلة الأولى بالواو وهو صوت لين ، ليشعر بعطفه وحنانه على عبده ، حيث تعهده منذ طفولته بالرعاية والعناية ، حتى رقى إلى ذروة الكمال الإنساني ، ثم جاء في الثانية بالدال الشديد المجهور ، ليظهر فخامة هذه النعمة التي من بها على عبده ، ثم جاء بالنون وهو صوت يحسن وقعه في الأذن ، لأن الغنى مما يلذ للنفس ، ثم جاء بالراء المفخم ، ليكون التحذير من قهر اليتيم ونهر السائل قويا ، وأخيرا جاء بالثاء المهموس الرخو ، وفي نطقه ينبثّ النفس بين الأسنان ، فناسب بذلك الأمر بنشر هذه النعمة نعمة الهداية بين الناس ، وأن لا يكتمها .

والمقاطع كلها من المتوسط المفتوح (ص ح ح) ، ودلالتها أنه فتح لرسوله باب النعمة بالرسالة وأنه سيمد له من فتوحاته في الدنيا والآخرة حتى يرضى ، وأن رسالتها ستستمر في الدنيا ، وسيكون أكثر الأنبياء أتباعا .

17 ــ سورة الانشراح :

مكية وآياتها ثمان ، وهي تتحدث عن مكانة الرسول الجليلة ، ومقامه الرفيع عند الله تعالى ، وقد تناولت الحديث عن نعم الله العديدة عليه ؛ بشرح صدره بالإيمان ، وتنوير قلبه بالعرفان ، وتطهيره من الذنوب ، ثم تحدثت عن إعلاء منزلته ورفع مقامه في الدنيا والآخرة ، وتناولت ما كان يقاسيه بمكة من الشدائد ، وآنسته بقرب الفرج ، وختمت بتذكيره بواجب التفرغ لعبادة ربه ، شكرا على ما أولاه من نعمه[1].

17 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، يمتن الله على رسوله بأنه أوسع صدره لنور النبوة والهدى والإيمان ، وخفف عنه العبء الثقيل فأعانه على حمل الأمانة ، وأعلى ذكره في الدنيا والآخرة ، وقد انتهت الفواصل بالكاف ، وهو صوت مهموس مرقق مستفل منفتح ، وهو لرقته يناسب الخطاب الذي يوجهه الرب لحبيبه ومصطفاه ، يسليه ويؤنسه ويخفف عنه شدة الوطأة ، في وقت تكالب فيه المشركين عليه وعلى أتباعه .

والمقاطع هنا مغلقة تدل على اختصاص هذه المزايا بالنبي دون سواه من الخلق ، فلا يذكر الله عز وجل في صلاة ولا أذان ولا خطبة إلا ذكر معه النبي عليه الصلاة والسلام .

2 ــ ويقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ، بعد ما عدد نعمه على نبيه ، أراد أن ينقله من وضعه الراهن ، حيث شدة البلاء وعسر المحن ، إلى المستقبل الزاهر لدعوته ودينه وأمته ، وجاء في الفاصلتين بالراء ، وهو صوت تكراري يناسب ما وعد به من استمرار دينه ، وتكرار اليسر والفرج والنصر لأمته ، فهذه الأمة منصورة ، ومتى رجعت إلى دينها بصدق أنجز الله لها وعده . ثم أمر رسوله أن ينصب في عبادة ربه ، عند فراغه من أمور الدعوة ، أو من شواغل الدنيا ، ويرغب إلى ما عنده من الخير والجزاء ، وجاءت الفاصلة بالباء الشديد المجهور ، ليكون الحث على العبادة قويا ، ولأن الصوارف عن العبادة عنها كثيرة ، فجاء بصوت قوي يتناسب مع كثرتها.

---

[1] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 574 ، 575 .

و المقطعان الأولان مفتوحان ودلالة الفتح الاتساع ، وأن هذا اليسر مستمر في أمته من بعده ، و المقطعان الآخران مغلقان ليكون النصب والرغب إلى الله وحده.

18 ــ سورة التين :

مكية وآياتها ثمان ، وفيها يقسم الله بأماكن عظيمة كانت مهابط وحيه على رسله ، وتلك الأماكن هي بيت المقدس أو بلاد الشام عامة ، والطور الذي كلم الله فيه موسى ، والبلد الأمين وهو مكة ، على أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم جسدا وعقلا واستعدادا للكمال ، ثم أخبر تعالى بأن الإنسان لم يحافظ على هذه الخصائص فانحدر إلى أحط درجة ، وذلك إما في الدنيا فأشبه البهائم ، وإما في الآخرة لما كفر فصار في أسفل دركات النار ، واستثنى من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات[1] .

18 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وقد جاءت الفواصل كلها بالنون إلا واحدة بالميم ، وهاتان الفاصلتان كثيرا ما تأتيان معا فالصوتان يشتركان في كثير من الخصائص ، وإذا سبقهما صائت طويل كما هو الحال هنا ، فإنه يكون لهما دوي يبعث على التعظيم والتهويل والفخامة ، ونجد في أول السورة تعظيما لأماكن كان لها شرف استقبال وحي السماء ، كما نجد أيضا تعظيما لخلق الإنسان ، وهو في الحقيقة تعظيم لخالقه الذي أبدعه في أحسن تقويم ، ثم نجد تهويلا للإنسان وتحذيرا له من التردي في أسفل الدركات ، ثم تعظيما للأجر الذي فاز به الناجون من العذاب ، وهو في الوقت ذاته تعظيم للأعمال التي كانت سببا في نجاتهم ، ثم في الأخير استعظام لأمر المكذبين بالحساب واستهجان لفعلهم مع أن الله الذي خلقهم في أحسن تقويم لم يخلقهم عبثا وهو أحكم الحاكمين ، وهو استهجان أيضا لتعطيلهم مداركهم وعدم انتفاعهم بوحي السماء المنزل على الرسل في تلك البقاع الطاهرة ، مع العلم أن هذه البقاع لا تزال شاهدة كذكرى تنبه الغافلين .

---

[1] – ينظر : طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 137 ، 138 .

وقد جاءت المقاطع كلها من الطويل المغلق (ص ح ح ص) ونلحظ فيه دلالة الاختصاص ؛ كاختصاص الأماكن المذكورة بالقداسة ، واختصاص الإنسان بخلقه في أحسن تقويم ، واختصاص المولى سبحانه بالحكمة البالغة في اختيار الأماكن لهبوط الوحي واختيار الإنسان لحمل الأمانة ، واختصاص المؤمنين بالأجر الكامل غير المنقوص ، كما نلحظ دلالة الإغلاق في تعطيل الكافر لمداركه وعمايته عن الحق مما أودى به في أسفل سافلين .

19 ــ سورة العلق :

مكية وآياتها تسع عشرة ، وهي أول ما نزل من القرآن على المشهور . روى البخاري في صحيحه ، عن عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، في قصة نزول الوحي قالت : «... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال: اقرأ ؛ قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ فقلت : ما أنا بقارئ ؛ فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ »[1] .

19 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

1 ــ يقول الله عز وجل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، هذه هي الآيات الأولى التي تلقى على قلب الرسول الكريم ، وهي الكلمات الأولى من وحي السماء التي تلقى على قلب بشري ، بعد غط شديد من الملك للرسول ليستعد لتلقي الوحي الثقيل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : 5]، ولذلك ناسب أن تكون

---

[1] – البخاري ، محمد بن إسماعيل . الجامع الصحيح المختصر ، تح : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، ط : 3 ، لبان ، 1407هـ/1987م ، ج : 1 ، ص : 4 .

الأصوات الأولى قوية ثقيلة ، وأن تنتهي الفواصل بأصوات قوية أيضا ، فالقاف صوت لهوي شديد مستعل قوي مقلقل ، والميم متوسط مجهور تتطبق الشفتان عند نطقه ، لقد جاءت هذه الأصوات قوية ليكون لها وقع خاص فهي أول ما يتلقى الرسول من الوحي.

وتتناسب المقاطع مع حال الرسول لما رأى الملك فقد أخذه رعب وخـــوف شـــديد فرجع يرتجف من هول ما رأى حتى قال لخديجة كما روى البخاري أيـــضا : « لقـــد خشيت على نفسي»[1] ، وهذه الحال تعبر عنها المقاطع المغلقة من نوع (ص ح ص).

2 ــ ويقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَـــى * أَنْ رَآَهُ اسْـــتَغْنَى * إِنَّ إِلَـــى رَبِّـــكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ إن تجاوز الحدود طبيعـــة في الإنسان إذا استغنى ، لذلك جاء الغين وهو صوت قصي مستعل ، ليدل على مقدار هذا الطغيان ، أما الغنى فهو في الأصل نعمـــة فعبر عنه بصوت محبب إلـــى الأذن ، والإنسان مهمـــا طغى سيرجع حتمـــا إلى الله ، وعبر بالعين لما فيه من الوضـــوح ، عن كون هذه الحقيقة واضحة ، وقد دل عليها خلق الإنسان من علق ، ثم جاء الهـــاء وهو خفي ليعبر عن هذا الناهي الذي يريد أن يخنق صوت الحق ويخفت أنفاسه ، أمـــا الصلاة فهي عبادة عظيمة عبر عنها بصوت مفخم هو اللام ، وكذلك الهدى ، عبر عنه بالصوت القوي الدال ، لأنه من الحق والحق لا أقوى منه ، أما التقوى فقد أراد تعظيم أمرها فجاء بصوت له دوي وهو الواو الممدود بصائت طويل ، وأما الذي تولى فقـــد اختار له صوتا جانبيا منحرفا لأنه جانب الصواب وانحرف عـــن الحـــق ، ولكـــن ألا يخاف الله والله يرى ، وهذا للتهديد فجيء بالراء المكرر القوي ليتناسب مـــع صـــيغة التهديد والوعيد .

وقد جاءت المقاطع مفتوحة لتعبر منذ الوهلة الأولى عن طول الصراع بين الحـــق والباطل .

3 ــ ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ

---

[1] – البخاري ، محمد بن إسماعيل . الجامـــع الصحيح المختصر، ج : 1 ، ص : 4 .

الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ ، هذا خطاب تهديد لذلك الطاغي ، ولكنه جاء بصيغة الغائب ، ولم يوجــه له الخطاب استخفافا واستهانة به ، ولذلك اختار للفواصل صوتا خفيفا ضعيفا هو الهاء ليتناسب مع المعنى ، كذلك فالهاء سريع عند النطق وهذا يتناسب مع سرعة أخذ الطاغي إذا أراد أخذه ، وفي الأخير يتوجه بالخطاب للرسول ، يأمره بأن يسجد ويقترب من ربه دون مبالاة بهذا الطاغي ، وقد جاء الفاصــلة بالبــاء الشديد المجهور تحضيضا على مزيد السجود والتقرب إلى الله .

وقد جاءت المقاطع من نوع (ص ح ص) وهو متوسط مغلق ، ودلالــة الإغــلاق هي أن الطاغي بظلمه واعتدائه على الإسلام وأهله قد أوجــب علــى نفــسه الــضيق والحرج يوم القيامة ، أما المقطع الأخير فدلالة الإغلاق فيه هي أمــر الرســول أن لا يبالي بالطاغي ، فكأنه يغلق دونه أذنيه ، فهو لا يسمعه استهزاء وسخرية به .

20 ــ سورة القدر :

مكية وآياتها خمس ، و« الحديث في هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال ، ليلة الاتصال المطلق بــين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، ليلة ذلك الحدث الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته ، وفي دلالته ، وفي آثاره في حيــاة البشرية جميعا»[1].

20 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَــدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِــيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ ، القدر : العظمة[2] ، وإنما اختصت هذه الليلة بــالتعظيم لنــزول القرآن فيها ، وقد ختمت الفواصل بالراء ، وهو صوت تكراري مجهور قوي للدلالــة على عظمة هذه الليلة ، وعظمة ما أنزل فيها ، وعظمة الخير الكثير الذي خصت به ، فهي خير من ألف شهرا ، وتتنزل فيها الملائكة بكثرة ، ويتنزل فيها الــروح الأمــين

---

[1] – قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، م : 8 ، ص : 310 .

[2] – ابن الجوزي ، عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، ج : 9 ، ص : 182 .

ومقامه عند الله عظيم ، ويدل تكرار الراء على تكرار هذه الليلة كل عام ، وعلى كثرة الخير فيها ، وعلى استمرار الخير والبركة فيها من غروبها إلى مطلع فجرها .

أما المقاطع فهي من نوع (ص ح ص ص) المضاعف الإغلاق ، وقد يكون في ذلك إشارة إلى غلق باب السماء عن الشياطين لما أنزل القرآن ، أو إغلاق تلك الليلة دائما عنهم حتى لا يتمكنوا من إذاية العابدين .

21 ـ سورة البينة :

مدنية وآياتها ثمان ، وقد « كان العالم في عهد البعثة المحمدية في حاجة ماسة إلى رسالة الله ، فقد عم الفساد في أرجاء الأرض ، وكان الكفر والباطل والبدع قد تطرقت إلى عقائد أتباع الديانات كلها ، سواء اليهود أو النصارى ، فضلا عن المشركين في جزيرة العرب»[1].

21 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

ترشد السورة الكريمة إلى أن الكفار من أهل الكتاب والمشركين ، لم يكونوا مفارقين ما هم فيه من الباطل إلا بمجيء الرسول ونزول الكتاب ، وقد كانوا من قبل تفرقوا شيعا وأحزابا يكفر بعضهم بعضا ، وهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا شريك له ، ثم بين بعد هذا مصير كل فريق ، فكافر مخلد في النار ، ومؤمن موحد مخلد في الجنان ؛ يقول الله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وقد انتهت الفواصل بالهاء أو التاء المنقلبة إلى هاء ، وهو صوت عميق خفي وذلك لأن هذه السورة تعالج أمور العقيدة ، وهذا الصوت يناسب هذه الأمور لأنه

[1] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 151 .

عميق والمعتقدات تحتل أعمق ما في النفس الإنسانية .

وقد جاءت المقاطع مغلقة لأنها تعالج أمورا تنطوي عليها خبايا النفوس .

22 ـ سورة الزلزلة :

مدنية وآياتها ثمان ، وهي تعالج موضوع القيامة من بدايتها إلى نهاية حساب الناس حيث ينال كل واحد ما كسبت يداه .

22 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، وتنتهي كل الفواصل بالهاء عدا واحدة بالميم ، وقد سبق الكلام عن دلالة الهاء وعلاقتها بيوم القيامة ، أما الميم الذي تنطبق عليه الشفتان فدلالته أن كل إنسان سيلزمه عمله لا ينفك عنه .

وقد جاءت المقاطع الأولى مفتوحة ، ودلالة الفتح هنا انفتاح الأهوال في ذلك اليوم فكأنها كانت مغلولة ففكت وتفلتت من قيودها ، وانطلقت كالإعصار المدمر ، ثم جاءت المقاطع مغلقة لأن الناس مرهونون بأعمالهم ، فالخير لمن عمله والشر لمن اجترمه .

23 ـ سورة العاديات :

مكية وآياتها إحدى عشرة ، وقد تضمنت موضوعا أساسيا هو مسؤولية الإنسان العظمى ، وأفكارا أخرى أحاطت به من وجود الله وحدوث الإنسان وصراعه في هذه الحياة . وقد عرضت مشاهد من الحياة الواقعية المحسوسة ، والحياة الأخرى المغيبة ، وبينهما عرضت الإنسان في صورته النفسية ، لتعبر عن أخطر مسألة في حياة الإنسان وهي ، (مسألة المصير والمسؤولية)[1] .

23 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

---

[1] – ينظر : المبارك ، محمد . دراسة أدبية لنصوص من القرآن ، دار الفكر ، ط : 4 ، لبنان ، 1424هـ/ 2003م ، ص : 23 ، 24 .

1 ــ يقول الله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ ، العاديات : الخيل ، والضبح : أصوات أنفاسها أو حلوقها أو أجوافها وهي تعدو[1] ، والقدح : الضرب لإخراج النار[2] ، والنقع : الغبار[3] . يقسم الله عز وجل بالخيل التي تعدو وهي تضبح بصوتها ، وتحتك سنابكها بالأرض فتوري شررا ، وتثير الغبار عند جريها ، لتغير عند الصباح كما كانت عادة العرب ، وتصبح في وسط الجمع ، وقد جاءت الفواصل الأولى بالحاء وهو احتكاكي مهموس مرقق مستفل ، وهو يتناسب مع الصوت الحلقي الذي تصدره الخيول ، كما يتناسب مع القدح وهو احتكاك السنابك بالحجارة ، وهو أيضا يتناسب مع الإغارة في سكون الصبح ، وقد اختار العين المجهور ليعبر عن الغبار المتصاعد من عدو الخيل ، وكيف أنها تتوسط الجمع لتغير على الحي .

وجاءت المقاطع من المتوسط المفتوح ، وفي ذلك إشارة إلى ما تقدمه الخيل من نفع في الفتوحات والغزو من النصر والغنيمة .

2 ــ ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ ، قال البغوي الكنود : هو قليل الخير[4] ، وقال الراغب: هو الكفور، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئا[5] ، والشهيد هو الله أي : إن الله على كنود الإنسان لشاهد ، وقيل : إن الإنسان شاهد على نفسه[6] ، يخبر الله عن بعض طبائع الإنسان ، من كونه ينكر الخير ويذكر الشر ، ويتعلق بالمال ويبخل به ، والله شهيد على كل ذلك ، و قد جاءت الفواصل بالدال الشديد المجهور ولذلك للتهويل والتخويف من عاقبة نكران النعم والتعلق بالدنيا ، وقد زاد في التحذير حين أخبر أنه شهيد على ما يضمره أو يظهره الإنسان ، ثم زاد في التحذير من هذه الأمور إذا قامت الساعة وبعثر

[1] – ابن الجوزي ، عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، ج : 9 ، ص : 208 .
[2] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 158 .
[3] – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن . إيجاز البيان عن معاني القرآن ، م : 2 ، ص : 888 .
[4] – البغوي ، الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي ، ج : 4 ، ص : 518 .
[5] – الأصفهاني ، الراغب . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص : 460 .
[6] – البغوي ، المرجع نفسه ، ص : 518 .

مـــا في القبور وحصل ما في الصدور ، فاختار لهذا صوتـــا قويـــا مجهورا مكـــررا هو الراء ، وهو يدل على خطورة وضخامة هذا اليوم .

وجاءت المقاطع طويلة مغلقة وهي تتناسب مع طول يوم القيامة وكروبه وأهواله .

24 ــ سورة القارعة :

مكية وآياتها إحدى عشرة ، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثـــرة القبـــور وختم السورة بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ أتبعه بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فقيل هو القارعة[1] .

24 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُـــوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَـــارٌ حَامِيَةٌ ﴾ القارعة من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها[2] ، والمبثوث : المنتشر[3] ، والنفش : نشر الصوف[4] والعهن المنفوش هو الصوف الذي نشر ، وجاءت الفواصـــل بالهاء الخفي العميق ، وهو صوت مناسب للحديث عن القيامة لأنها من الغيب الخفي ، كما أنه عميق مناسب لخطاب النفس . وجاءت أثاء ذلك فاصلة الثاء وفاصلة الـــشين ، وفيها ينتشر الهواء في الفم ، وهما مناسبان لانتشار الناس ونفش الجبال كالصوف.

وقد جاءت المقاطع مغلقة وهي مناسبة للحديث عن يوم القيامة وأهواله .

25 ــ سورة التكاثر :

مكية وآياتها ثمان ، وهي تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحيـــاة ، وتكـــالبهم على جمع حطـــام الدنيـــا ، حتى يقطع عليهم الموت متعتهم ، ويأتيهم فجأة ، فيـــنقلهم إلى القبور ، وقد تكرر الزجر بـــ (كلا) تخويفا للناس ، وتنبيها لهم علـــى خطـــئهم ،

---

[1] – الصاوي ، أحمد المالكي . حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، ج: 4 ، ص : 597 .

[2] – ينظر : عبده ، الشيخ محمد . تفسير جزء عمّ ، ص : 148 .

[3] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 161 .

[4] – الأصفهاني ، الراغب . معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ص : 523 .

باشتغالهم بالفانية عن الباقية ، ثم ختمت ببيان مخاطر الآخرة وأهوالها[1] .

25 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، ولأن الحديث في الترهيب من التباهي بالدنيا وزينتها ، والتحذير من الاغترار بها عن الآخرة ، لذلك جاءت كل الأصوات قوية مجلجلة ، فالراء المكرر القوي ، والنون والميم المجهوران مع الواو والياء وما يحدث من ذلك من دوي ، كل هذه الأصوات تمنح السورة وقعا خاصا يشعر بالتهويل من عواقب الاشتغال بالدنيا ونسيان الآخرة .

ومقاطع الفواصل كلها مغلقة تشعر الإنسان بالضيق والحرج إذا هو اشتغل بالدنيا ونسي الآخرة ، لأنه سيلقى فيها حرج وضيقا .

26 ـ سورة العصر :

مكية وآياتها ثلاث ، وفيها « يقسم الله بالعصر على أن الإنسان لا ينفك عن الخسران الذي يؤدي إلى شقائه في الدنيا والآخرة ، إلا أن يكون من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويوصي بعضهم بعضا بالتمسك بالحق وهو الخير كله ويوصي بعضهم بعضا بالتمسك بالصبر على ما أمروا به وعما نهوا عنه»[2].

26 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، تنتهي الفواصل بالراء ، وهذا متناسب مع المعنى ؛ فالعصر في اللغة الضغط لاستخلاص العصارة ، ومن هذه الدلالة اللغوية سمي الدهر عصرا ، بملحظ من استخلاصه عصارة الإنسان بالضغط والتجربة والمعاناة[3] ، وهذا متناسب مع الراء الصوت التكراري المجهور القوي ، كما أن الدهر

---

[1] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 597 ، 598 .

[2] – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 168 .

[3] – ينظر : بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن . التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج : 2 ، ص : 75 .

مستمر لا يزال يتكرر في الدنيا ، والراء في الخسر يتلاءم مع فداحة الخطب لمن خسر الدنيا والآخرة ، وأما في الصبر فإن الصبر شاق فناسب انتهاء الفاصلة بـالراء ، لأن من معاني التكرار الاستمرار ، وما أصعب الاستمرار على الإيمان والعمل الصالح أمام مغريات الدنيا وفتنها .

وقد جاءت المقاطع كلها من الطويل المغلق ، وفي هذا دلالة على الوضع الحرج للإنسان في الدنيا ، ولا ينجو منه إلا من استثناهم الله في السورة ففازوا بالجنان .

27 ـ سورة الهمزة :

مكية وآياتها تسع ، وقد تحدثت عن الذين يعيبون الناس ، بالطعن والانتقاص ، كما ذمت المشتغلين بتكديس الثروات كأنهم مخلدون في هذه الحياة ، وختمت بذكر عاقبة التعساء الذين يدخلون نارا لا تخمد أبدا تحطم كل ما يلقى فيها[1] .

27 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ ، ابتدأت فتوعدت صنفا من الناس ، لا همّ لهم سوى الغمز واللمز والاستهزاء بالناس ، ولأن التغامز بالناس غالبا ما يكون خفيا فقد جيء بصوت مهموس خفي ليتناسب مع المعنى ، ولما كان الحديث عن الجمّاع العدّاد جيء أيضا بصوت خفي ، لأن عادة البخيل أن يختفي بماله فلا يعدّه أمام الناس ، بل يخفيه حتى عن المقربين ، وقد جيء بالهاء أخيرا ليتناسب مع أمر خفي من أمور الغيب الذي لا يؤمن به إلا من تعمق الإيمان في قلبه .

وقد جاءت المقاطع مغلقة لتعبر عن حال المنغلق على نفسه يعدّد ثروته ويسخر من الناس ، ولتعبر أيضا عن النار المغلقة على الكافرين العصاة .

28 ـ سورة الفيل :

مكية وآياتها خمس ، وهي تسرد قصة أبرهة وجنده الذين حاولوا تحطيم الكعبة فأهلكهم الله .

---

[1] – ينظر : : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 602 .

28 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ تنتهي الفواصل باللام الجانبي المنحرف ، والسورة تصور انحراف أبرهة عن الحق بمحاولته تحطيم الكعبة ، كما أن الله تعالى حمى بيته وجنبه كيد الظالمين ، ولذلك يتناسب المعنى مع انتهاء الفواصل باللام.

أما المقاطع فطويلة مغلقة ، وهي تشير إلى طول الصراع بين الحق والباطل ، وأن العاقبة دائما للحق .

29 ـ سورة قريش :

مكية وآياتها أربع ، ومناسبتها لما قبلها أنه كان من آثار هلاك أبرهة وجيشه ، زيادة حرمة الكعبة ومكانة أهلها في الجزيرة العربية وخارجها ، وقد ساعدهم ذلك على السير في الأرض آمنين ، كما شجعهم على التجارة ، فكانوا يقومون برحلتين إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف ، مما فتح لهم أبواب الرزق الوفير [1] .

29 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ، يمتن الله على قريش بأن جعل لهم بلدا آمنا ، ويسر لهم أسباب الرزق بالتجارة ووفود الحجيج ، فجمع لهم الأمن على الأنفس والأمن الاقتصادي ، فلا يخافون سطوة المعتدين بعد إهلاك أبرهة ، ولا يخافون الجوع بما فتح لهم من أبواب الرزق ، وقد جاءت الفواصل بأصوات رقيقة مهموسة رخوة لتتناسب مع ليونة العيش ورقة النعماء .

أما المقاطع فقد جاءت مغلقة لأن هذه النعم مما اختص الله به قريشا دون غيرهم .

30 ـ سورة الماعون :

مكية وآياتها سبع ، وقد حذرت من خصال مذمومة ، كالتكذيب بالحساب وظلم

---

[1] – ينظر : طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 179 ، 180 .

اليتيم والتعدي عليه وعدم الحث على طعام المسكين وتأخير الصلاة عن وقتها تهاونـــا بحقها ومراءاة الناس بالعبادة ومنع الزكاة أو أي معاونة أخرى .

30 ـــ 1 ـــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ ، في هذه السورة تخويف وترهيب وتهويل من بعض الخـــصال الذميمة ، فاختار صوت النون والميم مع الصائت الطويل ، وهما يحدثان عند النطـــق دويا لعمل حجرات الرنين ، وهذا الدوي يتناسب مع تهويل الأمر والتخويف من مثـــل هذه الخصال التي تكون نتيجتها الهلاك .

أما المقاطع فقد جاءت مغلقة تشعر السامع بالحرج والضيق المتنـــاسب مع ضـــيق هذه الخصال وضيق مصيرها في الآخرة .

31 ـــ سورة الكوثر :

مكية وآياتها ثلاث ، وقد ذكروا في سبب نزولها أن المـــشركين لمـــا رأوا مـــوت الذكور من أولاد الرسول قالوا : هو أبتر ، أي : مقطوع ، وهـــم يريـــدون أن أمـــره سينتهي بموته لأنه ليس له من يخلفه ؛ فأنزل الله هذه السورة ردا عليهم[1] .

31 ـــ 1 ـــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ يخبر الله تعالى عن عظيم الكرامة التي اختص بها رسوله ، في الـــدنيا برفـــع قـــدره ونصر دينه وتأييده وتكريمه ، وفي الآخرة بكرامات لم يعطها أحـــد غيـــره ، ومنهـــا الكوثر وهو نهر في الجنة بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل ، وقيل : إن الكـــوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير في القدر والخطـــر : كوثرا[2] . وقد جاءت فواصل السورة بالراء المكرر المجهور القوي ، وهو يدل علـــى كثرة الخير الذي أعطاه الله لرسوله في الدنيا والآخرة ، كما يدل على الأمـــر بكثـــرة

---

[1] – ينظر : ابن كثير أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن العظيم ، ج : 7 ، ص : 390 .

[2] – ينظر : البغوي ، الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي ، ج : 4 ، ص : 532 .

الصلاة والذبح تقربا إلى الله تعالى ، كما يدل أيضا على أن كل مبغض شانئ لرسول الله ، فهو أقطع أبتر ، لا من جهة الأولاد ، بل من جهة الذكر ، وهذه حقيقة مشاهدة ، فكل الطغاة الذين أبغضوا رسول الله قد أذهب الله ريحهم وأخمل ذكرهم ، فلا يذكرهم الناس إلا باللعن ، وأما الذين ناصروهم فقد رفع الله قدرهم ، ولا يزال الناس يذكرونهم بالخير والثناء الطيب .

وقد جاءت المقاطع مغلقة دالة على اختصاص الرسول بهذا الفضل العظيم ، كما تدل على وقوع الشانئين المبغضين في الضيق والحرج في الدنيا والآخرة .

32 ــ سورة الكافرون :

مكية وآياتها ست ، وقد ذكروا في سبب نزولها أن بعض المشركين لقوا رسول الله ، فعرضوا عليه أن يعبدوا ربه سنة ويعبد آلهتهم سنة ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، وفيها براءة لمن اعتقدها من الشرك والنفاق ، وقال ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيضا لإبليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك[1] .

32 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ التكرار في السورة للتأكيد وفائدته قطع أطماع الكفار بالتأثير على النبي أو المؤمنين ، وتحقيق أن الكفار باقون على الكفر[2] . وقد تنوعت أصوات الفواصل بين النون والميم والدال ، وكلها أصوات قوية مجهورة ، ودلالة ذلك هي الإعلان الصريح المدوي والقوي لهذه المفاصلة والبراءة ، فلا يمكن أبدا أن تلتقي عقيدة التوحيد الصافية مع عقائد الوثنيين وأوهامهم .

أما المقاطع فكلها مغلقة وكأنها تغلق الباب في وجه كل مساومة على التوحيد وتقطع الطريق أمام كل طمع في أي هوادة من الإسلام وأهله للكافرين .

33 ــ سورة النصر :

---

[1] – ينظر : الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي . الفتوحات الإلهية ، ج : 4 ، ص: 596 .

[2] – ينظر : طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمّ ، ص : 188 .

مدنية وآياتها ثلاث ، وهي تتحدث عن فتح مكة وانتشار الإسلام في جزيرة العرب ودخول أهلها في الإسلام أفواجا ، وتأمر الرسول حين يرى ذلك بالإكثار من التسبيح والاستغفار وذلك لدنو الأجل .

33 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ، جاءت الفاصلة الأولى بالحاء وهو صوت مهموس رخو مرقق ، وقد يسر الله الفتح على رسوله فجاء سهلا ميسورا خاليا من العنف لم ترق فيه الدماء ، ولهذا يتناسب الحاء مع ما في هذا الفتح من يسر ، وجاءت الفاصلة الثانية بالجيم القوي المجهور ، ليدل على كثرة الوافدين للدخول في الإسلام بعد الفتح ، كما يدل بجهره على علو صوت الإسلام بعد أن كان خافتا ، أما الفاصلة الأخيرة فقد انتهت بالباء الشديد المجهور ، وصيغة فعّال تدل على الكثرة ، والباء يتناسب مع القوة والكثرة .

و تبدأ المقاطع بمقطع مغلق وتنتهي بمقطعين مفتوحين ، وقد يدل ذلك على أن الإسلام كان في أوله مضيقا عليه ثم جاء الفتح والنصر ، وأن العاقبة لهذا الدين دائما .

34 ـ سورة المسد :

مكية وآياتها خمس . عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : 214] ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ، فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ ، قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا ؛ قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبّاً لك سائر الأيام ألهذا جمعتنا ، فنزلت هذه السورة[1] .

34 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

[1] – ينظر : ابن الجوزي ، عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، ج : 9 ، ص : 258 .

يقول الله تعالى:﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ والفواصل تنتهي بأصوات قوية شديدة ومجهورة ومقلقلة ، تحكي شدة الغضب على أبي لهب وامرأته ، لما عاملا به رسول الله من القسوة ، فقد كانا أشد الناس عليه ، كانا يكذبانه ويؤذيانه ، وكان لهما ولدان تزوجا بنتيه قبل الإسلام ، فأمراهما بطلاقهما انتقاما منه ، وكانت زوجة أبي لهب ترمي بالأشواك في طريقه وكان أبو لهب يسير خلفه في الأسواق فكلما دعا قوما إلى الإسلام قام بعده يكذبه ، إلى غير ذلك من ألوان الأذى .

وقد جاءت المقاطع مغلقة توحي بانغلاق الأمل في وجه أبي لهب وامرأته ، فما لهما من أمل في عفو أو نجاة ، كما تدل على انغلاق قلبيهما عن الهدى .

35 ــ سورة الإخلاص :

مكية وآياتها أربع ، وسبب نزولها أن بعض المشركين سألوا رسول الله أن يصف لهم ربه من أي شيء هو ؟ فنزلت[1] .

35 ــ 1 ــ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ، لهذه السورة وزن ثقيل وفضل كبير وقدر عظيم ، فقد جاء فيما رواه مسلم أنها تعدل ثلث القرآن[2] ، وقد جاءت الفواصل منتهية بصوت الدال الشديد المجهور المقلقل القوي ليتناسب مع عظمة هذه السورة التي تناولت أهم قضية في الوجود وهي قضية التوحيد التي لأجلها خلق الخلق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، والتي بها يتحدد المصير الختامي للإنسان ، فهي أم القضايا في الوجود وأخطرها ، فالله سبحانه تعهد أنه لا يغفر لمن أشرك به شيئا ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

وكما جاءت الأصوات شديدة جاءت المقاطع مغلقة للدلالة على أن التوحيد هو الطريق الوحيد للنجاة من عذاب الله ، فكل من أخطأه هلك .

---

[1] – ينظر : ابن الجوزي ، عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، ج : 9 ، ص : 265 ، 266 .

[2] – ينظر : أبو شادي ، إبراهيم الصادق . الفرقان في أحكام وآداب فضائل قراءة القرآن الكريم ، دار الإيمان ، (دط) ، مصر ، (دت) ، ص : 32 ، 33.

36 ـ سورة الفلق :

مكية وآياتها خمس ، وفيها يأمر الله رسوله وكل مؤمن أن يلتجئ إليه ويحتمي بــه من شرور الخلق ، قال ابن باديس : « من كل مخلوق فيه شر ، فلا يدخل في عمومه إلا كل شرير من أي العوالم كان»[1] ، ومن شر الليل المظلم لأنه الزمن الذي يكثر فيه الشر والكيد ، ومن شر السحرة الذين ينفثون سحرهم في العقد ، يؤذون بها النـــاس ، ويقطعون الأرحام ، ويسعون في الأرض فسادا ، ومن شرور الحاسدين الذين يتمنـــون زوال النعمة عن أصحابها ، أو يسعون في زوالها .

36 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الفلق هو الـــصبح ، وقد اختار القرآن لفظة الفلق عن لفظة الصبح لأن الحاء صوت رقيق لا يأتي للتفخيم ، أما القاف فصوت قوي شديد مستعل مقلقل ، والتعظيم هنا ليس للفلق وإنما لرب الفلق لأنه من أمرنا أن نحتمي به ، وقد أمرنا أن نستعيذ من أمور عظيمـــة الخطـــر ولهـــذا جـــاءت الفواصـــل بأصوات قوية هي القاف والباء والدال لتتناسب مع عظيم خطـــر هذه الأشياء ، ولتدل بذلك على عظمة المستجار به سبحانه لأنـــه وحـــده مـــن يـــدفع شرورها .

وجاءت المقاطع مغلقة لتناسب ظلمة الليل ، وظلمة أصحاب الشرور المنغلقين عادة على أنفسهم فلا يخالطون إلا أمثالهم .

37 ـ سورة الناس :

مكية وآياتها ست ، وفيها الاستجارة والاحتماء برب الأربـــاب مـــن شـــر أعـــدى الأعداء ، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن ، الذين يغـــوون النـــاس بـــأنواع الوسوسة والإغواء[2] .

---

[1] – ابن باديس ، عبد الحميد . مجـــالس التذكير من كـــلام الحكيم الخبير ، مطبوعـــات وزارة الشـــؤون الدينية ، ط : 1 ، الجزائر ، 1402هـ/1982م ، ص : 406 .

[2] – ينظر : الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، ج : 3 ، ص : 625 .

37 ـ 1 ـ الدلالات الصوتية للفواصل :

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ الوسواس : أصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء ، والوسواس من الجن في غاية الخفاء هو وعمله ، والموسوس من الإنس يتحرى الإخفاء ما استطاع ويحكم الحيلة في ذلك ولا يرمي رميته إلا في الخلوات ، والخناس : من الخنوس وهو التأخر بعد التقدم فهو يظهر ويختفي إغراقا في الكيد حتى يبلغ مراده[1] ، وتجتمع جماعات الكيد في الخفاء لتدبير الشرور والمكائد ، ولا يكفي المؤمنين كيدهم إلا رب الناس وملك أمورهم ، وقد انتهت الفواصل بصوت واحد هو السين الرخو المهموس المرقق المستفل الصفيري ، وهو بكل هذه الصفات يتناسب مع همس الموسوسين الخفي الذي يلقونه بكيد في قلوب الناس ليفسدوا عليهم دينهم وحياتهم .

ومقاطع السورة طويلة مغلقة إشارة إلى طول هذه الكيد واستمراره من الإنس والجن ، وأما الإغلاق فدلالته أن الموسوس يحاول دائما أن ينفرد بفريسته ، ولذلك جاء في الحديث : أن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد[2] .

---

[1] – ينظر : ابن باديس ، عبد الحميد . مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص : 418 .

[2] – ينظر : ابن العربي ، أبو عمرو عثمان المالكي . عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، دار العلم للجميع ، (دط) ، لبنان ، (دت) ، م : 5 ، ج : 9 ، ص : 9 ، 10 .

الخاتمة

الخاتمة :

إن القرآن الكريم كتاب محكم ؛ فليس فيه جملة ، ولا كلمة ، ولا حرف إلا وقد وضع في موضعه المناسب ، بحيث لو غير من مكانه ، أو أبدل بغيره لأحدث ذلك خللا في النسق والبناء . وعند تناولي لموضوع الدلالة الصوتية للفواصل القرآنية توصلت إلى جملة من النتائج أهما :

1 ـ إن القرآن الكريم مؤثر من جميع النواحي ؛ فهو مؤثر بألفاظه المختارة ، وأسلوبه العجيب ، وتراكيبه المحكمة ، وبلاغته الفذة ، وجرسه الصوتي الآسر ، وهذا لا يجتمع في أي كتاب آخر .

2 ـ تختلف الفاصلة القرآنية عن قافية الشعر وقرينة السجع ، وإن كان قد يوجد شبه ظاهري بين الفاصلة القرآنية وقافية الشعر وقرينة السجع ، فإن علينا أن نحتفظ للقرآن بمصطلحاته ومسمياته الخاصة ، تنزيها له وتعظيما لشأنه ، وإفرادا له بمصطلحات لا يشاركه فيها غيره .

3 ـ لا يتحقق الجمال الصوتي للفواصل إلا حال الوقوف عليها بالسكون ، حيث تستوي نهايتها على وقع متناسق ، وبذلك يتحقق جمالها الصوتي .

4 ـ عند دراستي للأصوات وجدت بعض الفروق بين الدرس الصوتي العربي القديم ، وبين الدرس الصوتي الحديث ، ومع أني أكن كل الاحترام والتقدير والعرفان للمجهودات العلمية الحديثة في مجال الصوتيات ، إلا أنني لم أساير الذين سارعوا إلى تخطئة القدماء ، لأننا لا نشك في إخلاصهم واستفراغهم الجهد للوصول إلى الحقيقة ، ولكنني سرت مع الذين قالوا بوجود تطور للأصوات جعلها تختلف عما وصفها به الأقدمون .

5 ـ إن أصوات القرآن الكريم التي تركبت منها كلماته قد اختيرت بعناية ، لتتوافق مع الجو الذي أريد للآية أن تضع فيه المتلقي ، ولا يعني هذا أن القرآن يضحي بالمعنى من أجل الجمال الصوتي ، ولكنه يجمع بين الجمال المعنوي والجمال الصوتي لتحقيق التأثير والإبلاغ .

6 ـ يختار القرآن الكريم لكل أسلوب ما يناسبه من الأصوات ؛ فعند التهديد والوعيد والتخويف من النار وتهويل شأن القيامة يختار أصواتا قوية تقرع الأسماع ، وعند التبشير والترغيب والتأنيس يختار أصواتا رقيقة لا تقرع الأسماع وإنما تتسلل إلى النفوس في رفق وهدوء .

7 ـ إن الأصوات تحمل جزءا من معنى الكلمة ودلالتها ، وذلك بما لها من خصائص وصفات ومميزات ، حيث تضفي الأصوات بدلالاتها على الكلمة جوا خاصا ، وتلقي بظلالها على المعنى .

8 ـ يعالج القرآن في جزئه الأخير مواضيع الإيمان والعقيدة ، وخاصة موضوع القيامة واليوم الآخر وما فيه من أهوال ، وقد لاحظت أن أكثر الأصوات التي تنتهي بها الفواصل صوت الهاء الخفي الذي يتناسب مع الحديث عن أمور الغيب المخفية ، كما لاحظت أن نسبة الأصوات القوية التي انتهت بها الفواصل أكثر من الضعيفة ، وذلك لأن المواضيع التي يعالجها هذا الجزء تتطلب من الأصوات ما يقرع الأسماع ويهز القلوب ويدفع إلى التأمل .

9 ـ إن تأثير القرآن في الناس بأسلوبه وأصواته وألفاظه وبلاغته لا يزال قائما ، ولن ينقضي تأثير القرآن كما لا تنقضي عجائبه ، وإذا بدا تأثير القرآن اليوم ضعيفا فذلك لا يعود إلى القرآن وإنما يعود للمتلقين أنفسهم ، فكل من يفتح نوافذ قلبه للقرآن ، ويقرأه أو يسمعه بتدبر وإيمان ، فإن القرآن يتغلغل في حنايا نفسه وجوانحه ، ويغير من سلوكه وأخلاقه .

10 ـ إن دراستي تركزت على الفواصل القرآنية من حيث الأصوات والمقاطع الصوتية التي انتهت بها ، ولكنني لم أدرس الصيغ الصرفية للفواصل ، لأن دراستي دراسة صوتية دلالية ، وإني أرى أن دلالة الصيغ الصرفية موضوع جدير بالدراسة ، فعسى أن يجد من يهتم به ويدرسه .

ملخص بالفرنسية

PRésumé:

Cette recherche traite l 'indicaation de sons et de syllabes par lesquels la rime Coranique - qui fait la bonne partie du saint Coran - se termine , et la rime Coranique est le dernier mot dans le verset , et elle dérive sa nomination du saint Coran et elle le caractérise aux autres arts de parole .

Le Saint Coran est un livre trés précis en ses syntaxes et ses vocables et leur construction et ses sons , et le chercheur ne trouvera aucune lacune dans la construction linguistique de ce livre .

Et les sons portent une partie de la signification et participent à l'indicaation, c'est pourquoi nous avons essayé dans cette étude de lier entre les sons et leur indications,et nous avons noté que le Saint Coran choisie pour chaque signification des sons concordent-la,s'il veut intimider il choisie de sons compatibles forts et s'il veut faire désirer il choisie des sons compatibles minces, donc les sons coraniques et ses indications mettent le lecteur ou l'auditeur dans l'atmosphère favorable, et ça parmi les secrets d'influence coranique, là où on ne trouve plus un son ou un mot incompatible, c'est à dire que chaque son et chaque vocable dans son place convenable .Si bien qu'on change un son par un son ou un vocable par un vocable l'auditeur va ressentir la différence et ça parmi les Secrets du saint Coran, qu'ALLAH s'est chargé de les protéger à ce que nul ne peut changer sa construction et sa composition quoi que ce soit.

Et nous avons essayé dans cette recherche de lier entre le sujet et le sens de la sourate et les sens de versets, et ce que leurs rimes phoniques portent de significations,à partir les caractéristiques que l'en distinguent,c'est pourquoi le saint Coran choisie les

vocable les plus favorable et les plus influent, même s’il ya des autres vocables donnent même sens, toutefois, le saint Coran lorsqu’il choisie un vocable- même,c’est-à dire qu’il est le vocable favorable afin de ses sons qui portent des ombre et de signes.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

1 – آل ياسين ، محمد حسين. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، دار مكتبة الحياة ، ط:1 ، لبنان ، 1400هـ/1980م.

2 – الإبراهيمي ، خولة طالب .مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، ط:2 ، الجزائر ، 2006م.

3 – الأزهري ، أبو منصور محمد. تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (دط) ، مصر، 1966م.

4 – إستيتية ، سمير شريف . الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية ، دار وائل للنشر ، ط: 1 ، الأردن ، 2003م.

5 – الأسمر ، راجي . المعجم المفصل في علم الصرف ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، 1418هـ /1997م.

6 – الأصفهاني ، الراغب .معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تح: نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، (دط) ، (دب) ، 1392هـ /1972م.

7 – الأصفهاني، أبو الفرج.الأغاني،نشر: صلاح يوسف خليل ودار الفكر للجميع، (دط) ، لبنان ، 1390هـ /1970م.

8 – إفيتش ، ميلكا .اتجاهات البحث اللساني ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، (دط) ، مصر ، 2000م.

9 – الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الفكر ، (دط) ، لبنان ، 1398هـ /1978م.

10 – أمين ، بكري شيخ . التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ، ط:4 ، لبنان ، 1400هـ /1980م .

11 – أنيس ، إبراهيم. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:4 ، مصر، 1971م.

12 – ———— . دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:2 ، مصر ، 1963م .

13 – ــــــــــــــــ . وآخرون . المعجم الوسيط ، دار المعارف ، ط:2 ، مصر ، 1392هـ/1972م.
14 – ــــــــــــــــ. موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط:7 ، مصر ، 1997م.
15 – ابن باديس ، عبد الحميد . مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، ط : 1 ، الجزائر ، 1402هـ/1982م .
16 – الباقلاني ، أبو بكر . إعجاز القرآن ، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، ط : 2 ، لبنان ، 1429هـ/2008م .
17 – ــــــــــــــــ . التمهيد ، تح: الأب رتشرو يوسف مكارثي ، المكتبة الشرقية ، (دط) ، لبنان ، 1957م.
18 – البخاري ، محمد بن إسماعيل . الجامع الصحيح المختصر ، تح : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، ط : 3 ، لبان ، 1407هـ/1987م .
19 – بشر ، كمال . علم الأصوات ، دار غريب ،(دط) ، مصر، 2000م.
20 – البغوي ، الحسين بن مسعود. تفسير البغوي ، تح:خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، ط:5 ، لبنان ، 1423هـ/2002م .
21 – بلاشير، ريجيس. تاريخ الأدب العربي، تر: إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر ــ تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب ــ الجزائر، (دط)، تونس،1986.
22 – بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن . التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، ط : 5 ، مصر ، (دت) .
23 – البهنساوي، حسام. الدراسات الصوتية عند العرب والدرس الصوتي الحديث ، مكتبة زهراء الشرق ، ط:1 ، مصر ، 2005م .
24 – التكريتي، محمد. آفاق بلا حدود: بحث في هندسة النفس الإنسانية ، دار الخلدونية ، (دط) ، الجزائر ، (دت) .
25 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان والتبيين ، دار إحياء التراث العربي ، (دط) ، لبنان ، 1968.

26 – ـــــــــــــــــــــــــــــ. كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي ، ط:3 ، لبنان ، 1383هـ /1969م.
27 – الجارم ، علي ومصطفى أمين . البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، ط:15 ، مصر ، 1381هـ /1961م.
28 – الجبوري، يحيى. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي ، ط : 6 ، ليبيا ، 1993.
29 – الجرجاني ، الشريف علي بن محمد . التعريفات ، تح: عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، ط:1 ، لبنان ، 1416هـ / 1996م.
30 – ابن الجزري ، محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر، تح:علي محمد الضباع ، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ، (دط) ، مصر ، (دت) .
31 – ـــــــــــــــــــــــــــــ التمهيد في علم التجويد ، دار ابن الهيثم ، ط:1 ، مصر ، 1427هـ/2006م .
32 – عبد الجليل ، عبد القادر . الأصوات اللغوية ، دار الصفاء ، ط:1 ، الأردن ، 1418هـ/1998م .
33 – الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي. الفتوحات الإلهية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (دط) ، مصر ، (دت) .
34 – ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، ط:1، لبنان ، 1427هـ/2006م.
35 – ـــــــــــــــــــــــــــــ. سر صناعة الإعراب ، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، ط:2 ، لبنان ، 1427هـ/2007م.
36 – ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن . زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، ط : 1 ، لبنان ، (دت) .
37 – حركات، مصطفى.الصوتيات والفونولوجيا ، المكتبة العصرية، ط:1 ، لبنان ، 1418هـ/1998م.

38 – حسان ، تمام . اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة ، (دط) ، المغرب ، (دت).
39 – ـــــــــ . مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ،(دط) ، المغرب ، 1400هـ/1979م.
41 – حساني ، أحمد . مباحث في اللسانيت ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) ، الجزائر ، 1999م.
41 – الحسناوي، محمد. الفاصلة في القرآن ، دار عمار، ط:2، الأردن، 2000/1421م، ص:130.
42 – حسين ، طه . حديث الشعر والنثر ، المجموعة الكاملة ، دار الكتاب اللبناني ، (دط) ، لبنان ، 1983م.
43 – الحصري ، محمود خليل . معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء ، مكتبة السنة ، ط:1 ، مصر ، 1423هـ/2002م .
44 – حمّاد ، أحمد عبد الرحمن . عوامل التطور اللغوي ، دار الأندلس ، ط:1 ، لبنان ، 1403هـ/1983م.
45 – الحمد ، علي توفيق ويوسف جميل الزعبي. المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، (دط) ، لبنان ، (دت).
46 – الحمصي ، محمد حسن . تفسير وبيان القرآن الكريم ، دار الهدى ــ عين مليلة ، (دط) ، الجزائر ، (دت) .
47 – حمّود ، خصر موسى محمد . النحو والنحاة المدارس والخصائص ، عالم الكتب ، ط:1 ، لبنان ، 1423هـ/2003م .
48 – الحموي، أبو عبد الله ياقوت. معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت،(دط)، لبنان ، 1399هـ /1979م.
49 – خان ، محمد. مدخل إلى أصول النحو ، دار الهدى ــ عين مليلة ــ (دط) ، الجزائر ، 2003م .
50 – ابن خلدون ، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون، دار الفكر،(دط)، لبنان، 1427-1428 هـ /2008م.

51 – الداية ، فايز. علم الدلالة العربي ، دار الفكر ــ دمشق ودار الفكر المعاصر ــ بيروت ، ط:2 ، سوريا ، 1417هــ/1996م .

52 – عبد الدايم ، محمد عبد العزيز. النظرية اللغوية في التراث العربي ، دار السلام، ط:1 ، مصر ، 1427هــ/2006م.

53 – دراز، محمد عبد الله .مدخل إلى القرآن الكريم، تر: محمد عبد العظيم علي، دار القلم ، (دط) ، الكويت ، 1404هــ /1984م.

54 – دروزة ، محمد عزة . القرآن المجيد ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، (دت).

55 – دي سوسير ، فردينان . محاضرات في الألسنية العامة ، تر: يوسف غازي ومجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، (دط) ، الجزائر ، 1986م.

56 – ديكرو، أوزوالد وجان ماري سشايفر. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر: منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، ط:2 ، المغرب ، 2007م.

57 – الرافعي ، مصطفى صادق . تاريخ آداب العرب ، دار الكتـــاب العربي ، ط:2، لبنان ، 1394هــ/ 1974م.

58 – الرديني ، محمد علي عبد الكريم . فصول في علم اللغة العام ، عالم الكتب ، ط:1 ، لبنان ، 1423هــ/2002م.

59 – ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط:4 ، لبنان ، 1972م.

60 – روستوفدوني ، موسى جار الله . شرح ناظمة الزهر في عد الآيـــات وتعيـــين فواصل القرآن ، تح: عمر سالم أبي حسن المراطي النيجيري ، دار الصحابة بطنطا ، (دط) ، مصر ، (دت).

61 – الزرقاني ، محمد عبد العظيم . مناهـــل العرفـــان في علوم القرآن ، تح : هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، (دط) ، مصر ، (دت) .

62 – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط:3 ، (دب) ، 1400هــ /1980م .

63 – ـــــــــــــــــــ. البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط:1 ، مصر ، 1376هــ/1957م.

64 – أبوزيد ، نواري سعودي. الدليل النظري في علم الدلالة ، دار الهـدى ، (دط) ، الجزائر ، (دت).
65 – زيدان ، جرجي. تاريخ آداب اللغة العربية، تح: يوسف الشيخ محمد البقـاعي، دار الفكر، ط:1، لبنان، 1416هـ /1996م.
66 – السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز .غريب القرآن المسمى (بنزهة القلوب) ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، (دط) ، الجزائر ، 1990م .
67 – ابن سلّا م ، محمد الجمحي. طبقات فحول الشعراء ، تح: محمود محمد شـاكر، دار المدني ـ جدة ، (د ط)، السعودية ،(دت).
68 – سلطان ، منير. البديع تأصيل وتجديد ، منـشأة المعـارف ، (دط) ، مـصر ، 1986م.
69 – سيبويه ، أبو بـشر عمـرو. الكتـاب، مؤسـسة الأعلمـي ، ط:3 ، لبنـان ، 1410هـ/1990م.
70 – ابن سينا، أبو علي الحسين. أسباب حدوث الحروف، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجزيرة للنشر والتوزيع ، (دط) ، مصر ، 1428هـ/2007م.
71 – السيوطي، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، 1408هـ /1988م.
72 – ـــــــــــــــ ، ومحمد بن أحمد المحلي . تفسير الجلالـين ، تـح : مروان سوار ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
73 – ـــــــــــــــ. المزهر في علوم اللغة ، المكتبـة العـصرية ، (دط) ، لبنان ، 1408هـ/1987م.
74 – أبو شادي ، إبراهيم الصادق . الفرقـان في أحكام وآداب فضائل قراءة القرآن الكريم ، دار الإيمان ، (دط) ، مصر ، (دت) .
75 – شاهين ، عبد الصبور.أثر القراءات في الأصـوات والنحـو العربـي، مكتبـة الخانجي، ط:1، مصر، 1408هـ/1987م.
76 – الصابوني ، محمد علي . صفوة التفاسير ، قصر الكتـاب ـ البليـدة وشـركة الشهاب ـ الجزائر ، ط:5 ، الجزائـر ، 1411هـ/1990م .

77 – الصالح ، صبحي . دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين ، ط:11 ، لبنان ، 1986م .
78 – ــــــــــــ . مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، ط:6 ، لبنان ، 1972م.
79 – صالح ، عبد الكريم إبراهيم عوض . الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ، دار السلام ، ط:1 ، مصر ، 1427هـ/2006م.
80 – الصاوي ، أحمد المالكي . حاشية الصاوي على الجلالين ، مر: نجيب الماجدي وأحمد عوض أبو الشباب ، المكتبة العصرية ، ط:1 ، لبنان ، 1423هـ/2002م .
81 – الصغير، محمد حسين علي. الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط:1، لبنان، 2000م.
82 – الصواف ، محمد محمود. عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار الصور من كتاب رب العلمين ، الدار السعودية للنشر، ط:1 ، السعودية ، 1388هـ /1968م.
83 – الصيغ ، عبد العزيز. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر، ط:2 ، سوريا ، 1427هـ/2007م .
84 – طبّارة ، عفيف عبد الفتاح . تفسير جزء عمَّ ، دار العلم للملايين، ط:6 ، لبنان ، 1984م .
85 – ــــــــــــ . روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين ، ط:25 ، لبنان ، 1985م .
86 – الطلحي ، ردة الله بن ردة . دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، ط:1 ، السعودية ، 1424هـ .
87 – ابن عاشور ، الشيخ الطاهر . تفسير التحرير والتنوير , الدار التونسية للكتاب ، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر , تونس , 1984م.
88 – عباينة ، يحيى وآمنة الزعبي . علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الثقافي ، (دط) ، الأردن ، 1426هـ/2005م.
89 – ابن عبد ربه ، الأندلسي. العقد الفريد، تح: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي ، (دط) ، لبنان ، 1385هـ /1965م.

90 – عبده ، الشيخ محمد . تفسير جزء عمَّ ، دار الكتب ، (دط)، الجزائر ، 1982م .
91 – عبد العبّود ، جاسم محمد. مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، ط:1 ، لبنان ، 1428هـ/2007م.
92 – عتيق ، عبد العزيز . في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية (دط) ، لبنان ، (دت).
93 – ابن العربي ، أبو عمرو عثمان المالكي . عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، دار العلم للجميع ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
94 – عبد العزيز ، أمير . دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط:2 ، الجزائر، 1408هـ/ 1988م.
95 – العسكري ، أبو هلال. الصناعتين، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، ط:1، لبنان، 1427هـ /2006م.
96 – ابن عقيلة ، محمد بن أحمد المكي . الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، جامعة الشارقة ، ط:1 ، الإمارات العربية المتحدة ، 1427هـ/2006م .
97 – عكاشة، محمود. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات ، ط:1 ، مصر ، 1426هـ/2005م.
98 – عمر ، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، ط:4 ، مصر ، 1427هـ/2006م.
99 – ـــــــــــــ. علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط:5 ، مصر ، 1998م.
100– عيساني، رحيمة. الميسر في أحكام الترتيل ، دار الهدى ـ عين مليلة ،(دط) ، الجزائر ، (دت).
101 – الفراء ، يحيى بن زياد . معاني القرآن ، عالم الكتب ، ط : 3 ، لبنان ، 1403هـ/1983م .
102 – الفيومي ، أحمد بن محمد . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ط:8 ، مصر ، 1979م.
103 – قابة ، عبد الحليم بن محمد الهادي. القراءات القرآنية : تاريخها، ثبوتها، حجيتها وأحكامها ، دار الغرب الإسلامي ، ط:1 ، لبنان ، 1999م .

104 – ـــــــــــــــــــــــــــ . المختصر الجامع لأصول روايـــة ورش عن نافع ، دار البلاغ، (دط) ، الجزائر ، (دت).
105 – القاري ، ملا علي بن سلطان . المنح الفكرية شرح المقدمـــة الجزريـــة ، دار السلام ، ط:1 ، مصر ، 1429هـ/2008م.
106 – القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. بشير اليسر شرح ناظمة الزهـــر فـــي علـــم الفواصل ، دار السلام ، ط:1، مصر ، 1429هـ/2008م.
107 – ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . الشعر والشعراء ، تح: أحمد محمد شـــاكر ، دار الحديث ، ط:2 ، مصر ، 1423هـ /2003م.
108 – قدور، أحمد محمد . مبادئ اللسانيات ، دار الفكرــــ ســوريا و دار الفكــر المعاصر ــ بيروت ، ط:2، سوريا ، 1419هـ/1999م.
109 – ــــــــــــــ. مدخل إلى فقه اللغة العربية ، دار الفكر المعاصرــ بيروت و دار الفكر ــ دمشق ، ط:3 ، سوريا ، 1424هـ/2003م.
110 – القرالّة ، زيد خليل. الحركات في اللغة العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط:1 ، الأردن ، 1425هـ/2004م .
111 – القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح: محمـــد الحبيـــب ابـــن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ط:2 ، لبنان ، 1981م .
112 – القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري . الجامع لأحكـــام القرآن ، دار الشروق ، (دط) ، لبنان ، (دت) .
113 – القطان ، منّاع . مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط:15 ، لبنان ، 1405هـ/1985م .
114 – قطب، سيد . التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الـــشروق، ط:3، لبنـــان، 1403هـ /1983م.
115 – ــــــــــــ . في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، ط:5 ، لبنـــان ، 1286هـ/1967م .
116 – قلعة جي ، محمد روّاس. لغة القرآن لغة العرب المختـــارة ، دار النفـــائس ، ط:1، لبنان ، 1408هـ/ 1988م.

117 – قمحاوي ، محمد الصادق . طلائــع البشــر في توجيه القــراءات العــشر ، عالم الكتب ، ط : 1 ، لبنان ، 1424هـ/2003م .
118 – القيسي ، مكي بن أبي طالب .الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تح: أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، ط:2 ، الأردن ، 1404هـ/1984م.
119 – ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي . التبيــان في أقســام القرآن ، تــح : محمد شريف سكّر ، دار إحيــاء العلوم ، ط : 1 ، لبنان ، 1409هـ/1988م .
120 – ________________. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيــان ، دار الكتب العلمية ، (دط) ، لبنان ، (دت).
121 – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظــيم ، دار الأنــدلس، ط:1 ، لبنان ، 1385هـ /1966م.
122 – ________________ . فضائل القرآن ، دار الأندلس ،(د ط) ،لبنــان، (دت).
123 – لاشين ، عبد الفتاح . صــفاء الكلمــة ، دار المــريخ ، (دط) ، الــسعودية ، 1403هـ /1983م.
124 – ____________ . الفاصلة القرآنية ، دار المــريخ ، (دط) ، الــسعودية ، 1402هـ/1982م.
125 – عبد اللطيف ، محمد حماسة . النحو والدلالة ، دار الشروق ، ط:1 ، مصر ، 1420هـ/2000م.
126 – لوشن ، نور الهدى . مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغــوي ، المكتبــة الجامعية الأزريطة ــ الأسكندرية ، (دط) ، مصر ، 2000م.
127 – ابن مالك ، محمد بن عبد الله الأندلسي . متن ألفية ابــن مالــك فــي النحــو والصرف ، دار الإمام مالك للكتاب ، ط:1 ، الجزائر ، 1423هـ/2002م.
128 – المبارك ، محمد . دراسة أدبية لنصوص من القرآن ، دار الفكــر ، ط : 4 ، لبنان ، 1424هـ/ 2003م .
129 – ____________ . فقه اللغة وخصائص العربيــة ، دار الفكــر ، (دط) ، لبنان، 1425ــ 1426هـ/2005م.

130 – المباركفوري ، صفي الرحمـــن . الرحيق المختوم ، شركة الشهاب ، (دط) ، الجزائر ، 1408هـ/1987م .
131 – المراغي ، أحمد مصطفى. تفـسير المراغـي، دار الفكـر ، ط: 3 ، لبنـان، 1394هـ/ 1974 م .
132 – ــــــــــــــــــــ. علوم البلاغة ، دار القلم ، (دط) ، لبنان ، (دت).
133 – مسلم ، الإمام أبي الحسين النيسابوري . الجـامع الصحيح ، دار الفكر ، (دط) لبنان ، (دت) .
134 – المطعني ، إبراهيم محمد . خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط:1 ، مصر ، 1413هـ /1992م.
135 – عبد المقصود، عبد المقصود محمد. دور علم الأصوات فـي تفـسير قـضايا الإعلال في العربية ، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1 ، مصر ، 1427هـ/2007م.
136 – ابن منظور، محمد بن مكرم . لـسان العـرب ، الـدار المـصرية للتـأليف والترجمة، (دط)، مصر ، (دت).
137 – ــــــــــــــــــــ . مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، تح: طـه الحاجري ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (دط) ، مصر ، 1386هـ /1966م.
138 – مومن ، أحمد. اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ،(دط)، الجزائر ، 2002م.
139 – مونان ، جورج . مفاتيح الألسنية ، تر: الطيب بكوش ، منشورات سـعيدان ، (دط) ، تونس ، 1994م .
140 – الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. مجمع الأمثال، دار مكتبة الحيـاة، ط:2، لبنان، (دت).
141 – النحوي ، عدنان علي رضا. دور المنهج الرباني في الدعوة الإسـلامية، دار الشهاب ــ باتنة ، ط:5 ، الجزائر ، 1406هـ /1986م.
142 – نصر، عطية قابل .غاية المريد في علم التجويد ، دار ابن الجـوزي ، (دط) ، (دت).

143 – نور الدين ، عصام. علم الأصـــوات اللغوية ـــ الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني ، ط:1 ، لبنان ، 1992م .
144 – ـــــــــــــــــــ . علم وظائف الأصوات اللغوية ـــ الفونولوجيا ، دار الفكر اللبناني ، ط:1 ، لبنلن ، 1992م.
145 – النيسابوري ، محمود بن أبي الحسن . إيجاز البيان عن معاني القرآن ، تـــح : حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط : 1 ، لبنان ، 1995م .
146 – الهاشمي ، السيد أحمد . ميزان الذهب في صناعة شـــعر العـــرب ، مؤســـسة الكتب الثقافية ، ط:2 ، لبنان ، 1415هـــ/1995م .
147 – الهـــروي ، أحمد بن محمد . الغريبين في القرآن والحديث ، تح : أحمد فريد المزيدي ، المكتبة العصرية ، ط : 1 ، لبنان ، 1419هـــ/1999م .
148 – هنداوي ، عبد الحميد أحمد يوسف . الإعجاز الصرفي في القـــرآن الكـــريم ، المكتبة العصرية ، (دط) ، لبنان ، 1423هـــ/2002م.
149 – هني ، عبد القادر. دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (دط) ، الجزائر، 1995.
150 – ياسين ، خليل . أضواء على متشابهات القرآن ، دار ومكتبة الهـــلال ، (دط) ، لبنان ، (دت).
151 – يعقوبي ، محمد. معجم الفلسفة ، مكتبة الشركة الجزائرية ، (دط) ، الجزائر ، 1399هـــ/1979م.
152 – يوسف ، حسني عبد الجليل. علم كتابة اللغة العربية والإملاء ، دار الـــسلام ، ط:1 ، مصر ، 1427هـــ/2006م ، ص:141.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة